مشهد محذوف

تصنيف الكتاب: مجموعة قصصية

اسم الكتاب: مشهد محذوف

اسم الكاتب: مجموعة من الكتاب

رقم الإيداع: 2018/17/52

الرقم الدولي: 918.977.853.063

الطبعة الأولى:

2018

الناشر – دار زحمة كتاب 15 ش السباق – مول المريلاند – مصر الجديدة

تلفون: 0120500596

Email : za7ma-kotob@hotmail.com

تحت رعاية إدارة المحيط الأدبي

كلهنّ خائنات

نجلاء القاضي

لم تكن إلا ومضة نور تسللت سهوًا ضد طبيعة الظلمة التي صنعت منها حواء.

حين قال لها هامسًا وبتأكيد لا يقبل الاحتمالات.. ستكونين لي

****

صـــباحًا جديدًا مكررًا، نهض متثاقلًا يجر قدميه كأنه في عداوة مع الاستيقاظ الكامل الذي يحاول أن يؤجله قدر استطاعته يحمل تلَّة من هموم نامت بين أحضـــانه واعتلت أكتافه فور اســـتيقاظه مع صـوت المنبه الصـادح، عيناه مجهدة من محاولته رفع ثقل جفنيه عنهما، كان كعادته منذ ذلك التاريخ الأســـود.. كتلة من الإحباط والغضب الأعمى.

يمشي على قدمين لا يملك هدفًا في الحياة ولا يجد لها مبررًا إلا فقط من أجل إثبات أن النســـاء مخلوقًا دونيًا لا يســـتحق الحياة، كلهن خائنات والشريفات منهن ينتظرن الفرصة.

جلس عمار خلف مكتبه في تلك البناية المطلة على وســـط البلد تكســـو وجهه نظرة اشـمئزاز وهو يتابع عاملة البوفيه تضـع فنجانه الأول من القهوة لهذا الصـــباح التي بدورها كانت تعلم أنه يرمقها بنفس تلك النظرة التي اعتاد على توجيهها إليها؛ كلما أحضرـت له شيئًا كان يتفنن في صرفها بقدر مناسب من الازدراء.

_"أظن أن البطء في عملك هو طبيعة نسـائية مهما اعترضـت عليها لا فائدة في تغييرها".

قالها مشـــيرًا إليها بالانصرـــاف، خرجت متعثرة إحدى قدميها في الأخرى متلهفة على إغلاق ذلك الباب بينهما وضـــع نظاراته وردد بهمس:

_"كلهن خائنات"

ثم بدأ في ممارســة عمله برتابة يتخلل تفكيره ما حدث له في صــورة لمحات لا تتركه يســتريح رغم ما يؤول إليه جســده من تعب، كان يعمل في بنك اســتثماري منحه مســتوى معيشيٍ مناســب، لم يكن يشـــكو من قله المال بل كان كما يقال (مســـتورًا)، لم تكن تلك الســـاقطة في حاجة للذهاب إلى منزل مشـــبوه من أجل حفنة مال، بالتأكيد كانت تذهب لمزاجها الخاص؛ ظل منهمكًا في دراســـة حســـابات العملاء متأففًا إذا صـــادف أن كان أحد هؤلاء العملاء من صـــنف النســـاء حتى لو كان اللقاء بينهم على صـــفحات حســـاباتهم الرقمية وبأسماء لا تعني له شيئًا..

قطع عليه اســـترســـاله رنين هاتفه المحمول نظر إليه بطرف عينه أسـفل نظاراته ليجد رقم شـوقي ابن خاله وصـديق عمره سـارع بالرد عليه:

_"حبيبي فيك الخير والله لا يســـتطيع أحد إخراجي عن القضـــبان غيرك"

أتاه صوته ضاحكًا:

_"قضبان كلمة مناسبة للرجل المناسب ..... سندعوك عمار قطار الصعيد"

ردَّ بأسى:

_"والله يا ابن خالي يا ليتني كنتُ قطارًا حقيقيًا من حديد وصـــفيح يقع مني ما يقع دون أن أشـــعر به أدهس من تقف في طريقي من العاهرات"

غادرت البهجة صوت محدِّثه ثمَّ سأله بعد برهة صمت:

_"ألم تكتفِ بعد؟ ألم يأنِ للنسيان أن يريح عقلك من تلك الذكرى الكئيبة، هي مجرد امرأة من ملايين النساء نالت ما استحقت على يد القدر، فحتَّاما ستظل حبيس ذكراها معاديًا لكل جنس حواء ".

هدر به مقاطعًا حديثه:

_"إلى متى ســـتظل معتقدًا أن هناك اختلاف بين أنثى وأخرى بين حية رقطاء وغيرها؟"

كل يوم منذ عام مضى يشهد على خيانة جديدة لمزيد من النساء كل يوم يتم توقيع مزيد من العقود والعهود بينهن وبين الشـيطان، على أن يظلوا مخلصـــين فقط لذلك العهد بالخيانة، ألم تُثبِت مئات العلاقات التي أقامها على تلك الشبكة العنكبوتية في الفراغ أن ما من امرأة شريفة وما من بكارة أو طهر في تلك النفوس الخربة والأجســـاد المبتذلة لفتاة مراهقة أو زوجة عتيدة كلهن على حد ســواء عاهرات بالفطرة، وها هو يثبت ذلك مع كل امرأة عثرة الحظ، أوقعها حظها في قبضـــة يده، وعلى قدر مقته وبغضـــه للخيانة إلا أنه كان يعتبر نفســـه تلك اليد التي تنزع عنهن ورقه التوت التي يوارين ســـوءاتهنَّ خلفها، هو تلك الفرصـة التي يتحينَّها للشروع في خيانة ضـمرنها في

نواياهنَّ العفنة، اســـتفاق من شروده على صـــوت يناديه في همس محاولًا تهدئته:

_" أرجوك تمالك نفسك واسترد وعيك واسترجع حياتك أنا أعلم أن الصدمة لم تكن هينة لكن أرجوك لا تدعها تفسد الباقي من حياتك وروحك ارجع مرة أخرى وألقم ذكراها للنسيان"

صمت يعقبه صمت تلاه إنهاء المكالمة من قِبَله بكلمات مقتضبة مانحًا الأخر موعدًا بالمساء في بيت جدته بالسيدة زينب حيث نشآ معًا وقضَوا معظم طفولتهما وشبابهما، أنهى عمله واتخذ طريقه إلى السيدة زينب بعد أن استقل سيارة أجرة فهو ليس بمزاج يسمح له بقيادة سيارته ال 128 العتيقة ولا أن يستقل وسيلة مواصلات عامة، فترك سيارته بجانب الطريق غير مبالٍ بما سيكون عليه حالها صـــباحًا، ألقى بجســـده على المقعد الخلفي للســـيارة وترك عقله المنهك يعود به إلى تلك الليلة مســـتعيدًا انكســـاراتها مســـتعذبًا ما تسببه له من ألم أدمن تكراره ليتخذ منه دفعة وحافزًا على مواصلة انتقامه ..

ثناء حبيبة العمر وتوأم الروح ابنة القلب التي لم ينجب غيرها منذ أن شب على عشقها وشاب على خيانتها، زوجته التي اكتملت بها رجولته، حين تزوجها ودفن معها كبرياءه حين دُفِنَت بعارها، وكأن القدر شـــاء أن يُدفن حيًا لأجلها مثلما كان يحيا لأجلها، بســـببها ما زالت الذكرى تطرق رأسه بمطرقة من نار فتحرق قلبه مرارًا وتكرارًا،

ويفيض الجحيم داخله فيلحق الشـر كل أنثى قُدِّر لها أن تقترب منه...

الثالث عشر من شهر ديسمبر يوم الأربعاء الساعة التاسعة مساءً، عسكريٌ بالباب يطلب منه الحضور لاستلام جثة زوجته المدعوة _ثناء سيد علام_ حيث تُوفِّيت في أحضان رجل آخر حين داهمت الشرطة المنزل الذي اعتادت الذهاب إليه بصُحبة مجهول، تمكن من الفرار قفزًا من النافذة ولم يُعثَر على أثره، لم يترك خلفه إلا قطعة من قميص أسود اللون عُلق بالنافذة أثناء قفزه، لم يكن في وعيه وهو يوقع على تلك الورقة التي تسلَّمها، كان كمن يوقع على شهادة وفاته، وميلاد جديد من رحم الألم والذل والانكسار ميلاد مشوه لا إنسانية فيه لرجلٍ آخر أقسى من قطعة حجر صُهرت بالجحيم، استفاق من شروده على صوت السائق يسأله، أي طريق يسلك فقد وصلا إلى حي السيدة....

_"هنا من فضلك"

تلفَّظ بها في مكان ما، فتوقف السائق حيث أشار، على ناصية زقاق أضيق من أن تمر به سيارته، ترجل منها ناظرًا لنهاية الزقاق حيث منزل جدته بينما كان يواجهه من الطرف الآخر منزل ثناء القديم، شعر بشيء من حنين موجع تلاه انقباض وضيق في صدره، نفض رأسه يمينًا ويسارًا علَّه يسقط بعض الذكريات ويخفف من حملها على كاهله، مضى منحنيًا صوب وجهته لا يرفع رأسه عن موطئ قدميه حتى وصل لباب البيت.

فتح له شـوقي الباب وبدت في عينيه نظرة شـفقة، سرعان ما واراها عنه بضحكة صاخبة لئلا يزيد من معاناته قائلً:

_"ادخل يا صديقي اللدود"

بادره بالسؤال في ضجر:

_" لا أعرف لماذا تصرـــ على المكوث في هذا المنزل بعد وفاة جدتي خاصة وأنك تملك ما يكفي لشراء شقة جديدة"

على الرغم من أنه كان ميســـور الحال بالميلاد، وورث عن والده ما يســتطيع أن يحصــل به على منزل فاخر في أرقى حي إلا أنه تمســك بالإقامة في منزل جدته التي كانت كأم بديلة له، فقد تُوفيت وهو صـــغير جدًا حتى أنه لا يملك لها أي ذكرى مشـــتركة يســـتطيع أن يستدعيها في لحظات الحنين، وتركته مع أب فاتر المشاعر متسلط بطبعه، لم يكن له أحد بعدها إلا جدته التي كانت بدورها رغم عطفها عليه وحبها له إلا أنها لم تتوقف عن تمييز عمار عنه كونه أول أحفادها وفرحتها على حد تعبيرها؟

أخرجه من غيمة ماضيه البعيد تذمر الآخر أمامه قائلًا:

_ "أنت تعلم أني لا أحب المجيء إلى هنا تعلم ما تفعله بي رؤية منزلهم حتى لو لم يعودوا هنا بعد الفضيحة"

قاطعه ممازحًا في محاولة منه لامتصـــاص غضـــبه، حيث انحنى نصف انحناءة قائلًا:

_"يبدو أنني سأستسلم لك أخيرًا شوقي سيرفع الراية البيضاء وينزل عند رغباتك ويذهب لعالم آخر وشقة أخرى لقد وجدتها يا صديقي

وجدتها كما قال نيوتن لقد سقطت على أم رأسي من الشجرة"

قالها وأخذ يتلعثم عن قصد:

_" اااا ...أقصـد من الشـبكة، لكن انتظر بعض الوقت لأعرف عنها أكثر"

سـاد بينهما الصـمت فور انتهاءه من جملته التي فهم منها الآخر أنه يتحدث عن امرأة ما يريد الارتباط بها، فنظر له نظرة خالية من الدهشة متسائلًا:

_"هل هذا مزاح كعادتك؟ هل ما زلت تستطيع أن تثق في امرأة؟ أن تسمح لها بحمل اسمك، أيمكن أن تضع عرضك وشرفك وسمعتك بين يدي امرأة"

كان يتحدث بكثير من الاحتقار ثم عاد يسأله:

_" ألم يكن لك فيما حدث لي عبرة وعظة"

قاطعه مشيرًا بيده لأقرب مقعد داعِيَهُ للجلوس ثم بدأ يلقِّنه:

_"أرجوك ليست كل النساء على نفس الشاكلة، ربما هناك جزءًا من القصة لا نعلمه تكون فيه ثناء مظلومة"

قالها بصـــوت خافت على عجل كي لا يتوقف عندها ويثور كعادته كلما حاول أحد التخفيف عنه بالدفاع عنها، ثم أني طلبت منك أن تأتى اليوم تحديدًا من أجل هذا الموضوع، هي فتاة على قدر كبير من الخلق والتدين في منتهى الرقة لم أرَ صـــورتها بعد لكني أشـــعر أني بالفعل أحببتها، صـــادفتها على إحدى الصـــفحات في الشـــبكة

العنكبوتية، أعجبني كل حرف طبعته منذ ثلاثة أشهر في حوارها وفي قناعاتها وشـخصـيتها البادية في اختياراتها، حاولت أن أتعرف إليها وجهًا لوجه فأبت بكل الطرق.....

قاطعه بحدة:

_"لأنك سـاذج لا تعرف من أين تُؤكل الكتف كل ما في الأمر أنت لم تضـغط عليها بالقدر الكافي وهي أجادت التمثيل وثبتت قناع العفة جيدًا، ووراءه نفس نون النسـوة المبتذلة، الخيانة ذاتها، والقصـة عينها، سـتظل طاهرة بريئة إلى أن تجعلك تأكل الفاكهة المحرمة ثم تجد نفسـك مطرودًا من الجنة، ومن ثمَّ يظهر شـيطانها ليسـخر منـك، وحينهـا لا عزاء للمغفلين أمثـالي وأمثـالـك إذا أصررت على سلوك نفس الطريق"

اسـتمر بينهما الجدل والنقاش تارة بغضـب وتارة ببعض الهدوء والمزاح الحذر حتى أُنهِكا معًا، تنهد أحدهما بعد أن فرغ صبره مانحًا الآخر هدنة مؤقتة حتى يحكم عليها بنفسـه من خلال حسـابها على الفيس بوك، اتخذ قراره ممسـكًا بيده ومتجهًا نحو هاتفه الخلوي الذي كان يعرض صـفحتها على الانترنت، تركه يتجول به ثم ذهب لإحضار طعام الغداء..

بينما وجدها فرصـة جيدة ليأخذ عنوان صـفحتها ويحاول أن يثبت لصـديقه سـوء عاقبة الارتباط بها، متخذًا عهده بأن يحميه من نفسـه ولو رغمًا عنه ويظهر له كم هي فتاة رخيصـة كجميعهنَّ، وأنه فقط لم يعرف كيف يصل إليها أما هو فقد أصبح محنكًا وقادرًا على اصـطيادها كذبابة وقعت في شـبكة عنكبوت عتيدة في اصـطياد

أنواعها من الذباب، يوم جديد لا يغير الكون عاداته تشرق شمسه في نفس التوقيت وتغرب كما قدر لها لا يؤخرها بؤس ولا يستدعيها فرح.

فتح حاسوبه فور وصوله إلى شقته بحي الجيزة بعد أن أنهى عمله المعتاد ممسكًا بشطيرة أخذ يأكلها على عجل، فلم يكن لديه صبر للبدء في دراسة وتحليل واصطياد تلك الحشرة ذات نون النسوة المدعوة رغد التي يتابعها شوقي، جلس ساعتين يراجع كل ما وضعت من ملصقات وكل ما كتبت من تعليقات، راجع اهتماماتها وأصدقائها ماذا تفضل ومن تفضل ماذا تشاهد ومن تشاهد من تحاور وكيف تحاور، ثم قام بصنع العديد من الحسابات الوهمية بأسماء سيدات ورجال بشخصيات مختلفة، فذاك حساب لشخص رومانسي عاطفي وتالي لشخص سادٍ ومتعجرف وآخر لشخص ثري يقابله حساب لشخص فكاهٍ وآخر جاد، وهكذا إلى أن أصبح مستعدًا للمواجهة، أغلق عينيه مع إغلاق حاسوبه وذهب في سبات لم يخرجه منه إلا صوت المنبه ليتكرر يومه كشريط معاد مهترئ من كثره التكرار ولكن بفراغ صبر أكثر من المعتاد فاليوم سيبدأ بتنفيذ خطته عاد مسرعًا إلى المنزل، صنع كوبًا من الشاي وجلس في فراشه منكفئا على حاسوبه يردد بثقة

_" لن أكون آسفًا لك يا صديقي بل أنت من سترجوني لقبول اعتذارك حينما أريك الحقيقة بعينيك وأكشف لك احتيال تلك الفتاة".

أرسل لها طلب صداقة من كل حساب صنعه مسبقًا وانتظر متحينًا الفرصة ليشتبك معها في حديث، يمضي الوقت بطيئًا مثيرًا للضجر ثقيلًا على النفس حينما نكون قيد الانتظار، ظل منتظرًا أي استجابة أو ظهور لها، حاملًا حاسوبه معه أينما ذهب فلم يكن له صبر على صنع حتى كوب من الشاي إلا بصحبته، منتبهًا لأي إشارة أو صوت يشير لأي استجابة منها، وأخيرًا بعد مضي ثلاث ساعات كاملة كأنهم دهر بأكمله، تمت الاستجابة لثلاث طلبات صداقة من قبلها اثنين بأسماء مستعارة لفتيات وطلب واحد باسم رجل امتلأت صفحته بالملصقات الدينية والحكم والمواعظ، ارتفع صوت عمار بالضحكات ورطن ببعض الكلمات الساخرة:

_" كم هن النساء منافقات يبدين في العلن عكس ما يبطنَّ في الخفاء" .

حكَّ يديه إحداهما بالأخرى قائلًا بصوت قاسٍ بارد كبرودة الأموات:

_"مرحبًا بكِ في عالم الخيانة وجحيم عمار الذي لا يكتفي ويرغب بالمزيد من تعرية نفوسكن النجسة".

أرسل لها رسالة باسم واحدة من الفتيات اللاتي قبلتهنَّ وخاض معها نقاشًا عن الملابس والحجاب والطبخ فعلم منها ماذا تفضل من المواضيع وأثنى على خفة ظلها ثم توجه إليها بطلب

_"أرجو أن نصبح أصدقاءً لعمر قادم فأنا وجدت فيكِ الأخت التي لم أحظ بها في الحقيقة"

ختم لقائه معها على ذلك الحساب ومن ثم انتقل إلى الحساب الآخر لذلك الرجل الخلوق صاحب الفضيلة كما ينبئ حسابه، ارتدى

رداء الفضـــيلة وأحكم زنـاره ووقع اختياره على نص من الرقـائق الدينية التي تمســـح القلب بأيادي الرحمة الإلهية وأرســـله لها في رسالة خاصة شاكرًا لها على قبول الإضافة، انتظر قليلًا فلمَّا لم يتلقَّ اسـتجابة أزاح حاسـوبه جانبًا محاولًا اسـتدعاء بعض الهدوء لعقله حتى لا يفسـد المهمة باسـتعجاله للنتائج؛ عاد بذهنه سـنوات للوراء ففي منزل العائلة الكبير بحي السـيدة زينب تذكر كان كيف كان يحتسي الشاي الذي صنعته له جدته رحمها الله بعد الغداء وكيف كانت تمزح معه وتغمز له بعينها قائلة:

_"الشـاي لا يحلو إلا في الشرـفة يا عَمَار بيت جدتكَ وأول فرحتي بحفيد"

هكذا كانت تدلله، وهكذا كانت تنبئه بأنها تعلم أن ثمَّة من هي بانتظاره بشرـفتها الخاصـة في الجهة المقابلة لهما، فيبتسـم خجلًا مخفيًا حقيقـة مـا فهم من تلميحـاتهـا وينطلق إلى حيـث تنتظره الفاتنة، فتنظر للأسـفل حياءً فور أن تلمحه وترفع رأسـها بين الحين والفينة تتلصص عليه، عيناها الجميلتان كانتا أجمل عينين رآهما في حياته وأكثرهم براءة، انتفض على صـوت الرسـالة التي انتزعته من ذكرياته .

_"أشـكرك أخي الفاضـل كم هو جميل ما أرسـلت لقد زال الكثير من قلق النفس باليسير من الكلمات ".

قرأ كلماتها على عجل ثم تأنى في التحليل والتفسير فقد أعطته مفتاح البداية من خلال كلماتها..

_"الشكر لله وحده أيتها العزيزة، ولم القلق لنفس يبدو عليها جمال الروح وخفة الظل، فأنا من أشد المعجبين بمنشوراتك ومواضيعك، منذ فترة وأنا أتابعك في صـــمت حيث لا أحبذ التحدث مباشرة مع من ربما يخجلها ذلك".

أرســلها لها وابتســم خفية في نفســه وكأنها ســتراه منتظرًا أن تلتقط الطعم وتبدأ في الحكايا والشكوى، انتظر كثيرًا فلم يتلق استجابة..

_"هي تلعب دور صــعبة المنال حســنًا ســيكون لنا لقاءات أخرى وسأقتص منك على مهل لأذيقك وبال ذلك التمنع المزيف كل ما في الأمر أنك تحتاجين لمجهود أكبر ومزيد من الصبر"

هكذا كان يُلقن نفســه الصــبر، ولأول مرة في حياته يقضي_ وقتًا في معرفة الجديد في عالم الكتب، قرأ في الأدب، الفلسفة، المنطق حتى النسبية لأينشتاين وأخذ بالبحث في الموضوعات الدينية التي يعلم ميلها لها ولو ظاهريًا عكف أيام على القراءة وبدأ يأنس بها رغم تكلفة ذلك في البداية، ثم بدأت علاقة عقل مع عقل مصــحوبة بعاطفة خجولة من رغد التي تثير نخوته باللجوء إليه لاســتشــارته في بعض الأمور، كأن بينهما ســنوات من الثقة والمعرفة تضــعه أمام رجولته وما تقتضــيه من مســؤولية النصــح والحرص عليها، وإن بدا ذلك متعارضًــا مع رغبته المطموســة في الوصــول للنهايات السر.ــيعة الحاســمة، ظل يتابعها من كثب كل يوم يرى فيها جديد وتنوع يربكه يعصف بذهنه ثم يتركه في حيرة من أمره، كمثل تلك السلسلة من منشوراتها عن الصحابيات وتضحياتهم وزوجات الرسول _صلى

الله عليه وسلم_ وسيرتهن معه فتثير في نفسه العديد من التساؤلات بين إيمانه الراسخ بعداوته للمرأة وأنه لا توجد امرأة مستثناة أو خارج السرب، وبين إيمانه الأكثر رسوخًا بحقيقة تلك النماذج والأثر الذي تنشره هي ويترك بصمة بداخله، وكأن القدر يبعث إليه بعض الرسائل من خلالها، مضى شهران تبعهم ثلاثة ثم تلاهم أربعة دون أن يشعر تفرغ فيهم كليًا لأجلها، يقرأ ما تحب ويكتب ما يعتقد أنها تفضله، يتحدثان بالساعات في شتى الأمور بعاطفة مغلفة بالفضيلة والحرص، فلم تكن تتجاوز في ردودها معه إلا أنها أصبحت دائمة الاستجابة لرسائله مستفيضة في الحديث معه بأريحية، يحاول أن يأخذ الحديث لمنحنى جسدي فيأتيه استقامة في الرد تُقوِّم انحنائه بلا عنف بل بمنتهى اللطف كأنها أم تأخذ بيده وتبين له الصواب بلا محاولة لعقابه، كطبيب يعرف أين الداء وكيف يداويه دون أن يذيق صاحبه مرارة الدواء، كلما تربص بها ليأخذها حيث يشاء من تيه ومتاهة أخذته إلى حيث الدليل والسلامة، كان ينسى أحيانًا ما عقد العزم عليه من نوايا تجاهها ويعود لتدارك ما نسى مذكرًا نفسه بماضيه مستزيدًا منه بشحنة أخرى من الغضب ليستطيع أن يواصل كان يرتفع لعنان السماء بما تمد روحه من سلام ويهبط لأسفل أرض بما يلح عليه من ذكرى فيعود لسابق عهده، حين ظن أن الفرصة سانحة له للقيام بالهجوم قبل أن تخور قواه كليًا من فرط انجذابه غير المعلن لها الذي يحاول إنكاره حتى عن ذاته، فعندما وجدها تناقش موضوعًا يتعلق بالعاطفة من منظور أدبي مضمنة موضوعها بعض أبيات الغزل، تفنن في الإتيان بمعسول الكلام كتعليق على موضوعها ليكسب

نقطة حاسمة، فعالجته ببيت من الشعر كان هو شخصيًا يترنم به ويعشقه في الأيام الخوالي!! فأخذ يتغنى بمدحها:

_"مذهلة كيف لها أن تفعل ذلك هل هي ساحرة أم قارئة للخواطر"

لم يتمالك نفسه من التعليق الصادق على ما كتبت بإكمال تلك القصيدة ممتلئًا بالدهشة من نسيانه هدفه الأصلي تدريجيًا وكأنها كل يوم تسدل ستائر بينه وبين ماضيه ليفتر غضبه وتبهت الذكرى ويؤخذ لعالم آخر من الوضوح والسكينة، إلى أن أتته رسالة منها تخبره أنها ربما تتوقف عن التواجد في هذا العالم الافتراضي لتعرضها لبعض الضغوط التي لا تعلم كيف تتعامل معها....

كان نص رسالتها:

_"أيها الغالي في زمن رخصت فيه الغوالي، أيها الرجل الذي بذكره آنس وحشتي وأقوى به على ضعفي، أيها الصديق الوفي المعلم الفاضل والتلميذ النجيب ولا تتعجب ففيك اجتمعت كل الصفات وبك عادت إليَّ نفسي، وثقتي التي أضاعها غيرك من أشباه الرجال مما أسمع من صديقاتي ومما أرى ممن حولي رغم عدم تعرضي لتجربة مثيلة حتى أنني يومًا ما كنتُ قد اتخذت عهدًا على نفسي ألا أتعامل مع رجل بشكل شخصي ما حييت خوفًا على قلبي وروحي من الدنس حتى أتيت أنت فنسيت قسمي لأجد فيك باحة من شروق تزيل عن نفسي أشباح الظلمة التي صنعها غيرك في الخيال لكن غيرك أبى إلا أن يقلق سلامي بمطاردته لي على تلك المساحة

من العالم الخيالي الذي لا أجد بد من الاختفاء منه حرصًـــا على قناعاتي" .

أنهى قراءته وراح يفكر في من ذا الذي يطاردها، ويتساءل كيف ترحل هكذا، وكيف لا يصـــل معها إلى أي نتيجة!! كيف يمكن أن تختفي من حياته هكذا ببســاطة، كان ينتظر أي رســالة منها بفارغ صـبر إلا تلك الرسالة التي أتت لتصفعه مرتين إحداهما لوضعها ثقتها بأمانته وظنها الحســـن برجولته التي تفرض عليه إســـباغ الحماية لها، والأخرى لإعلانها انســـحابها من حياته! توقف عند المعنى نعم من حياته، متفاجئًا مأخوذًا من فِكرِه أنه ربما وقع أسير اعتياده عليها..

_" ستُجن يا عمار"

أخذ يرددها قاطعًا غرفته ذهابًا وإيابًا محدثًا نفسه بغضب: _"قطعًا سأجن كيف لها أن تفعل ذلك، كيف لي أن أترك نفسي. لأصل لتلك المرحلة"

ثم ينفي ذلك في محاولة أخيرة للتشـبث بعداوته مع نوعها النســائي محاولًا اسـتدعاء أي ذكرى يسـتمد منها بعض العون على المواجهة بلا جدوى، قضىـــ ليلة تائهًا بين المتناقضـــات الممزقة لثباته لم يعرف فيها للنوم سـبيل حتى جاء الصـباح ليجده مهزومًا مجهدًا لا يقوى حتى على رفع الراية البيضـاء وفي لحظة عبقرية من القدر كما وصـفها بداخله قرر أن يأخذ خطوة جريئة رأى أنه قد حان وقتها، فأمسك حاسوبه ونبضاته تعلو على صوت لوحته للكتابة.

_"رغد بلا حرج وبلا ادعاء أنا أرغب في المزيد من التعرف عليكِ أراك بخيالي كأن لك جناحين من الرحمة وقلب من الذهب فأرغب

في أن أرى تلك الملامح التي حملت هذه المعاني ربما كان لنا شـــأن آخر معًا"

تمنعت بكل الطرق بدايتا من الرفض الصريـــح إلى محاولة الإقناع بعدم جواز ذلك منتهية إلى التحجج بكل حجة واهية أمكنها الإتيان بها.

أثارت جنونه فقد أصبح يريد أن يراها بالفعل، لا يمكن أن يكون كل هذا ادعاء وتحايل ربما صدق صديقه في حكمه على الأمور ربما هي بالفعل فتاة فاضـــلة جميلة الروح بل وخفيفة الظل رقيقة القلب، صمتت أفكاره فجأة عندما تذكر صديقه!! كيف سيبرر له ما فعل لقد بات واضحًا أنه هو الذي تعلق بها وكان عذره سابقًا هو إنقاذه من الوقوع في خديعة تلك العاهرة أما الآن فكيف يبرر له رغبته في رؤية الفتاة وربما الارتباط بها، بعث إليها رسـالة أخيرة قبل أن يعقد العزم على مفاتحة صديقه والاعتراف له بمكنون صدره ويضع الأمر بين يديه ليرى إلى ماذا ستؤول أموره.

_"أرجوك وأتوسـل إليك، سـأخبرك شـيئًا فقط أرجو أن تسـمعيه بأذنيك وأن يصـــل إلى روحك الطاهرة، ولن أنتظر ردًا منك فقط اسمعيني"

أرسل رسالته وانتظر إلى أن واتته الإشارة برؤيتها لها، قام بالاتصال بها فاستجابت صامتة بلا أدنى صوت من طرفها، قال لها هامسا وبتأكيد لا يقبل الاحتمالات.

_"ستكونين لي".

ثم أغلق حاسوبه قافزًا ليبحث عن شوقي ويخبره بكل ما حدث..

في منزل الجدة كان صديقه، ممسكًا برأسه منكفئا على فنجان قهوته الذي لم يســـمح له الوقت بأن ينهيه، فاجأه بزيارته بلا أي موعد ســابق بينهما خلافًا للعادة، وصــل إليه متعرقًا الجبين كمن يجاهد ألمًا لا قبل له باحتماله، ثم جلس مكفهر الوجه متلاحق الأنفاس بعد أن أفرغ ما في جعبته من رواية كل ما حدث منه وله معها، ظل منتظرًا منه أي رد فعل، لكن بلا طائل ربما أشـــفق عليه ومنحه الغفران وأتاح له الفرصة ليحيا من جديد فهو على أي حال لم يمضِ في إعجابه بها ولم يأخذ أي خطوة تجاهها على حد علمه، فهي كانت تحادثه طوال الوقت وهو على ثقة ويقين بأن ليس في حياتها متسع لآخر ..

_"ماذا؟ "

سؤال ألقاه عليه كتحصيل حاصل، كان كمن يقذف حصاه في بركة ماء، منتظرًا أي إجابة من ابن خاله، بينما قام الآخر بصعوبة مأخوذا شارد الذهن، لم يلفظ سوى بجملة واحدة:

_"سأصنع قهوة وآتيكَ..... رأسي يكاد أن ينفجر"

تركه يذهب وحده لصـــنع القهوة، أراد إعطاءه بعض الوقت ليهدأ ويستوعب ما قصه عليه وجلس شاغلًا نفسه بتفحص تفاصيل المكان التي يحفظها عن ظهر قلب فوقعت عيناه على حاســـوبه مفتوحًا باتجاهه نسيـــ أن يغلقه في غمرة توتره ومفاجأته، قرر أن يشغل نفسه بمتابعة ما تفعله إلى أن يحضر شوقي، ويطلب منها أن تدعو له فهو في موقف لا يحســـد عليه، بمجرد أن لمس مفاتيح الحاسوب أنارت شاشته فهو لا يضع كلمة سر له، وما حاجته لذلك

مادام يحيا وحيدًا ولا يشغله إطلاع أحد على خصوصياته، بالإضافة إلى أنه لا يســتعمل الحاســوب إلا في النادر فهو دائم التعامل مع الانترنت من خلال هاتفه، وعندما هم بإغلاق صفحة صديقه التي شغلت الشاشة أمامه، وقعت عيناه على جملة - أرجو أن يصل إلى روحك الطاهرة فقط اســمعيني_ فاتســعت عيناه على قدر اســتطاعتهما وهبط قلبه ما بين قدميه مثيرًا في عقله عاصــفة من التســاؤلات هل بعثت إليه بالرســالة التي بعثها هو إليها ؟ هل هي على علاقة به وتخبره بما كان بينهما؟؟؟ هل كلهن خائنات بالفعل كإيمانه الســابق؟؟؟ انتبهت حواســه وبدأ في تصــفح باقي الرســائل ليعرف المزيد ليصل إلى الحقيقة لم تكن رغد إلا شوقي ذاته!! مرت عشر دقائق عندما حضر صديقه ليجده متصلبًا أمام شاشة حاسوبه فسقط من يده فنجان القهوة محدثًا صوت، انتبه على إثره ناظرًا له نظرة فارغة من المعنى مادًا إليه كلتا يديه متسائلًا:

_" لماذا؟ أنا أخوك وصديق عمرك لماذا؟ .."

انهار الآخر على أقرب مقعد ناظرًا بين قدميه موجهًا حديثه له دون القدرة على رفع عينيه إليه..

_"سأخبرك بكل الحقيقة، ولا أطلب منك الغفران فأنا أعلم أنك لن تستطيع منحه لي، لكن لأرفع هذا العبء عن ضميري الذي ينصب لي كل يوم مقصــلة تصــيب كل ما في حياتي بدمار وموت أعياني إخفاؤه عن العيون لأحيا أمام الناس وأنا دفنت جثتي بداخلي، ما أنا إلا ميت يجيد التظاهر بالحياة، لم تكن تنظر إليك أنت بل كانت تنتظر ظهوري بكل ما شــاهدته في عينيها من لهفة، كانت حبيبة

صـــباي وكنا في انتظار أن أتخرج لأتقدم إليها، ظنت أنك على علم بذلك وتشـاكسـها على كونها عروس ابن خالك وأخيك القادمة إلى أن تقدمت لخطبتها أنت وعندما صـارحت أبي بما بيننا من مشـاعر أقســم على أنها لو كانت آخر فتاة على وجه الأرض لن تكون لي بعد خطبتك لها، فماذا يقول لعائلته وبماذا يبرر؟ كنت صغيرًا وضعيفًا، لا أملك من أمري شـــيئًا فأخبرتها بعدم قدرتي على المواجهة، وبالفعل تمت زيجتك منها ولحبك لها وظنك أنها كانت بانتظارك أنت كل يوم بالشرفة لم تلحظ عزوف مشـاعرها عنك، ومحاولتها إخبارك بأكثر من طريقة وفى أكثر من مناســبة عن حقيقة الأمر، لم تكن يومًا فتاة مسـتهترة ولا عاهرة، لم يحدث بيننا شيء مشـين كنا نلتقي بعد وفاة والدي ليبث كل منا للآخر لوعته ومشـــاكله وعبث القدر بمصـيره، لم نكن نعلم بأن تلك الشـقة التي أسـتأجرها عدة ساعات كلما أردت أن ألتقيها سرًا مكان مشبوه ومراقب فقط لم نكن نريد أن يرانا أحد فيجرح كبريائك قبل أن تطلب منك الانفصـــال لنتزوج بعد وفاة والدي وعدم وجود أولاد بينكما، لكن حال بين كل ذلك وبين ما كان سيحدث إصابتها الصادمة في مقتل حين اقتحمت الشرـطة الباب فانهارت أمامي، ولم أدرِ ماذا أفعل إلا أن أقفز من النافذة بلا وعى لما أفعل، كل ما خطر في بالي أنه يجب أن أهرب لأحاول معالجة الأمور بعد ذلك، لم يخطر ببالي أنها ماتت من هول المفاجأة"

توقف عن الاسترسال حين لمح امتقاع لونه أمامه واندهاشه كأنه لا يعلم عن ماذا يتحدث!! وانتبه إلى أن رد فعله لم يكن ليكون طبيعيًا لو أنه قرأ رســائله القديمة لها على حاســوبه، حيث كان يســتعيد

ذكراها قبل مجيئه ولم يتذكر أنه ترك صـــفحة رغد هي الأخرى مفتوحة فأردف بارتباك كأنها هلوسـة مخمور لا يعرف كيف يصـنع جملة مفيدة.

_" أنت.. أنت عن ماذا كان سـؤالك؟ أنت لم تقرأ رسـائل ثناء؟؟ اانا .. اااانا.. أنت قصـــدت رســـائل تلك الفتاة التي كنت أرســـلها إليك لأخرجك من حياة العدم التي تحياها، لأقنعك بأن هناك فتيات لسـن خائنات وأعيد إليك ثقتك بالحياة التي تسـببت أنا في فقدانك لها بلا قصـــد والتي كنت أموت ألف مرة كل ليلة وكل ســـاعة لعدم قدرتي على توضيح الحقيقة".

تحدث إليه أخيرًا بصـوت مبحوح كان يتحدث كشـخص ذبح للتو، مشيرًا إليه أن اصمت ثم جر قدميه إلى أسفل البناية ماشيًا أو زاحفًا بما تبقى له من إرادة على غير هدى يتردد في عقله صـــدى جملته الشهيرة

"كلهن خائنات" ..

تمت بحمد الله

الدُمية

بقلم رشا فوزي

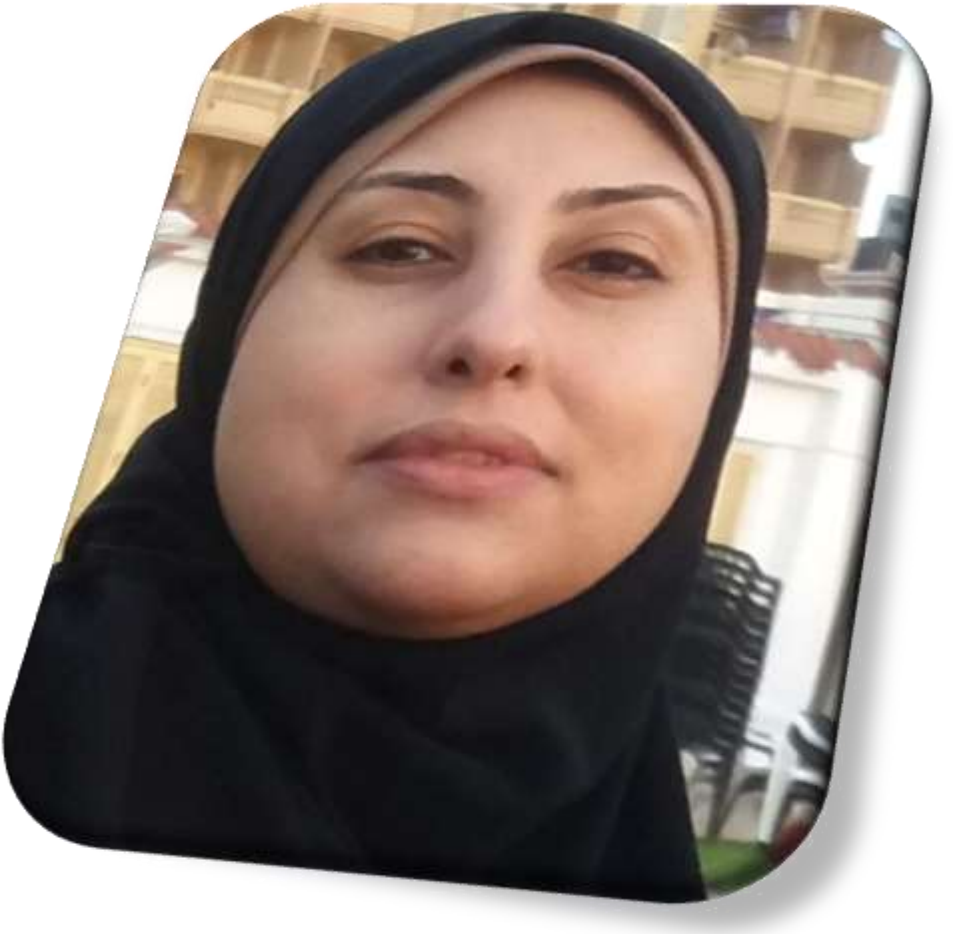

في عالم أُحكِمت فيه قبضة الرجال على أقدار النساء، كانت تقبع هي خلف واجهة المتجر اللامعة ترقب الأحياء بأعين زجاجية تشع براءة، في غدوهم ورواحهم، نظرات خلت من أي إحساس، تنتظر بلامبالاة اللحظة التي سيتم فيها بيعها لمن يستطيع دفع ثمنها! أقبل نحوها صاحبها يربت عليها بحرص، فهي سلعته النفيسة، ينتظر من وراءها ثروة هائلة!

- "خُلقتِ دُمية، وهكذا يجب أن يكن نهجك في الحياة!"

كان يردد تلك العبارة على مسامعها دومًا، لم تكن تعي ما الذي تعنيه أو ما الذي عليها فعله؛ لكنها لم تسأل قط! جاءها يومًا البحر راغبًا فيها، عارضًا لآلئه وكنوزه المخبوءة، وهو يخبرها وصاحبها بسماجة:

-" عليكِ أن تكوني سمكة من أسماكي، بالتحديد سمكة زينة!

نظرت المسكينة ببلاهة لصاحبها الذي سال لعابه، ليمسكها متجاهلًا نظراتها المصوبة نحوه بحيرة، ويلقيها في أعماقه، متمتمًا بجشع:

- "هي لك! "

غاصت وغاصت حتى القاع، شعرت بأنفاسها تتلاشى، هي تختنق، تغرق، لم تنفعها الأرض المعبدة باللؤلؤ والمرجان التي استقبلتها برياء مُرحِبة، لم تسعدها ألوان القاع المبهرة التي تبث بهجة مزيفة في النفوس، بينما تخفي خلفها ظلامًا دامسًا ينضح كآبة.

مع الوقت ظنت أنها أصـــبحت غير مرئية، أو ربما غير موجودة من الأســـاس، حتى التقت به، كان يبدو كعريس من عرســـان البحر، خياليًا، فاتنًا، جســـورًا، والأهم أنه يراها وفي لحظة من لحظات الشوق سرقها فارًا بها إلى حيث الشمس مرة أخرى، أخذت تعُب من الهواء وهي تظنها الحرية، الحرية والحب، يا له من حلم جميل، أفاقت منه على صوته ساخرًا:

-" هنا الأرض عزيزتي؛ وعليها لا يوجد شيء بلا ثمن!"

ثم همَّ قابضًا على معصمها يطوقه بقوة، وقد استحال إلى كرة نارية ملتهبة، وأردف:

- "أريدك لهيبًا من لهبي، تحرقي، تدمري، تعيثي فيها فسادًا!"

معه كانت روحها تحترق رويدًا .....رويدًا حتى صارت رمادًا منثورًا على جوانب نفسها الشقية، فعاشت معه جسدًا بلا روح، تتخبط بين جانبي الدنيا بلا هوادة، ترقص على صـــخب لياليها الداعرة كالممســـوســـة، حتى رأت آخر يومًا مقتحمًا أرض الحمم التي اســـتوطنتها مع كرة اللهب، جاء محاربًا، مجاهدًا، رافعًا راية، ظنته قادمًا من الســـماء، ظنته الخلاص، انتشـــلها من براثن كرة اللهب، كاسـيًا عُريها سـوادًا، محلقًا بها في عالمه القاحل المقفر، لتكتشـف بعد فترة وجيزة، أنه ليس ســـوى قناصًـــا مأجورًا منزوع القلب، وهي غنيمته بل عبدته وأقل من ذلك شـــأنًا! كانت تســـليته معها إماتة لقلبها لتصـبح مثله، وقد كان له ما أراد، فصـارت بلا روح ولا قلب، بأعين زجاجية تشـــع برودًا، نظر فيهما القناص ذات يوم وهو يقول لها:

-" أريدك سهمًا مسمومًا من سهامي أطلقه إلى صدر ضحيتي؛ فأرديه قتيلًا! "

وأشـــار إليها حيث المتجر ذي الواجهة اللامعة، فهزت كتفيها باستهانة، وسارت نحوه. وعندما دلفت إليه، وجدت من كان يومًا صاحبها، يستصرخها باستعطاف:

-" دُميتي! "

أقبلت عليه ببراءة مصطنعة؛ حتى بلغته، وما إن تمكنت من رقبته؛ حتى نحرتها دونما طُرفة عين، ثم مضـــت ملوثة بدمائه، قابضـــة بيدها على ســـكينها تقطر دمًا، نحو الواجهة اللامعة، ترقب الأحياء في غدوهم ورواحهم بأعين زجاجية تشع قسوة، وهي تمتم بخفوت:

- ولقد أدركت نهجي جيدًا!!

تمت بحمد الله

لوحة من ثلاثة أحرف

سدى خورشيد

شعور غريب بالسعادة يتلقفني وكأنه شخص عزيز، قد غاب عنه قرونًا مقفرة فاشتقت إليه, أغمض عيني بقوة وأستمتع بشعور الدفء الذي يملأني حد التخمة بين ذراعيه, أشعر بنبضاته تضرب فوق ظهري ويداه تحيط خصري بينما قدماه تكبل حركة قدميَّ, جسدي مستكين في أحضانه وكأنه أخيرًا قد وجد موطنه, رغبة مجنونة تراودني في أن أصرخ الآن وأخبر العالم كله كم أحبه, أن أستدير وأقبله فيتململ من امرأته المجنونة قبل أن يبتسم كالعادة ويخبرني كم يستلذ بالوقوع في الحب مع طفلة متهورة مثلي ..ولكن لا, اليوم بالأخص لا أريده أن يستيقظ, ليس الآن, فأنا أريد مفاجئته بما قد خططت له بالفعل, أعلم بأن اليوم سيكون حدًا فاصلًا في حياتنا, شيء ما سيتغير, قلبي يخفق لمجرد الفكرة, رفعت أنامله أقبلها غير قادرة على منع رغبتي في ذلك, تلك الأنامل التي ربتت فوق خصلاتي بحنو, وجذبتني لأحضانه بتملك, والتي تفننت في صنع القهوة التي أحبها كل صباح, أنامل حطمت بقسوة أوجه بضع ثملين حاولوا التجرؤ عليَّ في تلك الليلة من شباط مذ ثلاثة أعوام وكان هذا لقاءنا الأول, ولم ندرك حينها بأنها البداية وأن القدر يحيك حولنا تعويذته الخفية ويربط أرواحنا بشرائط كيوبيد الحمراء, حيث نشأت بيننا علاقة لم تتعد النظرات, حلمت بهِ ليلتها وكأن السماء سمعت لأمنياتي السرية, توالت الصدف بيننا, نفس المكتبة, نفس المقهى والكتب ذاتها, وسباق نظراتنا التي تتلاقى بين فنية وأخرى وقد كنت الخاسرة دائمًا, كنت أهرب بابتسامة مترددة, خجلة, وشعور غريب بأننا على معرفة قوية ببعضنا البعض, لعلنا كنا معًا في زمن ما, عصر آخر أو حياة موازية,

كل ما أعرفه هو أن كلما مر الوقت تحولت تلك الشرائط الحمراء إلى أنسـجة تتغلغل بلا عناء إلى أوردة القلب لتصـلنا معًا, ومهما حاولنا التملص منها تعيدنا مجددًا إلى نقطة الالتقاء ذاتها, حتى أصـــبحت الصدف لقاءات مدبرة, بدأت بخطأ في خلط أكواب القهوة ..

بات كل لقاء بيننا معبرًا, رواقًا آخر يحتله ويقطف من بتلاتي بتلة ليمنحني بدلًا منها برعمًا يتفتح على يديه, كنا نتبادل النقاش حول الكتب وكان يدهشني بأفكاره الصادعة, كان ثوريًا أمام الكلمات وكثيرًا ما كان يسخر ويخبرني أن الكتب لها أصوات وأرواح بعضها:

_ "وئد قبل أن يولد "

وقد اعتنقت مذاهبه في الحياة، في الكتب، وفي الحب.. ثلاثة أعوام كنا نتلاقى بحجج وهمية نبرر بها تصرفاتنا ومشاعرنا غير المفهومة، تلك التي أرجحتنا فوق هضـــاب من الغيوم الوردية, وفي ذلك النهار انتفض من مقعده بالمقهى أمام صـــدمتي وتحديق البعض بنا وأخبرني بصوت قاطع هادر :

_" فلنتوقف عن المراوغة يا أثير، تبا لكِ، أنا أحبكِ، ألا تدركين! تزوجيني فأنا لن أنتظر أكثر من هذا، أتفهمين!

لم أكن أتخيل أن يأتي عرضـــه بتلك الطريقة البوهيمية، ولكن لا تسألوني عن الحب من ثوري لم يتقن في حياته سوى الاقتحام كما فعل بقلبي وروحي ولم أدرك الموقف، وسط إعجاب وصفير البعض سقطت في هستيريا غريبة من الضحك, ضحكت كثيرًا على هيئته القتالية, المتحفزة كمن يعرض الحرب لا الحب والفرق بينهما راءًا

بدأ بها اسمه "رعد ", ومن يستطيع الصمود أمام الرعد ؟!, وافقت ووقتها فقط اســـترخت ملامحه وانتبه لما فعله، بدا وكأنه يحارب حتى لا يجاريني في الضـــحك واكتفى بانحناءة تمثيلية ســـاخرة للجمهور المتابع, جلس وأمســـك بأناملي بين أنامله وأومأ برأســـه لأقترب منه أكثر كمن يريد الهمس سرًا وعندما اقتربت قال :

_"كيف للأثير أن تهزم الرعد ؟!، أحبكِ مجنونتي الصغيرة "

شفتاه داعبت باطن أناملي بقبلة طويلة شعرت فيها بأنني مقدسة، بينما حوارٌ سري يجري بين أعيننا, وحيدان في عالمنا.

أتى زواجنا سريعًا, جنونيًا, حينها سرقني وســـط ذهول الحضـــور وحملني بفســـتاني الأبيض إلى الســـيارة التي تنتظرنا بينما يودعونا بهتافات وصـــفير وتصـــفيق قوي وضـــحكات قد جعلتني أنطوي في صـــدره خجلة بينما هو شـــاركهم الضـــحك, لازالت تلك الأصـــوات تصـــدح في أذني حتى الآن, لازال يتردد صـــداها المطرِب كســـيمفونية عزبة لم يخلق مثلها قط ..والآن أنا امرأته, فتاته الصـــغيرة وعشـــيقته الشرعية كما اعتاد أن يهمس لي, تحركت بخفة أتســـلل مرغمة بعيدًا عن رائحتـه الـدافئة وعطره الـذي لا يزال عـالقًـا فوق كل أنش من جســـدي, وقفت أتأمل بعثرته المحببة وخصـــلاته المتمردة, ذقنه المشـــذب وجســـده الضـــخم المنحوت الذي ترك الفراش بأكمله واختار البؤرة الوحيدة التي استوطنها جسدي الصغير ليفرض عليها اســـتعماره, ولكن عينيَّ توقفت بزهو ورضى أمام دبلته الفضـــية في بنصره الأيسر, ابتسمت لنفسي, أهنئها على زوجها الوسيم والوقح جدًا عندما يرغب بذلك, أغمض عينيَّ عن ذكرى كل تلك الليالي

بيننا لقد مر على زواجنا ثلاثة أشــهر ولازلت أشــعر في كل مرة وبين ذراعيه بأنني بتول لم تذق طعم التفاحة المحرمة, سرت على أطراف أصــابعي لآخذ حمامًا سريعًا وبنفس الخفة انتقلت إلى حيث الخزانة ألتقط الثياب بعشوائية وسرعة وأنا أنظر إليه من فترة لأخرى لأتأكد من أنني لم أزعج غفوته, أرتدي بعجالة وأبتســم كمراهقة تفر من منزلها خفية, ولكنه سيتفهم عندما يعلم بأن حواءه تمتلك ما سوف يكلل عشقهما ولحظاتهما المحمومة, تحتاج فقط إلى إثبات ذلك..

ودعته بنظرة أخيرة بعد أن فحصت هيئتي الجديدة، ذلك الانعكاس السعيد لصورتي في المرآة، شيءٌ ما لم يعد يشبهني ولكنني سعيدة، ســعيدة جدًا بتلك التي أراها لأول مرة، خرجت ومن حســن حظي وجدت سيارة أجرة فارغة:

-" المركز الطبي إذا سمحت "..

تحركت السيارة بسرعة متوسطة لشدة الغيوم والضباب المحيط بالأجواء، إنه الشتاء، دائمًا ما يتعلق هذا الفصل بالحكايات وحكايتي كانت جزءًا منه.. لقاءنا، زواجنا، والآن.. رفعت عيني إلى الزجاج المغلق أرى انعكاسي المتوتر، أتســاءل إن كان هذا هو شــعور المرأة عندما تمتلك جزءًا أخر بداخلها، كائنًا صــغيرًا خلق من العشــق والجنون، أمرر أناملي فوقه وأعلم بأنه يسكن هناك، في أحشائي.....

_"أنا أيضــا يا صــغيري أتلهف لإثبات وجودك، أتحرق إلى زف الخبر إلى أبيك، كم أتوق لرؤية نســخة أخرى منه مصــغرة، نســخة تجمع بين نبضاتي وجيناته، دعنا ننتظر يا صغيري "

أبتسم له ولنفسي- ولمخيلتي الخصبة في استشعار جنس الجنين:

_ "أنه ولد "

أشعر بذلك.. أتابع موجة الغيوم التي رافقت السيارة في سيرها وأحاول تخيل سيناريو آخر ضمن عشرات السيناريوهات التي نسجتها عن رد فعله عندما يعلم، كم تخيلت هذا مرارًا كثيرة حتى قبل زواجنا

توقفت السيارة أخيرًا أمام مبنى أبيض شاهقًا، زينته لوحة عريضة زرقاء مخطوط فوقها _المركز الطبي العام _ ترجلت بأنفاس مثارة وطردت ما تبقى من قلق في زفير طويل حار تسلل إلى الأعلى ببخار رمادي، شققت طريقي، أضم معطفي إليَّ وأحكم غلقه على طفلي الحبيب، آكلة المسافات بلهفة مشوبة برجفة توتر

_" إنها فقط مرتي الأولى، ليس هناك شيء يدعو إلى القلق"..

أخبرت نفسي بذلك:

_ " وفي المرة القادمة التي آتي فيها إلى هنا سأكون متشبثة بذراع رعد، أبيكَ، أعدكَ يا صغيري"

كانت الإجراءات سريعة وسلسة بفضل حجزي المسبق في قسم النساء والتوليد, شعرت بنظرات الممرضات الغريبة مسلطة عليَّ وغمغمتهن تلاحقني أو ..لعلي تخيلت ذلك, فكل شيء يبدو مهيبًا هنا, حتى عندما جلست في قاعة الانتظار بين مجموعة من النسوة الحوامل شعرت بأنني فردٌ مختلف, قطعة ناشز بينهن, رأيت بروز

تكوير حمل بعضهن بشكل لافت, وأخريات ضممن إلى صدرهن أطفالًا حديثي الولادة, وامرأة توبخ ابنها الذي تخطى الرابعة لجلبة حركته, أمرر عينيَّ بين هذه وتلك وأرى أناملهن تحيط أجنتهنَّ بمحبة وخوف بينما أنا لازلت أملك معدة مسطحة, حركتُ أناملي فوقها بابتسامة خافتة وقلب ينتظر بشوق امتلاك ذاك التكوير الذي لا يشبه أي شيء آخر, لن تهتمي كثيرًا لوصفات الرشاقة ولا بمظهر جسدك بقدر ما ستتفاخرين بذلك التكوير الذي يثبت ملكيتكِ لرجل واحد, رجل تعشقينه ويقدسكِ ليختاركِ من بين النساء جميعا ويزرع نسله فيكِ, طفل تنتظري سماع خفقاته, جزء آخر منكما ينبض بداخلكِ, أمر لا يوصف, أشبه بالمعجزة .

_ "السيدة أثير عز الدين"

وقفت بخفة ونبضات قلبي تتسارع، ابتسامة لم أستطع كبحها وخفقة قوية شعرت بها بداخلي.

_ " لا تقلق يا صغيري، أنا هنا معك "

ربتت عليه وتبعت الممرضة داخل الرواق حتى غرفة الطبيبة وتركتني الأخرى لأشق طريقي بنفسي إلى الداخل, كان استقبال الطبيبة مريحًا ومطمئنًا حتى أنني نزعت عني قلقي وتوتري وتجاذبت معها أطراف حديث سطحي عن الحمل قبل أن تطلب مني أن أتبعها إلى غرفة الكشف, استلقيت فوق الفراش الجلدي ورفعت الشرشف الأبيض فوقي, بينما كانت تتحدث عن الفحص وكيف تسير الأمور فيه حتى تجعلني أكثر استرخاءً, ولكن بدأت أشعر بالقلق عندما توقفت عن حديثها ورفعت عينيها إلي ..لم أستطع

تفسير تلك النظرة الغريبة وشعرت بنبضاتي تصعد إلى حلقي, غصة مُرّة تخنقني, عصرت الملاءة البيضاء بقوة بين أناملي, وأنا أراها تنزع القفازات الجلدية من يدها وتشيح بعينيها عني :

_" يمكنكِ الاعتدال.."

تحول توتري فجأة إلى خوف، كأنني سقطت في سرداب مظلم على وشك الانهيار، أراها تهز رأسها باستهجان وتخرج بينما ضربات قلبي تثور بضجيج لاهث، رتبت ثيابي بعشوائية ويداي ترتجفان, أحاول في تلك الثواني القصيرة تخيل ما يمكن أن تقوله الطبيبة ولكن كلا, عقلي بدا وكأنه تُرك عند ذاك السرداب المظلم, عاجزة عن التفكير .. خرجت وكأنني ألفظ من الجحيم، وقفت أمامها أنتظر بين خيوط الأمل والخوف أن تفصح عما لديها ولكنها بدت غير متعجلة بالحديث وأشارت بهدوء مهلك لأعصابي بأن أجلس:

_"من فضلك "

جلستُ راضخة وعيناي لا زالتا تأكلان حدقتيها تحاولان سبر أغوار عقلها ولكن لا يمكن أمام تلك النظرة الباردة والوجه الجامد العملي لطبيب، أن تعلم ما إذا كان سيخبرك بحتمية موتك أم سيزف إليك نبأ الشفاء, أناملي تتحرك فوق الدبلة, تحركها بقوة, بينما أصبحت دقاتي على مشارف الجنون معلقة نظراتي فوق شفتيها أنتظر أن تتحرر من لجام صمتها, دقيقة, اثنين, ثلاثة بدت أصوات عقارب الساعة قوية, إنها تنزع عيناتها وتضعهما بهدوء على المكتب وها هي شفتيها تتحرك أخيرًا ولكن لمَ يبدو الحديث مذبذبًا !, أشبه

بأســطوانة (جراما فون) ممزقة, نشــاز غير مفهوم, تقول شيء ما, شيء أعجز عن استيعابه, رأسي يلتقط بضع كلمات متفرقة :

_ " متزوجة، زوجكِ، كاذب، آنسة..!"

كلمات أشبه بالأحاجي المبعثرة:

_ "ما الذي تقوله! .."

شيءٌ ما يخنقني بقوة وكأن الغرفة امتلأت فجأة بدوامات من الغبار، وقفت وتحركتُ مبتعدة، أجرُّ حقيبتي بينما أســتمع لصــوتها الفَزِع من خلفي :

_"آنسة أثير! "..

"آنسة!"

أشـعر بالعجز, قدماي تتخبطان في السير وكتفي يضرب هذا في ذاك وتلك وأصـواتهما الحانقة, الغاضـبة تشـيعني, أكاد أتعثر في خطواتي, لا أرى أمام تلك الغشـــاوة التي غيمت نظراتي شـــيئًا, لفظني الباب الرادار من المشـــفى إلى ذروة الرياح المهتاجة, ألهث وأنا أحاول دفع الأكســجين البارد إلى رئتيَّ المتوقفة, أبحث وســط الضــباب بعينيَّ التائهتين عن ســيارة أجرة ولا أعلم كيف أو متى وقفتْ إحداهن لي, صـعدت مغيبة وقلت شيء لا أعلم ماهيته ولكنه حتمًا شيء دفعته لينطلق, ليشق طريقه بسرعة مخيفة, تتشبث يداي بقماش المقعد الجوخ وكأنني في مكوك على وشـك الارتفاع لمائة ميل فوق سـطح الأرض, وسط كتل من الغيوم أتدحرج إلى الأسفل, أرى أضواءً تتلألأ بعيدًا, أسـقط مرة تلو الأخرى بينما تتقلص المسـافة بيني وبين تلك

الأضـواء في الأسـفل, صـوت هدير السـيارة يعلو, وزمجرة عجلاتها تصدح, أصوات أخرى مختلطة تقترب, وكروح سقطت من السماء تهاديتُ بقدميَّ فوق الرصـيف الأسـفلتي, سـيارات كثيرة ممزوجة بعجيج أشـخاص متجمهرين حول دائرة تتسـع كلما ازداد عدد المتفرجين, عينيَّ تضيع في ذاك المشهد الذي يظلله انعكاس وميض إنذار سـيارة الإسـعاف بلونيه الأزرق والأحمر يتسـاقطان فوق برك الميـاه ليتحول الوحـل الزلق إلى ألوان قوس قزح, حركـة المرور متوقفة بينما أنكمش أكثر في الزاوية, أشـاهد ما يحدث, هرولة المسـعفين هنا وهناك وصريخ إحداهن, وشرطي يمسـك بتلابيب رجل مخمور:

_ "أيها اللعين، أريت ماذا فعلت! إنه شـاب في مقتبل العمر، عريس !!"

أتابع بعينين جاحظتين وأنفاس مختنقة، دقات قلبي تصـدح بقوة كضربات طائر الطنان، عيناي تحارب لترى من بين الأقدام والحركة ذاك المسجي أرضًا, رأيت زهرة بيضاء ملقاة, مدهوسة وقد تخضبت بالدماء, أتقدم بضع خطوات, أحاول إزاحة بعض الأجساد من أمامي ولكن يدي تخترق أجسـادهم !, إنني طيف ..أسـتطيع المرور من خلالهم ورؤية ما يحدث .. عبرت الحائط البشري بلهاث متزاحم.. ورأيته، سحابة مالحة غشيت عينيَّ الزائغة وأنا أرى نفسي- ساقطة فوق جسـده المتهالك أرضًـا بفسـتاني الأبيض، أسـحب رأسـه إلى حضني أصرخ بهم..

_"فليسعفنا أحد! "

أهز رأسه، وأصرخ به:

_" أفق، أرجوك، إنه يوم زفافنا, لا يجب أن ترحل هكذا, لن أسمح بأن تضيع مني, أتفهم "

تتحدث، تبكي وتصرخ، أما أنا فانحنيت ألتقط تلك الوردة البيضاء وأمدها إليها، إلى شبيهتي، وعندما رفعت عينيها المغرورقين بالدموع في صدمة ونظرت إليَّ نطقت ثلاثة أحرف فقط، توقفت عندهم الحركة والزمن, ثلاثة أحرف بسيطة يمكن أن تبدأ بهم قصة ويمكن أن تنتهي ...

" عشق أو موت"

أغمضت عينيَّ بقوة، أنفاسي تحترق، أحاول إخراس الأصوات، بينما جسدي يرتعش، يحتضر.. أشعر بالعرق يبلل جبهتي وعنقي، زفراتي محمومة، ثلاثة أحرف فقط..

_"سيدتي، سيدتي.. لقد وصلنا"

نظرة السائق المرتابة جعلتني أتساءل إن كان رأى ما رأيت؟! ولكن بنفس التيه خرجت من السيارة، أشعر بحرقة في حلقي، أهرول وأبتعد عن كل تلك الصور والأصوات، وشفتاي ترددان الأحرف الثلاثة.. يداي تسقط فوق الجرس أتجاهل وجود المفاتيح داخل حقيبتي، أضغط بجنون علَّ صوت الطنين يخرس تلك الأصوات.. أنتظره، أنتظر أن يفتح ولكن رأيت وجهًا آخر، خطَّ الحزن والوهن خطوطه فوق ملامحها، استقبلني سواد ملابسها القاتم كان أشبه بملزمة تسحق روحي وتطحن رفات الأمل بداخلي

_"إلى أين ذهبتِ يا أثير، لقد متُ قلقًا، ابنتي ما بكِ ؟!"

أتأرجح في دخولي، أبحث عنه بعينيَّ المضطربتين، عليه أن يفسر لي ما يحدث، عليه أن ينفي كل تلك الأكاذيب، أن يخبرني أن ذلك ليس سوى كابوس يتكرر، أفتش في كل ركن ولا أثر له, أهرول إلى غرفتنا, أدفع الباب بقوة وأراه هناك واقفًا بجوار فراشنا وقد وضع عليه وردة بيضاء رأيتها مسبقًا, يبتسم بغروره الذكوري ونظراته تشملني باشتياق اعرفه تمامًا.. لثلاثة أشهر كانت تلك النظرة لا تفارقه، كدت أن أبتسم أيضًا وأركض إلى ذراعيه المشرعتين أمامي تغريني على الارتماء فيهما لولا ذاك الصوت الذي عاد إليَّ مجددًا، صوت أصبح واضحًا الآن، قطع الأحجية تكتمل والصورة تتجلى تدريجيًا أمامي وتقتل ابتسامتي في مهدها، صوت الطبيبة البارد...

_"أستاذة أثير قلتِ إنك متزوجة مذ ثلاثة أشهر!، أين زوجكِ؟! حسنًا، أنا بالفعل لا أعلم ما الذي تشكين منه على وجه التحديد ولكن لا يمكن أن يكون ذلك حمل، وكنت لأخبركِ بأنه ربما حمل كاذب لولا أنكِ.. آنسة.. "

ذلك كذب، حتمًا كذب، أشعر بنيران الغضب تؤرج بداخلي، كيف له أن يبتسم هكذا؟ أن يكون هادئًا وسعيدًا بهذا القدر؟

أعصابي تتهالك أمام هدوءه المستفز، لم أشعر بنفسي وأنا بكل ما أحمل في قلبي له من عشق، غضب، خوف وألم.. أصرخ بهِ:

_" رعد عليك أن تخبرني ما الذي يحدث، عليك أن تفسر لي ما قالته الطبيبة، كيف ذلك؟, نحن معًا مذ ثلاثة أشهر, كيف يمكن أن .."

يدٌ واهنة تسـقط فوق ذراعي، تسـحبني إلى حضـنها بقوة وصـوتها الباكي المتألم يخرج بحشرجة تمزق نياط قلبها:
_"أتوســلك يا أثير لا تفعلي هذا، لا تفعلي بنا هذا يا ابنتي، قلبي يتمزق لرؤيتك هكذا"
-"لا "
انتفضــت من حضــنها بالقوة ذاتها ونظرت إليها، أمســك بذراعيها وعينيَّ شاخصة في سواد حدادها، أشكوه إليها:
_" إنه لا يجيب يا أمي، رعد لا يجيب، أهو غاضــب مني؟! ألانني خرجت دون علمه!، لمَ ترتدين السواد؟!! "
_"أرجوكِ يا ابنتي، لا تفطري قلبي وادعي له بالرحمة"
"الرحمة "

نظرت إليه مجددًا ووجدته ينطق الثلاثة أحرف ذاتها مبتسمًا ورأيت نفسيـ أرددها خلفه وأنا أتابع ابتســامته التي بدأت تتلاشى تدريجيًا مع علو أصوات الضجيج حولي مجددًا..
_ "مات "

صريخًا في كل مكان وتلك الصــورة وســط جلبة الأبواق وتعطل الحركة, أرى نفسي جاثمة بجوار بقعة دماء دافئة تتسع وتفقد بريق لونها ببطء وجســده المســجى أرضًــا ببذلة العرس وزهرة التوليب البيضاء التي انتقيتها خصيصًا له لتزين سترته أصبحت الآن مشبعة بالدماء, دماءه هو, دماء نصــفي الآخر, دماء زوجي أمام الله وحبيبي الذي لم يَفِ بوعده لي, رحل وترك نقطة النهاية في منتصف السطر ما بين فراغين قد تركناهما لسرد أحلامنا فوقهما, منزلنا الدافئ,

أحاديثنا الليلية, وضحكات أطفالنا, حتى لقد اخترنا أسمائهم سويًا ولكنه رحل قبل أن يدس نسله بداخلي, تركني دون إنذار, بفستان زفاف صبغ بدمائه وقلب وسم بهِ , رحل وترك كل وعوده لي تتمزق, خاوية بلا روح, بلا صغير يشبهه يذكرني بهِ, كل ما أملك هو طيف, طيفه الذي تدثرت بهِ لثلاثة أشهر من الوهم اللذيذ, أرسم فيهم لوحة قد حلمنا بها مرارًا ولم أدرك بأنها فاسدة دونه فلم يعد لها ملامح , وبثلاثة أحرف فقط, تحولت من لوحة عشق إلى لوحة فقد.

تمت بحمد الله

راية حب

رضوى جاويش

كان يتهادى إلى مسـامعه من ذلك المقهى على الجانب المقابل من الطريق، صـوت الشـيخ عبد الباسـط صـادحا بإحدى آيات الذكر الحكيم، وهو يقف خلف تلك الشـجرة العتيقة يتحسـس نحتا لحرفين متشـابكين على جذعها الضـخم، ويرفع نظره إلى إحدى الشرفات لعله يرنو إليها ولو لمرة أخيرة. اسـتند بظهره المتيبس على شـجرة الذكريات تلك، يتذكر ما فات وعيونه تهزها دموع حارقة، أبت أن تخضـع وتُهدر على خديه. جاد بنظرة أخرى على نفس الشرـفة، لابد وأنها تغط في نوم عميق فالسـاعة الأن قد تجاوزت الخامسـة صباحاً بقليل. كل شيء لازال ساكناً، إلا صوت الذكريات الصـاخب في كل ما يحيط به، شرفتها وشرفة منزل أبيه وشـجرة الحروف هذه التي جمعت حروف اسميهما متعانقين حتى اللحظة، والمقهى البلدي الذي تحول مع الزمان إلى مقهى حديث والذي انتهى من الوصلة القرآنية الصباحية الجالبة للبركة. لتصدح أم كلثوم برائعتها الأطلال.. والتي كان من عادة صـاحب المقهى افتتاح اليوم بها ويبدو أن ذاك التقليد لم يقطعه ورثته حتى الأن فها هي تصدح..

هل رأى الحب سكارى مثلنا.. كم بنينا من خيالٍ حولنا

ومشينا في طريق مقمرٍ.. تثب الفرحة فيه قبلنا

وضحكنا ضحك طفلين معاً.. وعدوّنا فسبقنا ظلنا

كاد أن يضع كفيه على أذنيه رغبة في منع سماع الكلمات التي تصل لمسامعه لتكون كمن يضع الملح على جراحه والتي لم تندمل بعد، ويبدو انها لن تندمل أبدا، فهي لا تزال حية على حالها وكأنها منذ الأمس القريب، ولم تمضيـ عليها كل تلك السـنوات... لايزال يرى

الأنوار تزين المنزل بطوله وعرضــه، أنوار زفافها، لازالت تلك الأنوار تسطع في ذاكرته كوخزات من إبر، وأغاني الزفاف كنعيق بوم وغربان في يوم شــؤم، ومن أعاجيب القدر أنه نفس اليوم الذي اســتلم فيه جواب تعيينه في إحدى المناطق النائية، وكم حمد الله على ذلك. الأن يتذكر كيف رحل هربا، من الأنوار ومن الأغاني ومن الذكرى ليرحل بعيدا يلعق جراحه وحيدا لعلها تندمل في البعد...

لا أحد يموت من الحب، هكذا أخبره أباه عندما رأى حالته التي يرثى لها عندما علم بخطبتها وأســوء حالاته على الإطلاق، يوم زفافها، يوم أن خلف الدنيا بأسرها وراءه ولم يعود أبدا...

أحقا لا أحد يموت من الحب!!؟؟ إذن لما يشعر حقا بأنه ميت منذ أن رحل عن هنا، منذ أن رحل عنها... يتنفس، يأكل، يشرب، لكنه لا يحيا، روحه فارقته منذ وطأت أقدامه خارج حيهما، ولا يشــعر بالحياة إلا هنا.

يأتي يتزود بمخزون الحياة كل فترة ويعود من حيث أتى، يكفيه أن يتنفس نفس الهواء الذي تتنفسـه ليعبر إلى رئتيه محملا عبقها حتى يشعر بالحياة تدب في أوصال روحه السقيمة التي لا علاج لها... إلا هواها.

انتفضـت روحه كطائر ذبيح عندما شـعر بكف يحط على كتفه، لم يكن بحاجة ليســتدير ليدرك بأنها هي، نعم هي روحه المنتشــية تخبره بأنها هي، قلبه القافز المتوثب بين أضلعه يخبره بأنها هي.

-لازال بإمكانكِ ايجادي أينما ذهبت!!؟؟

قالها في هدوء يناقض براكين الشوق التي تلقي بحممها بصدره، وهو يضع كفه على ذاك الكف الرقيق المتوسد كتفه، لا يجرؤ على الاستدارة ومواجهتها، لكنها أجابت وهي تلتف لتقابله، وتتلاقى القلوب قبل الأعين العطشى..

-كيف لا أجدك!! كيف لا أجد تلك الروح التي احتلت روحي بديلا عن روحي...

رفع رأسه والشوق يعصف به، ليلتهم ملامحها المحببة بعينيه المشتاقة، يا إلهي حتى الزمن توقف عندها... ولازالت تملك نفس العيون الرائعة، والوجه البريء والروح الوثابة التي طالما عشقها، ربما لأنه يراها بعيني قلبه. يجد أنها لم تتغير، لم يمر الزمان عليها يصبغها بريشة الأيام والليالي التي تزيدنا عمرا وقهرا وسهادا..

إنها هي وكأنما تركها بالأمس القريب، وقف يبتهل في محرابها، يتعبد في حرمها، لا يعي شيئا مما يدور حوله.

مدت يدها لتحتضن كفه وتجذبه خلفها، سار وراءها كالمسحور، كطفل مطيع يتبع أمه ليعبرا الطريق، لم يكن يمانع أبدا، يكفي أنه معها، كفها تحتضن كفه ليسير خلفها لأخر الدنيا ولا يبالي. جلسا على إحدى طاولات المقهى الخارجية، نظراته لازالت معلقة بها تأبى مفارقتها، لم ينتبه للنادل الذي جاء ليدون طلبهما:

-فنجانا قهوة سكر زيادة.

قالتها بثقة تطلب له عندما وجدته شاردا ولم ينتبه لمجيء النادل..

-ألازلت تذكرين كيف أحب قهوتي!!؟؟

أومأت برأسـها ودموع ذكرى محببة تطل من عينيها يلمحها شـاردة تطل على الرصيف الأخر حيث كانا منذ قليل:

- أتذكر!!؟؟ كنّا نتفق لنشربها حتى نسهر لنستذكر سويا ونفاجأ أننا أطفأنا أنوار حجرتينا في نفس اللحظة لننام.

انفجر ضـاحكا ولأول مرة منذ سـنوات يضـحك من قلبه، اسـتدرك هو:

-لم يكن هناك شيء يمنعنا النوم قريري العين... أما الأن فما حاجتنا للقهوة والسهاد هو رفيق لياليا الذي لا يفارقها..

أومأت برأسها موافقة:

-هل تزوجت؟؟

سألت في اضطراب تحاول ألا تقابل عينيه.

-أوتسألين!!؟؟

سـأل متعجبا، ولكن أنتن معشرـ النسـاء تسـألن وأنتن موقنات الرد فقط لتطربكن الإجابة.

ابتسمت في خجل وقد وصلها رده قبل أن يجيب، استطرد بصوت يقطر ألما مع كل حرف من حروف كلماته:

-كيف اتزوج بلا روح بلا قلب بلا أمل في حب جديد، فقد استنفذت كل طاقة الحب التي أملك في حبك الذي تملكني. صمت قليلا وهو يزدرد ريقه، ثم اسـتدرك، لم يكن باسـتطاعت الظلم وقد ذقت مراراته وتجرعتها حد الثمالة، لم أكن أسـتطيع الارتباط بامرأة أخرى

أعلم علم اليقين أنها لن تســتطيع الدخول لقلبي الذي أوصــدت أبوابه خلفك للأبد.

تساقطت الدموع الحارة على وجنتيها وهو يستدرك قائلا:

-يكفيني أني احتفظ بجزء منـك، يكفيني أنى أحتفظ بجزء منـك، يحمل رائحتك، احتفظ به دائما بجوار قلبي. شــهقت عندما أخرج منديلها الذي يحمل أول حروف اســمها، زادت دموعها جريانا على وجنتيها ومدت كفها من خلف غمامة دمعها وهي تتلمس منديلها:

-هل عثرت عليه!!؟ سألت في ذهول...

-هو أخر ذكرى منكِ، أخر ما تركته خلفكِ، كيف لا اجده وكيف لا أحتفظ به وهو الدليل الوحيد على أن حبي لازال عالقا بقلبكِ!!؟؟

مد كفه ليمســح دموعها المنســابة وعيونها معلقة بعينيه تارة وبمنديلها تارة أخرى:

-يوم زفافي تسـللت من غرفتي وصـعدت إلى سـطح منزلنا حيث كنّا نتقابل وتركته بعد أن علقته على إحدى الأحبال هناك، تركته يرفرف كراية حب، وقد أجاد عمله وبلغ الرسـالة بأمانة شـديدة. وابتسـمت من بين دموعها في حبور.

وصــل النادل بالقهوة أخيرا، فمدت كفها تلتقط فنجانها وتمد اليد الأخرى أمامها على الطاولة، حذا حذوها. ارتشــف قليلا من قهوته ومد يده لتظلل كفها الممدودة أمامه، ارتجفت كالمصــعوقة كادت أن تســكب قهوتها، لكنها تركت كفها تختبئ تحت كفه كعصــفور يحتمي بجاحي أمه.

أخرج من ســترته علبة من المخمل، فتحها وأخرج محتواها... خاتم زواج، نظر إليه بين أصــابعه، اشــتريته من أول راتب تقاضــيته كما وعدتك... أتذكرين؟

أومأت برأسها غير مصدقة:

-لازلت تذكر كل التفاصيل الدقيقة التي اتفقنا عليها؟ سألت مبهورة وعاودت الدموع هطولها.

رفع كفه ليلتقط كفها الحبيسة وهو يسأل في تردد:

- هل من حقي أن...!!؟؟ وأشــار للخاتم ولأصــبعها في تردد ورهبة واضطراب ورغبة...

-نعم... أجابت من بين دموعها إنه طبعا حقك، إنه دوما حقك وسيظل للأبد حقك وحدك...

رفع كفها التي يحتضــن أحد أناملها خاتمه وقربها لشــفتيه يقبلها في وله، وجذبها بعيدا عن الطاولة متعانقي الكفين وسارا بعيدا ونظرات نادل المقهى الولهان تتبعهما في حبور، وهتف وهو يجمع فناجين القهوة من طاولتهما... الله... يا ســت... والتي كانت تنهى أطلالها صادحةً...

يا حبيبي كل شيء بقضاء.. ما بأيدينا خلقنا تعساء

ربما تجمعنا أقدارنا.. ذات يوم بعد ما عز اللقاء..

أَزِقَّة الفُقَرَاء

شريهان سماحة

احتضر بداخله وريد السعادة بقربهن، فرسمت عيناهُ الدامعة في لوحة وجوههن الوداع، لتبعثها له عيونهن الغافلة بضحكاتٍ صعدت للسماء.. لا تعلمن بأن هذا وداعهُ المخطط له في زمن ضاع فيه حقوق الفقراء، وبح صوتهم من أجل البقاء مع عالم لهو الأغنياء..

سَارَ مرغمًا قبل أن تفضحه ملامحه المغمومة وتكشف لهن سر الغياب، فهن يرونها رحلة استجمام من عبء مسئوليتهن التي فُرضت فوق كاهله لتمحي وهج شبابهُ وتبدله بشيب الكهلان، وهو يراها بأنها رحلة آلا عودة!

استند يأسًا برأسه على زجاج النافذة المجاورة له في إحدى سيارات الأجرة التي انتزعته من أحضان الأم والشقيقتان إلى عمق المجهول الذي يجهل خفاياه، ولكن ما يعلمه جيدًا بأنه الطريق الوحيد لنجاة صلة رحمه من مستنقع افتقارهم الذي بات يحاوطهن بأنيابه السامة.. حينها تدفق الماضي بغزارة يعيد ما مر عليه من بؤس وعسر صدأ روحه من بقاياه..

توفي والده بعد أن ترك له في أواخر العقد الثاني من العمر بورث ينوء من ثقله الجبال، أم كفيفة تحتاج لجراحة تحقق اشتياقا نخر فؤادها لرؤية وجوه أبناء تجهل ملامحهم منذ مخاضهم، وشقيقتان كالروح والريحان تحاوطهما خيوط البراءة، وطريق ممتد أمامهن للتعلم ينتهي بستر الخالق عليهما بزواج يصون العفيفات، ليضحي أمام عقله المسن بأن بطونهن الجائعة وملابسهن الحامية من صقيع الشتاء ليست معاناتهم الوحيدة، ويجب عليه الغوص في

البحور المظلمة للنجاة من أمواجها الهائجة والمضطربة فوق رؤوس من مثله..

كالفارس المغوار في وسط ضغوط الحياة، بذل ذلك المُعلم قليل الحيلة ما في جعبته بل ولم يبخل من صحته، دروسًا ليل نهار كأنه بات بهلوان في الكد والعناء، نوم يفوق عن نوم الفيلة، والحصيلة بعد سنوات شقاء لا يستطيع قبول أحد العرسان لهن في ظل أجواء الغلاء.

غاصت ذاكرته لعمق الماضي حين أطلق تلك الموافقة القاتلة لذاته الجريحة بعد أن خاض حربًا عنيفة مع خلاياه، عن إحدى العروض التي تخالف مبادئه وأسس تربيته الإسلامية التي نشأ عليها، وكانت تتوالى عليه دون كل أو مل من أجل وسامته النادرة، مجاهدًا بكل دفاعته المتصدعة لصدها..

ولكن ما لم يكن في الحسبان، هو زيادة ذلك التصدع لتتألم النفس وتنكسر قوته المزعومة بداخله، حين شاهد خلسة دمعات حزن شقيقته في انفرادها عن الجميع، لتغترب بمشاعرها عن عينيه عندما علمت بعدم اتمام ارتباطها وهي على مشارف عامها السابع والعشرين لقلة المادة بين كفاح شقيقها الغير مُجدي..

نزعه صوت سائق الأجرة من مرارة الماضي حين تمتم بنبرة هادئة له بوصولهما لمكانه المنشود..

تطلع بعينيه الشجية أمامه فشاهد حافلة الرحلة المنشودة لمدينة شرم الشيخ السياحية.. والتي حجز بها خصيصًا من أجل الذهاب

إلى هناك، والزواج من الأجنبية التي ستنتشل بأموالها الغزيرة عائلته من وباء الفقر اللعين..

تجرع ما في حنجرته ببطء عندما أيقن أن بداية طريق اللاعودة ضحى أمام مرآة عينيه، وأن النفس يجب أن تروض على ما لا تؤمن به من أجل أرواح باتوا لقلبه الداء والدواء.

هم يترجل من مقعده بعد أن أعطى سائقها بعض الأموال المستحقة نظير خدمته المحدودة، ابتعد عنها يجر خلفه حقيبة ملابسه المعدة من أجل الاكتفاء، إلا أنه تفاجأ برنين هاتفه يصدح عاليًا ليحد من أقدامه المتجهة تجاه تلك الحافلة المنتظرة بشوق لأعضائها للقيام برحلتها المنتظرة..

شاهد على لوحته اسم صديقه المقرب صاحب فكرة بيع النفس للأجنبيات من أجل متطلبات العيش; وصاحب العرض السخي عليه بالزواج من شقيقة زوجته الأجنبية..
فأجابه مندهشًا:
-ما الأمر الضروري للاتصال الأن فموعد وصولي لديكم لم يحن بعد؟!
زاد اندهاشه للقصوى حين توالى صوت حسين على أذنه بدمعات حارة أقرب إلى الأنين المتصاعد:
-لا تأتي صلاح، أرجوك توقف وابتعد قبل أن يتلوث جسدك مثلي وتتسرب حياتك للإبد!!
تخبطته الحيرة من حديثه الغير واضح فهتف بهلع:
-ماذا هناك يا حسين، استدعي ما عندك؟!

بكلمات تائة وعقل نادم صاح قائلاً:
-لقد قمت بإجراء تحليل طبي نتيجة أعراض إعياء شديدة منذ أيام، أتضح بنتيجتها الآن بأنني مصاب إيدز.... مسترسلا حديثه بنحيبٍ حاد:
-صلاح أنقذ نفسك أرجوك، علمت بأن شقيقتها مصابة مثلها، لا تفعل مثلي ولا تهدر حياتك من أجل عائلتك فهن...

أغلق المكالمة فما أنصت إليه يكفي، أصابه الضياع وكاد يختنق، فرمق سائق الحافلة الذي ينتظره بلهفة بنظرات يأسه تحوطها سحب دمعات حارة تجمعت للسقوط، التفت على إثر تساقطها واحده تلو الأخرى برأسه لطريق العودة!

ما بين إقبال على الموت والرجوع لبؤس موت أشد، كانت مكنوناته المشتتة وأقدامه المنتظرة لقراره الحاسم..

حينها ظهرت دمعات شقيقته المتوارية عنه، لينهش عقله مقولات تلك الذئاب البشرية المحيطة بهم عن سبب تأخر زواجها، ليبدأ كل من له القدرة على نسج الأكاذيب والشائعات المفبركة بغزله حول عنقها، ليلهوا أوقات فراغهم على حساب شرفها العفيف..

في تلك اللحظة خاصة، احتقن وجهه متخذًا عقبها قراره الحاسم والصادم، آلا وهو التوجه لذلك الباص مقتنعًا باقتناع تام بأن التضحية لم تبدأ الأن بل بدأت حين تخلى عن مبادئه وأسس تربيته الدينية..

"وحينها لم تكن النفس أهون عليه من روحه الجريحة"

خبايا

أية اسماعيل

في إحدى مشافي السجون الخاصة بالأمراض النفسية والعصبية، حيثُ تتحركن النسوة اللاتي يرتدينَّ زيا عسكريا وبصحبتهن السجينات اللاتي يرتدينَّ عباءة بيضاء وطرحة من نفس اللون، فجميعهنَّ متشابهات في الزي بل والملامح الغامضة والمريبة أيضا! تحدثت إحدى الأمينات الى السجينة التي في محاذاتُها بصوت مرتفع وهي تتجه الى غرفة الطبيب النفسي:

_ تحركِ أيتُها البليدة

لم تلتفت لها المرأة الخمسينية ولم يظهر على وجهها الذي يكسوه الأرق والشحوب أيَّ تعبير، دقائق ودخلت كلتاهما إلى غرفة الطبيب، تحدثت الأمينة بدورها إلى الطبيب قائلة:

_ السجينة " عصمت " حضرة الطبيب.

ما أن قرعت جُملتُها أذنيه حتى هبَّ واقفا من على مقعده وهو يُحدق في المدعوة "عصمت " فبدت نظراته غاضبة وحاقدة، ظل على حاله لثوانٍ ثم جلس، وتحدث للأمينة قائلا:

_ تستطيعين الخروج.

التفتت إلى المسجونة وقامت بفك قيدها ثم استدارت وخرجت، نظر لها وهو يحاول ضبط أعصابه:

_ أنتِ السجينة "عصمت فخر الدي " منذ خمسة عشر عاما وانت تقضين عقوبتكِ هنا في المصحة ... حيثُ حُكمَّ عليكِ بالسجن لأنكِ تدعينَّ قتل ولدكِ و.....

بترَّ كلماته حينما وجدها ترمقهُ بنظرات نارية وقد اغرورقت عيناها بالدموع، فحاول تغيير الحديث:

_ إن رغبتي في الحديث فأنا هنا لخدمتكِ ومُحاورتكِ.

ثم قام واتجه نحو الثلاجة الصغيرة، أخرج منها زجاجتين من العصير، وضع واحدة بجوارها وفتح الأخرى ليشرب منها وهو يعود إلى مقعده ليتفاجأ بصوتُها يأتيهِ بحنو:

_ أنتَ تُشبهه كثيرا

رفع الزجاجة عن شفتيه بانفعال وهو يحدق بها ثم قال:

_ من أُشبه؟

ردت بابتسامة

_ " كامل " إبني

وضع الزجاجة على المكتب وجلس ثم أردف:

_ الذي قتلتِ ... أليسَ صحيحا؟

أمعن النظر بها وأكمل:

_ حيثُ جعلتيه يودع حياته مُخلفا وراءه ابنا في الرابعة من العمر وزوجة وأبا شيخا كبيرا لا يقوى حتى على الحراك.

سألته في سرعة:

_ من أنت؟

رفع الملف الخاص بها وأجاب:

_ الطبيب الجديد هنا

ردت بثقة:

_ لستَ كذلك فأنا اشعر بأنك تعرفني

قال بثبات

_ يُخبرني حدثي بأنكِ في قمة العقل وانكِ تدعين الجنون أو الصرع خشية أن يحكوا عليكِ بالإعدام.

ثم أكمل:

_ أخبريني كيف تقوم أم بقتل ولدها؟!

ردت والدمع ينهمر على وجنتيها؟

_ لم أكن أعلم أن الذي يخضع للعملية هو إبني

هز رأسه وهو يقول:

_ نعم... نسيت أنكِ كنتِ تعملين كتاجرة في الأعضاء... وآخر من أخرجتي أحشائه هو ابن أحشائك.

احمر وجهها وأخذ جسدها ينتفض ليتدفق اللعاب من فمها بشكل مقزز ومخيف، نظر لها لثوان ثم استدعى الأمينة و بعض الممرضات اللائي قمن بحملها و وضعوها في العنبر الخاص بمثل حالتها و قيدوها في الفراش، كان ينظر لها و هو يهمس لنفسه قائلا ((بئس الأم)).

****

في مســاء نفس اليوم كان جالســا على فراشــه وبجواره زوجته التي قالت بشك:

_ أأنت على ثقة يا " عثمان " من أنها جدتك؟

أومأ برأسه دون رد فأكملت:

_ إياك وإخبار والدتكَ بالأمر، فهي ما إن تعلم حتى تُرغمك على قتلها أو هي من ستفعل.

أمسك الوسادة وهب واقفا ثم ألقاها على الفراش واتجه إلى الشرفة وهو يزفر بغضب.

مرت فترة كان يلتقي بجدته " عصــمت " ولكنها لم تكن ترغب في الحديث معه.

وبعد يومين آخرين من أخر لقاء صامت، قررت اليوم أن تفصح عما في جعبتها، نظر لها وهو يجلس على مقعده وهي تجلس أمامه، حثها قائلا:

_ أسمعُك

نظرت له:

_ انا " عصمت فخر الدين " فتاة من الطبقة المتوسطة تقطن في حي الســيدة عيشــة... حصــلت على قدرٍ من التعليم الذي جعلني التحق بمعهد التمريض الذي أهلني للعمل في إحدى المشــافي الحكومية، كنتُ نشيطة ومميزه في عملي، كما أني أحبه بشده. بعد عامان تزوجت، وشاء القدر أن أُنجب بعد عشرة أشهر من زواجي مباشرةً، طلب زوجي أن أترك العمل لأجل نجلينا و لكنني أبيت،

فهددني بالطلاق، حينها كان الطبيب الذي أعمل معه في المشـــفى معجبًا بي و أخبرني أنه يريدني أن أعمل معه في إحدى المستشفيات الخاصة و سأتقاضى أضعاف مرتبي، اغرتني الفكرة و انفصلت عن زوجي و تزوجت بالأخر، ولكنه رفض أن يسكن إبني معنا متحججا:

_إننا سنتزوج في السر فكيفَ يسكن معنا ولدُكِ؟

وافقت على ترك رضـــيعي مع والده وأوليت ظهري لكل شيء، كنت قد بدأت العمل معه في المشـــفى الجديد، ولكنني أدركت الأمر فيما بعد...

قاطعها قائلا:

_ تقصدين التجارة في الأعضاء؟

أومأت برأسها وأكملت:

_ كان المريض يخضـع لعملية اسـتئصـال المُرةِ الصـفراء وبعد أن انتهينا وجدته يقوم بفتح مكان الكلي، سألته عن الأمر فأجابني قائلا:

_إننا ســـنجني الآلاف من هذه العملية وكل ما عليكِ هو الصـــمت ومتابعة عملكِ دون ثرثرة، وعندما هدته بأنني سـأخبر المدير بالأمر ضـحك قائلا: إن المدير على دراية بالأمر، كما هددني بإبني الوحيد. سـكتّ وانتهت العملية وعندما تقابلنا في الشـقة التي اعتدنا اللقاء بها أخبرته بأنني أريد الانفصـــال عنه، فعاد لتهديدي، كما أغراني بالمال...

نظرت لـ " عثمان " بعينين متسعتين دهشة وهي تقول:

_ فلقد حصلت على ألف ومئة وخمسون جنيه!

علق عثمان بعدما دونَ بعض الكلمات:

_ وبالطبع انتشيت بالمال.

أومأت برأسها:

_ مع كل عملية من هذا النوع كان المال يزيد، فأصـــبح لجراحي كما المخدر ومع الوقت لم أعد أشــعر بأي تأنيب ضــمير، بل أكاد أجزم بأنني مزقته إلى أشــلاء مع كل تمزيقه في جســد أحدهم. واســتحللَّ عليَّ للواقع كُليا، فبعد أن كنتُ رهن اشارة منه وأسأله كل احتياجاتي أصـبحتُ امتلك الألاف وأصـبحتُ أتقن الأمر، بل عندما تأخر ذات مرة على الموعد قمت أنا وأحد الأطباء الجدد في الأمر بها وتقاضيت عليها مليون جنيه.

أكملت بصوت هادر:

_ وعلمت يومها كم كان يســـتهزئ بي ويعطيني بقاياه من المال، وبسبب الأمر حدث شجار بيني وبينه فقررت التخلص منه.

أردف " عثمان " وقد بدت الدهشة على عينيه:

_ قمتي بقتله؟!

هزت رأسها نافية:

_ بل جنيت من ورآءه عشرة ملايين بمفردي.

سألها بعدم استيعاب:

_ تاجرتي بأعضائه؟

ردت بقوة:

_ فعلت

تبسم بسخرية وهو يهز رأسه يمينا ويسارا وهو يقول:

_ (اعمل يا ابن آدم كما شئت فإنه كما تدينُ تُدان)

أتاهُ صوتها مرتعشا، وبدأت أطرافها في الاهتزاز كما ارتعشتا شفتيها وهي تقول:

_ لكن لمَّ كان سداد ديني في ولدى الوحيد الذي لم أراه في حياتي إلا بضع مرات؟

حدق بها وهو يتذكر الامر الذي غفل عنه لدقائق، فأتاه صوتها باكيا:

_ لقد قمت بإخراج أحشائه بيديَّ هاتين....

قالت جملتها الأخيرة وهي ترفع كفيها للأعلى وتحدق بهما وهي تكمل

_ ليتني متْ ... ليتهما شُلتا..

ثم أخذت الدمعات تنهمر على مقلتيها وهي تكمل:

_ لمَّ لم يحدث هذا لي... لمَّ لم أمت أنا؟؟؟

استمع " عثمان " لكلماتها وهي تختنق، كان يشعر بالنيران تشتعل في جسده تمنى لو قام الأن وأخرج أحشائها بيديه، شيء واحد ردعه عن فعل هذا.... أنها وبكل أسف (جدته)! التي تربي على بُغضها وكُرهها منذُ نعومة أظافره، كانت "عصمت " تبكي وتلطُم وجهها بكفيها وهي تقول:

_ بئس الأم أنا... بئس الأم والزوجة والابنة

أكمل عنها هو بنبرة حادة وكأنه يزأر:

_ والجدة أيضا؟؟؟؟

أصابتها الكلمة بسهم في منتصف قلبها، شعرت وكأن الارض تميد بها، توقفت عما كانت تفعل لتتجمد الدموع في عينها و هي تنظر له، فأشاح بناظريه عنها و قال حاثا إياها على الحديث:

_ وماذا بعد؟

تلعثمت:

_ ماذا قلت؟

_ تابعي

هزت رأسها نفيا:

_ ليس هذا

حاول إلهاء نفسه بالأوراق التي أمامه وأجاب:

_ لم أقل شيئا سوى تابعي فأنا على موعد بمريضات وأعمال أخرى.

حاولت إقناع نفسها بأنها توهمت ما سمعت وأكملت وهي تمسح دموعها:

_ لم أعلم أنه إبني إلا بعدما انتهيت، ونظرت في أوراقه وقرأت أسمه، كنت أعلم أنه سيحدث له مضاعفات كأي حالة غيره، لكنني لم أتخيل أنه سيموت وقبل حتى أن يخرج من المشفى، خرجت

روحه أمام ناظري، رأيت سـكرات الموت للمرة الألف! إلا أنها المرة الأولى التي يهتز لها جسدي، لأول مرة ينخلع قلبي على أحد.

نظر لها وهي تتابع ولم تزل تبكي:

_ حينها خرجت ورأيت ابنه " عثمان " وزوجته لأول مرة.

خفق قلبه بشـده حينما سـمع أسـمه يخرج من بين شـفتي الانثى الأكثر كرها وحقدا عليها، فأكملت:

_ رأيت وجهيهما باكيان والمرأة تنوح على زوجها الذي قتلته أنا ...

بعدما اسـتملوا الجثة قررت الإبلاغ عما كنت أفعل وأخبرت زوجته فحاولت خنقي وأنا أحادثها فهربت ذاهبه لقسـم الشرطة وأخبرتهم عن أسـماء الأشـخاص الذين يُديرون الأمر، بل ويحصـلون منه على مكاسـب ضـخمه. فرموني بالجنون وأُلقي بي هنا، وأصـبحتُ أخضـع لجلسـات كهربـائيـة، كمـا أنـه بين الحين والأخر أغيـب عن الوعي لأستيقظ وأنا مُكبلة بأغلال من الحديد.

ثم كشفت عن ساقها لتُريه أثر تلك القبضات عليهما وهي تقول:

_ لترميني الممرضات بالصرعاء, لكن أتعلم هذا ليس بالعقاب الحق لأمثالي، فأسلمُ عقاب لي هو القتل كما قتلته.

اغرورقت عيناه بالدموع وهو ينظر لها:

_ بل العقاب الأمثل هو تمزيقكِ حيه.

ثم وقف وأعلن:

_ انتهت الجلسة سنلتقي بعد يومين، ولا تقلقي فلن أخبر أحدا بأنكِ عاقلة وتستطيعين أن تقضي ما تبقي من عقوبتكِ وراء القطبان.

ردت وهي تملي ناظريه برؤيته:

_ معك فقط أكن بتوازني فأنت تذكرُني به، لذا علىَّ أن اتعقل حتى ترتوي أرض أُمومتي بك.

فتح الباب ونادى على الأمينة التي استحبتها إلى عنبرها.

.....

عاد لبيته وأخبر أمهُ بالأمر فأخبرته أنها تريد أن تراها، زارته في المشفى اليوم التالي وأخذها للعنبر ليجداها في نوبة صرع، نظرت له والدته وتبسمت قائلة:

_ الأن فقط ارتاحَ قلبي، كم تبدو حالتها مُسليه!

ربت على كتفها وعادت معه للمكتب، أتت له ممرضـــه وأخبرته أن المدعوة "عصمت " في حالة صرع، أمرها:

_ سنقوم بإخضاعها لجلسه كهربائية وينتهي الأمر.

ثم قام واتجه للغرفة التي قد قُيدت في أحد أسرتُها، وقبل أن تبدأ الجلسة وقفت والدته بجوارها وهي تقول:

_ ألا تذكُرينني حماتيَّ المصون؟

حملقت بها وقد تذكرتها جيدا فمالت على أذنها وهمست:

_ هذا هو " عثمان " نجل " كامل "

نقلت بصرها بينهما وهي تهمس باكية:

_ كنت أعلم أنك هو فأنت تشبه والدك بشدة.

ردت الأخرى وهي تضغط على أسنانها:

_ تقصدين المغدور به.

ابعد " عثمان " أمه لتبدأ الجلسة و تبدأ اصوات الصراخ تعلو و تعلو و تبدأ سحابات عينيها في إسقاط عيثُها لتُبلل وجنتيها بقطرات حارة و هي تعض أناملها ندما و حسرة، وقف بجوار والدته و هو يحيطها بذراعيه ثم همس:

_ إنها الأن تقوم بسداد ديونها أمي فلا تقلقي.

أردفت الأم:

_ لا أريدُها أن تموت، سآتي هنا بين الحين و الأخر لأراها تسدد الدين.

ثم غادرة عائدة لبيتها، نظر عثمان لجدته وقد خفق قلبه حانيا عليها، و هو يرى الندم و الحسرة يكسوان خلجات وجهها و قد غطى الدمع وجنتيها، لكن سرعان ما ألقى بمشاعره عرض الحائط و هو يلقي أوامره:

_ استمروا في الجلسة حتى تفقد الوعي هكذا ستُصبحُ أفضل.

ثم أولاهم ظهره وغادر.

تمت بحمد الله

إيجاب بلا قبول

زينب محمد

فتحت عينيها بعد ســاعات نوم لو أُحصــيَت جميعها لما أتمّت في مجملها ســاعة واحدة، نظرتْ تجاه نافذتها التي تســدلها بســتارة سوداء مُعتمة بلون أيامها، تختبئ خلفها من عيون المارَّة، وانهمرت دمعة يتيمة من عينيها تروي جراحًا كاملة تتوسَّــع حلقاتها في قلبها حتى حفرت مكانًا مستديمًا، وصوتٌ صاخب يخترق أُذنيها: " لا... لا تأخذوه لم يفعل شــيئًا" وضــعت كلتا يديها على أذنيها لكي تكتم صــدى الصــوت العنيف، لكن كعادتها كلّ مرّة تتداخل جميع الأصوات في رأسها فيحلّ آخرٍ يخبرها " أمي... ..أمي " تمدُّ يدها في محاولة منها لإنقاذه وكأنَّها تراه أمامها، بينما يخبرها آخر " احترقا"، خزعبلات لا تســمن ولا تغني من جوع تطاردها، تجعلها تقوم من سريرها تجري في أرجاء المنزل بأكمله، تفتح باب منزلها وتهرول إلى الشارع بأقصى- سرعة كمن يبحث عن شيء مفقود، وخلفها امرأة في الخمسينيات من عمرها، تجرُّ جلباب الخيبة، تنادي بأعلى صوتها كندّاهة تتوسَّــل بحر الظلمات ليعيد لها ابنتها الغريقة، لكنها تأبى العودة لليابسة، هي التي تغوص فيه حتى الأعماق، لا يدفع الثمن إلا العجوز ، يُنادونها مَن حولها بأم المجنونة، تزدريها الأنظار، ويحتقرها الأقارب، بينما يتبرَّأ منها الأهل والمعارف، وينهال عليها القدر بويلاته ونوازله.

_" فليوقفها أحدكم"

تصرخ بأعلى صوتها وهي تركض خلفها كعادتها في كل صباح، تخاف فقدها تحت عجلات عربة مسرعة؛ تشير بيدها لاهثة للمارّة مكرّرة عبارتها:

_" فليوقفها أحدكم"

وما من مجيب، يتهامس الناس من حولها بفتورٍ:

_" أليست تلك المجنونة زوجة الإرهابيّ"؟

تتطلّع لها العيون بازدراء تام ثم يمضي كلٍ في طريقه، كل يوم في هذا الحال وما من مُعين، حتى تدور الدنيا برأسها من أثر الجري والهرولة، فتتمدَّد على الأرض، وتجلس بجانبها تنعي حظها البغيض، تبكي بحرقة، وتنظر للسماء تدعو الله أن يلهمها الصبر ويحفظها، ثمَّ تهدهد ابنتها كالطفلة الصغيرة، وتعود برفقتها إلى منزل يتشّح بالسواد من كافة جوانبه، تُدثّرها في سريرها، تجلس جوارها، تملّس على شعرها حتى تنام.

وتشرد ذاكرتها إلى بضع سنوات مَضتْ، عندما كانت في السابعة عشر من عمرها، دخل والدها يتنحنح برفقة شابٍ حديث السن يتبعه، همس لها في أذنيها: _" أحضري لنا غُزلان".

توقّفت جميع الأصوات من حولها فجأة عندما عند نطق اسمها، وهل يخفى الخبر أصبحت طفلتها فتاة ناضجة، أنثى يمكنها تحمل كافّة أعباء المنزل، لم تعد صغيرة لتحمّل مسؤولية زوج وبيت وأسرة وحما وطفل، لم يكن منها إلا إنها هزَّت رأسها بإيجاب:

_" حسنًا".

دخلت على فتاتها غطّت ملامحها الباردة مثلما تغطي الشعر بالوشاح، وأبدلت تعابير الغضب بابتسامة زائفة ثم توجّهت إليها قائلة:

_" لدينا زُوار، ووالدكِ يريدكِ أن ترحبي بهم".

رفعت عينيها من بين كتبها المبعثرة حولها تتساءل في دهشة:

_" منذ متى نستقبل زوّارًا في منزلنا"؟

لم تجد ردًا على سؤالها بل زجرًا جعلها تلجم كلماتها:

_" دعي كل شيء تفعلينه، واخرجي سريعًا، ولا تنسيـ ارتداء عباءة فضاضة ووشاح طويل".

دبَّ الرعب في جسـدها، ليسـيطر عليها هاجسـها الذي لطالما تغاضـت عنه وعاتبته بتجاهلها له " إنه ما أحدّثكِ عنه منذ زمن، يبدو أنه قد حان أوانكِ".

ارتدت فضـفاضًـا مثلما أخبرتها والدتها، وخرجت تنفيذًا لرغبة والدها، توجّهت ناحية غرفة الضـيوف، طرقت الباب بخفّة، ثم دخلت بعد أن أذن لها، وقفت بجانب مقعد والدها تنظر بعينيها إلى الأرض، بينما عيناه تتفحّصانها بدقّة، ترصدانها من أعلى رأسها إلى أخمص قدميها، تأكلانها أكلًا، لوهلة تمنّت في نفسـها أن تنشـقّ الأرض وتبتلعها، لكن هيهات فذاكَ لا يحدث إلّا في أضغاث أحلام، سـاد الصـمت لبرهة ثم قطعه صـوت والدها، يأمرها بالجلوس فجلسـت في كُرسي مجاور لكرسي والدها، ثمّ خرج والدها لدقائق تاركًا الباب مفتوحًا خلفه، ليتمَكَّن الزائر من الحديث على راحته، كان كقاضٍ يستجوب جانٍ في قضية كاسبة لا محالة، لا يحتاج فيها لشهادته لكن لابد من إجراء الروتين، نظر بتعمُّق ثم سألها:

_" ماذا تدرسين؟"

وفي ثباتٍ تام جاءته إجابتها

_" لازلت بالصف الثاني الثانويّ"

عاد يحادثها بهدوء تام:

_"ما شاء الله من يراكِ يظنُّ أنكِ أنهيتِ الدراسة توًا"

زفرت بضـــيق في نفســـها إثر كلماته غير المُهذّبة وكأنه يُغازلها وراء حجاب، دعت ربّها أن ينجيها من ذاك المأزق، ثوانٍ ودخل والدها، فاســتأذنت للخروج، اصــطدمت بوالدتها في الصــالة تحمل بيدها صــينية الشــاي كواجب ضــيافة، وعادت لحجرتها تتابع مذاكرتها، تحاول ألا تلتفت للأمر، تنحيه عن عقلها قدر الإمكان، ما هي إلا دقائق قليلة ودلفت إليها والدتها تســألها رأيها في الزائر، لتجيب هي بسؤال آخر:

_" وما شأني به؟"

وكأنها متهم ينفي عن نفســه تهمة تشــير كافة أدلتها إليه وتشــهد أنه الجانٍ، تشـيح ببصرها بعيدًا عنها لكن جميع محاولاتها تبوء بفشـل ذريع، تنظر في عينيها وتخبرها بالواقع المرير، الشيــء الآثم الذي لا مفر منه ولا مهرب، فتتوجّه لها قائلة:

_" طفلتي، هذا هو مصـيرنا الحتمي، مهما تعلّمت يجب أن ترضـخي لذلك المصير، زيجة شاقَّة خير من شبح عانس"

انهمرت الدموع على وجنتيها، وانتفضت من جلستها تصيح بها:

_" لمَ عليَّ أن أرضخ لذلك المصير الذي صنعتموه أنتم بأيديكم، أنتِ ووالدي والمجتمع العقيم من صنعتم ذلك المصير، دعوني أكمل ما بدأته، فقط أتركوني أنهي تعليمي"

دخل عليها والدها، وتحدّث بكل حدّة وصرامة

_" أرسلتُ إليكِ والدتكِ لتخبريها رأيكِ بالعريس، لا لتعطيها درسًا في ما يجب أن يُفعل وما لا يجب" .

فغرت فاهًا لكنه لم يسمح لها بالتحدّث قاطعها قبل أن تلفظ كلمتها قائلًا:

_" عقد القران الأسبوع القادم، تجهَّزي"

ثم خرج وخلفه والدتها ليتركاها في حيرتها، تعاني وحدها،، تتقلّب عليها كافَّة أفكار الموت الشنيعة، تارة تقول سأقطع شرياني، وتارة أخرى تقول سأتناول مبيدًا حشريًا، وثالثة تقنع نفسها بلعق سم الفئران، كل شيء أمامها يهون على أن تتزوّج ذلك الرجل، مرّ الأسبوع سريعًا وهي حبيسة غرفتها، لا تخرج منها، منذ ذلك اليوم الذي نهرها فيه والدها وأخبرها بميعاد عقد القران، كُتِب الكتاب غصبًا عنها، كان عقدًا صوريًا كما يدعونها لأنها لم تكن قد بلغت سن الرشد بعد، وبعدها بشهر واحد دلفت إلى منزله كعروس، جميع بنات عائلتها كنَّ يحسدنها على تلك الزيجة، طبيب تحاليل ليس كمثله رجل، لكنها لم تهنأ يومًا معه فقد ألزمها المنزل، لم تكمل شهادتها التي تعهّد أمام والديها بعدم إعاقتها، أجلسها بالمنزل لتكون فقط تحت أمره ونهيه، يجدها متى شاء وعندما يطلبها هواه، وهي أسيرة ليس لها أي حقوق، حتى أنجبت الابن الأول فقالت سيهتدي

ويفعل مثلما قال الشرع، وعاشروهن بالمعروف، لكن لم يتغيّر شيء أنجبت الثاني فقالت سـيتعقَّل لم يحدث، تزوّج الثانية وقال لي رخصـة في ذلكَ، وأصـبح لا يدخل المنزل إلا نادرًا، تضـاربت أحواله واختلطت الأمور، وسـاء كل شيء وأصـبح متزمّتًا في معيشـته معها يضربـها بين الحين والفينة، حتى تُوفِّي والدها ورَثَت حالة والدتها لفترة، فأصـبحت تعودها كل يوم حتى اسـتقرّت حالتها، وذات يومٍ تركت طفليها بالمنزل وذهبت لتنظر حال والدتها، فجاءها خبر وقع عليها كالطامة الكبرى، كان حدث اشـتعال منزلها وطفليها بداخله، كلاهما احترقا وماتا، أكلتهما النار ونهشـت عظامهما، وبقوا رفاتًا، لم تهنأ بهما ولم ترهما عرسـانًا، حقّقت النيابة في الأمر فكان من سـبَّبَه صـدمة أكبر، وقعت على أذنيها، ذهب عقلها حينما اقتحموا منزل والدتها ذات ليلةٍ فجريّة والتقطوه من جوارها، أخذوا يجرّونه جرًا، وهي تُزحّف خلفه ممسكة في بنطاله وتردّد بألم:

_" دعوه... لم يفعل شيئًا... لقد احترق منزلنا، نحن مجنيٌّ علينا"

لم تكن تدري أنه هو من صـنع زجاجات (مولوتوف النابالم) وأن صانع السّم لابد حتمًا أن يتذوّقه.....

تمت بحمد الله

بلا نهاية

اميرة أنور عبد الحميد

مرحبا! أنا حور، نعم اســم جميل أشــكركم، ويا ليت حياتي بجمال اسمي! ما جنسيتي!؟ فلسطينية، وبالطبع لا تحتاجون لأصف لكم كيف أحيا! حسـنا سـأكمل قصـتي دون حاجة للتعمق في مشـاعر الأسف.

كنت تقريبا في الصــف الثاني الإعدادي عندما عدت لمنزلي وأنا ســعيدة بتفوقي اليوم، وحماسي يزداد كلما اقتربت من المنزل لأنال بســمة أمي الحنونة وفخرها يلمع في عينيها، وقبلة أبي الداعمة وقطعة الشــكولاتة كما يفعل دائما! ولكنني وجدت أمي دموعها تجري على وجنتيها بهدوء ووجهها خالي من أي انفعال بدلا من بســمتها، وأبي كان يترك مكانه المعتاد فارغا وعقدت حاجبي بقلق طفولي وسألت والدتي:

_لما الدموع وأين ابي!؟

وقتها ردت على بثبات:

_والدك سيعود بإذن الله.. سينصره الله وسيعود يا ابنتي!

وصــمتت بحزم وثقة لم تدهشــني كثيرا فقد اعتدت على أمي دائما قوية رغم دموعها التي تخفف من مرارة ألمها قليلا! ومن حديثها لم أحتاج للكثير من الذكاء لأخمن أن اليهود أخذوا أبي بتهمة ما! دب الرعب في قلبي خوفا عليه وسألت أمي بقلق:

_هل أخذوه ثانية يا أمي!؟

نظرت لي وصمتت وكانت إجابتها دمعة أخرى فرت بهدوء ليشتعل الغضب بداخلي نابع من خوف جعل جسدي يرتجف للحظة، قبل

أن أركض في الشوارع ونداء أمي الباكي خلفي مازلت أسمعه حتى الأن، ورغم ذلك لم أعيرها انتباه، ورغبة عنيفة في الثأر منهم أفقدتني القدرة على التفكير لحظتها مرتين وأنا أقف أمام صف من الجنود ومازلت إرادتي مريلتي التي اتسخت من تراب الطريق ولم أشعر بنفسي إلا وأنا أسبهم بألفاظ طفولية حمقاء، والحجارة في يدي الصغيرة ألقيها عليهم بأقصى قوتي الواهية من الأساس، ودموع تنغز عيني تحرق جوفي وهتافي المتحشرج يعلو ويعلو كالعويل:

_أين أبي! أين أبي..

وهم يبعدونني بدروعهم وزعيقهم بلغتهم الملعونة يتعالى أمام صراخي، حتى كاد أحدهم أن يضربني بعصاه الغليظة لأجد ذراعا قوية حول خصري ترفعني عن الأرض بقوة وقدمي تلوح في الهواء وصراخي يزداد في صاحب هذه الذراع. وأخيرا أنزلني بعدما أبعدني عنهم تماما، لأرفع وجهي الأحمر من الغضب والبكاء لذلك المتدخل الأحمق وأصرخ به قائلة:

_ماذا فعلت أنت!؟ لماذا أخذتني من أمامهم... كنت أحاربهم لأعيد أبي!

كان يلهث قليلا بجسده المتناسق وينظر لي بحنق بعينيه الخضراء ويضع يديه بخصره يراقبني بغضب، حتى قاطعني قائلا بسخرية:

_تحاربيهم! هل جننت؟؟؟ طفلة مثلك تحارب صفوفا من الجنود ببعض الحجارة!؟

وقتها زممت شفتي غير قادرة على الرد ودموعي انسابت دون أن اشعر وقلت بخفوت:

_أنا أريد أن أعيد أبي للمنزل!

ووصلني صوته الذي كان هادئا الأن وبه حنان وشفقة جعلتني أرفع عيني الدامعة بغضب:

_حسنا اهدئي وسيعود بإذن الله!

وتلك الشفقة أغضبتني، وقلت بحنق:

_من أنت بالله عليك لتحملني بتلك الطريقة من الأســـاس؟ أأنت معتوه!

وعاد لغضبه من جديد وقال:

_هل تعلمين معكي حق، كان يجب علي أن أتركك لهم ليســـجنوك أنت أيضا وتتركي والدتك تبكي عليك أنت أيضا!! هيا عودي إليهم يا محاربة!

وغادر من أمامي فجأة كما ظهر فجأة أيضـــا، وحديثه يرن في رأسي، وفكرت حينها أنه يجب علي أن أساند أمي وأعوضها غياب أبي حتى يعود.

لم أكن أدرك أن غيابه ســـيطول لمدة ثلاثة أعوام! رأيته خلالها بصـــعوبة ولوقت قصـــير أيضـــا. وفي المرات القليلة تلك كان دائما يربت على يدي بحنان ويقول بقوة:

_أنا تركت خلفي من سيحمي نفسه جيدا ليحمي أمه!

وقتها أومئ برأسي دون أن أقدر على التفوة بكلمة، ودموعي تنســـاب دون أن أشعر. والأيام تمر بصعوبة ولم ألتقي بذلك الشاب المتطفل

أبدا. رغم أنني حين هدأ غضـــبي أدركت مدى غبائي في تلك اللحظة ومدى شـهامته أيضـا! وأردت الصـدفة أن تجمعنا من جديد لأعتذر له وأشكره ولكن لم يحدث.

مر عام أخر كنت تقريبا ملتصـــقة بأبي كطفلة صـــغيرة مرتعبة، رغم أنني أتممت تسعة عشر عاما، إلا أني كنت أخاف اختفائه مرة أخرى. وفي يوم مشـــمس عند عودتي للمنزل رأيته، ويا ليتني لم أراه، كان تقريبا مصـــاب بطلق ناري في ذراعه ويســـير مترنحا يكاد أن يصـــاب بالإغماء، وكان يلهث وينظر خلفه كل ثانية تمر بقلق ارتياب، وأخيرا ســقط أرضــا في زاوية ما يتأوه بخفوت، لأجد بعض الجنود يتلفتون حولهم وأدركت سريعا أنهم يبحثون عنه! ولم أشـعر بنفسي- إلا وأنا أقف أمامه وأنزل إليه وأقول بقلق:

_هيا سريعا استند علي، سيجدونك هنا... هيا لا وقت لدينا!

ورغم إرهاقه الواضـح إلا أنه كان ينظر لي بتمعن وكأنه يتذكرني! هل نســـاني من الأســـاس!؟ ولماذا أنا لم أنســـاه بالمثل! وتوقفت عن أفكاري الحمقاء عندما اســتقبلت وزنه على كتفي، حاولت أن أســير بأسرع ما عندي حتى وصــلنا لقرب منزلي، ولم يقدر هو على الســير أكثر ليقع أرضـــا وأغمض عينيه ببطء فاقدا للوعي وســـط هتافي المرعوب عليه!!!

حمدت الله أنه سـقط قرب منزلي ليسـاعدني أبي معي. هو الأن نائم بغرفتي ولم يفق بعد، ووالدتي كانت عيانها بها أســـئلة كثيرة وقلق أكبر! وتحاشـيت أي تحقيق الأن حتى أطمئن عليه، لم أكن أدرك أن أبي يمتلك مهارات طبية مما أدهشني قليلا.

جلســـنا أخيرا والوقت يمر يشـــوبه القلق، وأمي لم تتمالك نفســـها وسألتني أخيرا من أين أتيتي به؟ قصصت عليها ما حدث باختصار، بينما أبي كان يراقب حديثي بصمت حتى علق:

بارك الله لك يا ابنتي، ولكن في المرة القادمة احذري، هؤلاء الخبثاء غدارين أتفهمينني!

أومأت برأسي بصـــمت، حتى ســـمعت تأوهه لأذهب سريعا أليه وجلست أمامه على الكرسي أراقبه وهو يفتح عينيه الخضراء بهدوء، ومازال يتأوه عاقدا حاجبيه بألم! وقعت عيناه المتعبة في عيناي المترقبة وازداد انعقاد حاجبيه وسأل بخفوت متعب:

_أين أنا؟ ... وماذا حدث!؟

لم أدرك لماذا ابتسمت في تلك اللحظة وأنا أجيب:

_أنت في بيتي، لقد أصيبت بطلق ناري وفقدت الوعي فأسعفك أبي.

صـمت قليلا ينظر إلي بتمعن وقال بخفوت: أنا أشـعر أني رأيتك من قبل!

اتســـعت عيناه قليلا عندما تذكر وكاد أن يتحدث ولكن قاطعه صوت أبي الهادئ الحنون وهو يقول:

_حمدا لله على سلامتك يا بني..

ابتسـمت له أمي بهدوء ونظر لهما بامتنان شـاكرا لهما. مضت دقائق أخرى ولكنها مختلفة. قص علينا ما حدث له وسـبب إصـابته، وأنا كنت اسـتمع إليه بشـغف حزين، وغضـبي اتجاه هؤلاء المجرمون يزداد ويتفاقم، حتى هو لمعت دموعه في مقلتيه وهو يتذكر والداه

اللذان فقدهما منذ زمن، فقد قتلت أمه على أيديهم ومات أبوه في سجونهم! وبقي وحيدا يحارب هؤلاء الكفرة. قرر أبي أن يغير مجرى الحوار بعدما شعر بحزنه العميق، ومضت ساعات أخرى كان ينظر لي ويبتسم بشرود لأحدجه أنا بنظرات حانقة حتى يكف عن النظر إلي بعينيه الخضراء الملعونة تلك! مر اليوم بسلام بعدما أصر عليه أبي أن يبيت معنا حتى يلتئم الجرح قليلا.

لم يزرني النوم أبدا تلك الليلة، وقفت في شرفتي شاردة حتى أصابتني رجفة برد فأثرت أن أعود للداخل من جديد، وصدمت عندما سمعت صوته الهادئ يناديني من خلف الباب! وقفت مكاني مندهشة، بعدها تحركت لأقف أمامه عاقدة حاجبي بتساؤل ابتسم لي بإحراج قائلا:

_عذرا يا أنسة ... أنا أريد دخول الحمام واخجل أن أخرج من الغرفة فجأة و..

قاطعته مبتسمة بهدوء:

_حسنا لا داعي للشرح، تعال معي.

تبعني حتى أوصلته وعدت أدراجي انتظره في الصالة، خرج أخيرا وهو يمشي بإرهاق، نظر لي مبتسما:

_شكرا لك... ألن تنامي!؟

صمت بخجل قليلا وتنحنحت قائلة:

_لا... لا أشعر بالنوم! كنت واقفة في الشرفة قليلا.

أومأ برأســـه ببطيء متفهما ثم تنحنح قائلا: هل يمكنني الوقوف في الشرفة، لقد أصبت بالاختناق من جلستي في الفراش!

صــمت قليلا بتردد، ثم وافقت أخيرا وصــاحبته إلى الشرـفة لأتركه يسـتنشـق الهواء البارد بعمق ويتنهد بحزن، خيم الصمت للحظات حتى باغتني بســؤاله المشــاكس: إذا أنت المحاربة الصــغيرة أليس كذلك!؟

نظرت له بخجل حانق وقلت:

_أنظر إلى من يتحدث! أنت بالكاد مصــاب برصــاص ناري يا رجل! وتسخر مني الأن أيها البطل!

ضحك قليلا وأردف مهدئا:

_لم أقصــد الســخرية... ولكنني تذكرتك عندما كنت أصــغر قليلا وكنت تحاربينهم بالحجارة وأنت ترتدين المريلة!

ابتسمت بداخلي برضى وأسعدني أنه تذكرني كما أنا لم انساه! وقلت بخفوت:

_نعم كنت صغيرة مرتعبة.

ابتسم تلك الابتسامة الرائعة وقال هامسا:

_والأن أنت المحاربة الجميلة، ومازلت شجاعة أيضا كما أنت.

أخجلتني كلماته وابتســمت له بصــمت ليبادلني الابتســام بهدوء، وصمت قليلا بعدها همس:

_شكرا لك أيتها المحاربة.

لم يغضبني اللقب تلك المرة، ولكنني قلت بحنق لم أفهم سببه:

_أنا لدي اسم.. واسمي حور!

نظر لي قليلا وابتسم برقة قائلا:

_اسم يليق بمحاربة جميلة مثلك!

نظرت له بحنق وخجل مما أدى إلى احمرار وجهي وقلت:

_إنا اســـمي حور يا هذا، كف عن مناداتي بالمحاربة، ولا تقل لي جميلة أيضا!

رفرفت رموشي بارتباك واضح، واتسعت بسمته عندما رأى خجلي وأردف:

_حســـنا يا حور، اعتذر، ولكن دعيني أناديك المحاربة من الوقت للأخر ... ولن أقل جميلة، ما رأيك بساحرة!

نظرته عابثة ونظرتي حارقة! نظرت له بغضب واضح ليضحك هو بخفوت، لأزفر بحنق وأتركه وحده في الشرفة وأعود الى مكان نومي بغضب وخجل. ألقيت بجسدي على الفراش بجانب أمي ونظرت في السقف عاقدة حاجبي بحنق، لكن سرعان ما ابتسمت بخجل ودقة قلب هاربة كانت هي بداية لاضطراب دقات كثيرة بعد ذلك!!!

مرت أيام قليلة كان هو يثير غضبي وخجلي أحيانا، وأحيانا أخرى يثير تعاطفي وحناني عندما أجده مرهق الملامح وشـــاردا بحزن! اعتدت وجوده في يومي وبيتي وحولي! أمصر أن يغادر منزلنا بعد أن مر أسبوع على ضيافته لدينا، لم يجادله أبي كثيرا وخصوصا أنه لا يصح أن يبيت معنا أكثر من ذلك وهناك شابة مثلي معه في المنزل!

أوقات الفراق أكرهها! وقف على باب بيتنا يودع أبي وأمي، وأنا أقف خلفهم أنظر لـه بجمود، وبـداخلي أبكي فراقـه وقـد تعلق بـه قلبي وأدمنت وجوده! نظراته المتخفية لي فضـــحت حزنه العميق! لم أقدر على الوقوف أمام عينيه المودعة أكثر من ذلك وعدت لغرفتي واغلقتها خلفي دون أن أودعه بكلمة! الشيء الذي أثار دهشة والداي وبســـمته الحزينة لم تفارق خيالي طوال الأيام التي مرت بعد ذلك! حاولت أن أشـغل عقلي كثيرا عن التفكير به وبأحواله، وأشـتت قلبي عن القلق عليه! لكن دون جدوى.

وبعد أيام أخرى مرت متشابهة دلفت إلى المنزل بابتسامة هادئة وأنا أنادي والداي، لم أتوقع أبدا أن أراه جالســـا في صـــالون بيتنا مع والداي! يرتدي ملابس منمقة ومرتبة! بدا وســـيما لدرجة أوجعت قلبي! نظراتي المذهولة جعلته يبتســـم بخبث، لأبتســـم أنا بخجل ودقات قلبي أعلنت الحرب عندما قال والدي بابتسامة حنونة:

_تعال يا حور اجلسي.

جلســـت بالفعل أمام نظراته التي ظهرت بها اشـــتياق عميق، لكن اشـــتياقي أنا فاقه بمراحل، ونظراتي تتنقل بين والداي بتســـاؤل، حتى قال أبي بابتسامة حنونة:

_عمار يا ابنتي طلب يدك مني! ما رأيك!؟

احمرت وجنتاي بخجل ورفرفت رموشي بارتباك ونظرت لـه غير مصدقة لأجد ابتسامته تتسع وتضئ وجهه الوسيم، لأخفض عيناي بخجل وصـــمت أفكر بأن هذا حلم. أفيقي يا حور الرجل يجلس في بيتك وأمامك! ولم أعرف ماذا أفعل أو أقول... وقلبي يضـــطرب بين

خلجاتي وشـــعرت بحرارة جســـدي تشـــتعل من الخجل وبداخلي أرقص من الفرحة، ورغم ذلك أنعقد لســـاني ولم أقدر على التفوة بكلمة، ربت أبي على ظهري و هو يعيد ســـؤاله من جديد، لأبتســـم بخجل وأذهب إلى غرفتي بكل حماقة، ضـــحك والداي، بينما أردف هو:

_واضـــح أنها موافقة يا عمي ولكن الخجل أربكها! نعقد القران غدا ما رأيك!؟

ضحك أبي بقوة على ما قال عمار، كلماته بلهفة واضحة لأشعر بأنني سأفقد الوعي ويتوقف قلبي نهائيا من سرعة دقاته!

سمعت أبي يقول بعدها:

_ما هذه السرعة يا بني! انتظر قليلا.

وفرحته ظهرت في صوته وهو يرد:

_ولم التأجيل!؟ أنا لدي شـــقتي فقط محتاجة لمســـات بســـيطة، ووحيد كما تعرف، ســـنقيم الزفاف بعد فترة بســـيطة ونعقد الكتاب غدا بدلا من الخطبة... قولي شيئا يا عمتي!

ضحكت والدتي بسعادة وقالت:

_الرأي رأي العروس وأبيها!

ابتسم أبي بوقار وقال:

_وانا ليس لدي مانع، سأسأل العروس أولا!

ولم يذهب من بيتنا إلا وهو معه موافقتي على كل كلامه! وأنا مازلت مذهولة وعقلي فقد القدرة على الاســـتيعاب بأن عقد قراني غدا!! حدث كل شيء سريعا كسرعة البرق. ووجدت نفسي- أرتدي فستاني الوردي وهو يقف بجانبي مبتســـما بحب يلمع في مقلتيه الخضـراء ويقبلني على رأسي برقة أذابتني وهمس في أذني:

_أحبك يا محاربتي الجميلة!

ابتسمت بخجل واخفضت عيني وصمت.

مر اليوم وهو لم يترك يـدي من يـده، وكأنـه كـان يعلم أن الفراق مكتوب علينا والألم رفيق لنا للأبد! مرت أيام قليلة غمرني بها بحبه الراقي ومداعباته التي كانت تثير غضبي، ليضحك ويقبلني على وجنتي ويعتذر! خطف قلبي مرة أخرى بعد عقد قراننا!

حتى جاء اليوم المشـــئوم وقد أخذوه أمام عيناي، وصراخي كاد أن يذهب بصـــوتي نهائيا، وعويل قلبي يذبحني، نظراته الأخيرة لي قبل أن يختفي داخل سـيارة المتعقل كانت تؤلم روحي، عيناي نزفت دما من كثرة بكائي عليه، رغم أن أهلي كانوا بجانبي إلا أنني لا أريد ســـواه بجانبي الأن، أريده ليطمئنني ببســمته الرقيقة ولمســته الدافئة على وجنتي. أريد أن ابكي في أحضـانه واتشـبث به للأبد حتى لا أفقده من جديد، أريد أن أهمس له بتلك الكلمة ألتي أراد كثيرا سماعها " أحبك " بل أعشقك!

لكن النهايات السـعيدة توجد في القصص والروايات فقط! والنهاية لم تخط بعـد! ولم تتم قصـــتي حتى. لكن اعلموا تماما أن نهايتنا مأســاوية كما هو حالنا دائما، وأنتم ســتتعاطفون معنا وتبكون قليلا

ومن ثم تنشـغلوا عنا كما كنتم دائما أيضـا! فلا داعي لشـفقتكم الأن لأني اصبحت أمقت حزنكم المخزي على حالنا!

تمت بحمد الله

وطني المسلوب

سمر خالد

عُدت بقلب يتضـــخم حبًا، بمالكة الفؤاد المنتظرة، العقل يرســـم العديد من اللحظات، كيف تســـتقبل الغالية حبيبها بعد غياب، وفيت بالوعد وعدت لأحضان البلاد، لأنال سعادتي المؤجلة، منيت نفسي طول الطريق باللقاء، عل الشوق يسكن بالقلب، لكن الترقب كان بالمرصـــاد، أفكر في ابنة العم وصـــاحبة العهد، كيف كانت بغيـابي؟ هـل بطـأ النبض من أثر البعـاد؟ أم احتج قلبهـا من ألم الاشتياق، حمقاء هي لو ظنت أن البعد عن محراب حبنا اعتياد، بل كان كالشـوك بخاصرتي، يشـتد انغماسـه كلما مرت الأيام، نسـيتُ بغيابي عنكِ ســـيدتي أن الحياة يجب أن تُعاش، فكنت لا أحيا إلا بذكراكِ، لعنت كثيرًا ضعف الحال، فصارت لعناتي لا تفارق لساني، وصار النزق عنواني، لكن وعدك مواساتي، وعهودنا مناجاتي، فوفيت بالعهد وعدت إليكِ يا غايتي فهل شـــعر بي قلبك، هل أراك تطلين من شرفتك تنتظرين طيفي الغارب، أم أن البعد عطل بوصـــلتك، وصرت غريب عن تكهناتك؟

وصـلت لمنزلها بلهفةٍ، أعدو على درجات البناية مبتسـمًا وأنا أحيك العديد من التوقعات، هل ســـتركض ترتمي بأحضـــاني باكية ألم اشتياقها؟ أم ستنظر لي معاتبة طول البعاد ووحشته؟

أكاد أموت رغبةً بإلقاء همي، ومعاناتي بين ذراعيها، أشـــكو إليها احتضاراتي في سبيل الوصول إليها، أخبرها كيف مرت الأشهر والأيام قاحلة، لا تبشر بخيرًا.

كم قابلتني ســـقطات أعيتني، وأخمدت عزيمتي، لكني بذكراها كنت أقف من جديد، حتى كفئت على صـبري في النهاية، نعم لم أعد ثريًا

ذو نفوذ وسلطة كما وعدتها، لكني عدت قادرًا على المضي قدمًا بحياة كريمة، حياة رسمتها بعقلي طول غيابي، حيث كنتِ أنتِ أساسها، فما عدت أخاف فقدانك، فالحواجز ما بيننا سقطت واقترابنا صار ممكنًا.

طويتُ ما بقي من طريقٌ، يفصل دروبنا وصلتُ لبابك منتصرًا، متلهفًا للقاء، دلفت من الباب المشروع بهدوء و بقايا تعقل عادت، لتستلم زمام الإدراك، لأنظر حولي باندهاش أرى الكثير من الأشخاص، و اسمع هناك صوت الموسيقى الصاخبة، أرى أضواء تزين منزلها و قلبي يتهاوى بإعياء، مرتجفًا يترقب مراسم احتراقه.

سرت بقدمين خائرتان، لا تحتمل حملي الثقيل، تقدمت مترددًا أبتهل أن تخيب ظنوني، ويكذب إحساسي، لكن ذلك المشهد أطاح بكل الأمنياتِ، وصدق على احتضاراي، فالحبيبة خانت العهد، لم يكد يجف حبر الاتفاق، فذهبت وأشعلت بأحلامي النيران، سلمت حصونها لآخر، احتل ميداني باقتدار، فما عاد لي وطن، ولا سقف لأحلامي الوليدة، فتطايرت بالهواء هاربة من قيود حب غادر. أي ظلم ألحقته بقلبي، لأهبه لمتلاعبة، أي جرح أحدثته بكبريائي، لأجعله لعبة بين يديها، فلترقدي يا روحي بسلام، فوطني لفظني مرحبًا باحتلال.

دلفتُ للغرفة، حيث كانت تجلس بجوار الآخر والسعادة بادية على وجهها، استقبلني العم بالترحاب، فهو لا يدري أي منافقة هي ابنته، فقابلت ترحيبه باقتضاب، تناوبت المصافحات، حتى وصلت للفتاة

ذات الثوب الأسـود، التي شـملتني بنظرات العتاب... هل تعاتبني أنا حقًا!

لم؟ أتعاتبني على مغابات نفسيـــ، أم على إهانة حبي؟ لا يهم فقد تلاقت النظرات، مع محطمة القلب الفاتنة، من تزينت لغيري، وتركتني أعاني الخذلان، قابلت عيناها المصـــدومتان، بعينان متقدتان استقبلت رسائل العفو بإمتنان، لتجيبها النظرات متوعدة بانتقام لحب أريق تحت قدميها بامتهان.

جلستُ بحضرتها بخشوع أعاني تمزق قلبي و احتراق روحي بهدوء، أراقب ســعادتها بصــبر ينافس الجبال بصــلابته، حاولت أن أُحيد بعيناي، أن أدعي الانشــغال، أشــاحتُ بوجهي صــاغرًا، عل أجد ما يحوز على انتباهي مشــتتًا، فالوجع فاق المحتمل، و العين تهدد بهطول المطر، فتوارت شــمســنا و غربت، و لم يبقى ســوى السحب... عاد من ضلاله على صوتًا ضعيفًا يشدو بعذوبة، عكس قوة كلماتها الحارقة التي أطاحت بقلبه العليل، نظرتُ إليها كالسـجين، يناجي بعيناها العفو، صـمت أحال الغرفة لإعصـار من المشـاعر المضـطربة، فهنا القلب ينزوي بمسـكنه يلعق جراح حب وئد قبل أن يرى النور، حب لا يحق له أن يطلع إليه، فهو لم يعد متاح كما أحلامه المبتورة...

_ألم تنتهي من الرثاء؟ أم حزنك على حبك فاق الكبرياء، اصـــمد يا رجل وتخطي الآمر باستغناء.

فأجبتها دون أن أرى وجهها، فيكفي صـــوتها لأعلم من هي ذات الثوب الأسود، من سبرت أغوار قلبي كاشفة جراحي الغائرة.

_ألا يحق لهذا القلب الانزواء، لقد حرمت عيني البكاء، يكفي أن أحلامي تناثرت وصـــارت هباءً، فدعيني إذا للرثاء، واذهبي لأختك ناقدة العهود، فما جئت لأجله اختفى وحان لي أن أعود.

لم أشعر بتأملي المتمعن بهما، إلا عندما قبضت يد ناعمة بملمسها قوية بما تبثه من مشـــاعر تفهم ومواســـاة، لم أنتظر من أيّ أحد شفقة يومًا، لكن لم أستطيع رد مواساتها في تلك اللحظات القاتلة، الآن يزين يد حبيبتي الغادرة خاتم ليس لي، الآن تحطم آخر حلم لي واستوطن بنصرها صك ملكية آخر، فيا ليت ما أراه يكون أضغاث، وأنا الآن مضـــجع على فراشي أغوص بالأحلام وأعود لأجد حبي بالانتظار.

جذبتني يدها بقوة، كمن ينتشـــل غريقا يلفظ أنفاســـه، ابتعدت بي متجنبة مراســـم الفرح، لم أعي أين أكون، إلا عندما رأيت أضـــواء عـديـدة أمـامي، رفعـت رأسي أتـأمـل المكـان، فواجهتي الســـمـاء بمصـابيحها الفضـية، تتراقص على صراخات روحي مختالةً ببهائها، أشـــحت وجهي ناظرًا لمن جاءت بي لتلك الشرـفة التي شـــملتها أحلامي، بفتاة أخرى تنتظرني بلهفة العشـــاق، لكن فقاعة الأحلام الوردية، انفجرت بوجهي ناثرة ألاف الخيبات، لم يقطع الصـــمت سواها، فـــاليوم لم يزورني الكلام، فهمست بصوت يسكنه الهيام، قائلة بانسجام:

_هل تتذكر اســـم ذاك الكتاب الذي أعجبك عندم كنت بالمرحلة الأولى من الجامعة؟ ذاك الذي بحثت عنه كثيرًا، حتى فقدت الأمل باقتنائه، فتبخر اهتمامك به سريعًا!

نظرتُ إليها مقطبًا، أتذكر هل ذكرت لأحد ولعي بذاك الكتاب يومًا، ثم نطقت بارتباك:

_كيف علمتي عن ذاك الكتاب؟ لقد انقضى الكثير من الأعوام!

ابتسمت بشرود، ثم أضافت بتأمل كأنها تسترجع الذكريات:

_هل ما زلت تفضـــل أغاني (عبد الوهاب)، وتداوم على ســـماعها ليلًا؟ أم عادتك انمحت بفضل الغياب؟

التفت نحوها، يتأمل جانب وجهها الشـاخص للأمام بتعجب، كيف لها أن تعلم هذا؟

فأجبتها مهادنًا، كي أحصل على مصدر المعلومات:

_هل هناك المزيد؟ أم جف بئر أسراري!

التفتت مواجهة نظراتي المتفحصـــة، فبادلتني بأخرى متحدية، ولأول مرة أمعن النظر لعيناها، وكم هي جميلة وحزينة، فعقدت حاجبي جاهلًا، كيف لفتاة مثلها أن تحزن، فهو لطالما وجدها كاملة، تحمل من الذكاء والجمال ما يكفي لجعلها مختالة بنفسها واثقة!

أجابت سؤاله المتطلب، بثقة اثارت إعجابه وارتيابه معًا:

_الكثير... أعلم الكثير، فأسرارك كما تحب أن تسـميها ظاهرة للعلن، لكن يراها فقط من يهتم.

نظر لها بصمت للحظات، ثم سألها بأمل، لا يعلم لم؟ لكن فكرة أن تهتم به تلك الفتاة لا المرأة هي ليســـت مجرد فتاة، فهي أضـــحت امرأة ذكية الآن كما يبدو، لكن الفكرة بحد ذاتها تروق له!

_وهل أنتِ مهتمة؟

نظرت له بآسف، قبل أن تجيبه بيأس أكال لقلبه لكمة قوية، تراجع على إثرها بضع خطوات:

_كنتُ قبل أن تنبذ اهتمامي، وتتعلق بأختي... فمن عاهدتها خانت، فهل يحق لك محاسبتي أنا على اهتمام لم تراه؟!

نظر لها باهتمام، وبسط يده عارض عليها السلام، التقى بنظراتها التي لانت قليلاً، وصار التفاهم بالإمكان. نظرت له تارة، وليده تارة باتهام، فابتسم لها باعتذار... فكيف لها أن تجرب الخذلان!

تحدث بعد لحظات، ونظرات عيناه شابها الحنان، والكلمات تخرج عن سياق الاهتمام، فتتخذ مسمى سابق للأوان، يبدو أن كل ما يتعلق بتلك المرأة يدعو للخروج عن المألوف!

_هل تتذكري تلك الدمية الصغيرة الوردية، التي أهديتك إياها في عيد مولدك الثالث عشر؟ حينها غضبتي وقولت لي أنكِ لم تعودي طفلة، لتلهي بالدمى، ورحلتِ غاضبة، أنتِ مازلتِ محتفظة بها حتى اليوم، تشكي لها حماقة المغدور، لكن ماذا ستبرر لكِ هديتي غير أن الأحمق معذور، فقد كان مشوش بحب أجاد العبور، فقلبه كان مغلق دائمًا، وفي غفلة منه سلم مفاتيحه لعابر سبيل.

نظرت له بعيون عاتبة، تخشى على قلبها من مباغتته القادرة على تسليم قلبها قربانًا لكبريائه المهشمة، لتشفي الجروح النازفة. فأحاطت قلبها بالمزيد من القيود، وأحالت مشاعرها لحالة الجمود، فقالت له مرغمة، من عزيمة ولدت من رحم كبريائها المكلوم:

_هل سـيبرأ الجرح، بالتلاعب بالآخرين؟ فأنت مخطئ لو ظننت أن اهتمامي بك، قابل للتجديد، فلو كان هناك فرصـة سـابقًا، فالآن كل الافتراضات سقطت بالتأكيد.

نظر لهـا بجـديـة، وعينـاه تنطق بـالإصرار، فهو رافض أن تظن بـه التلاعب، وأنه سيسلب مشاعرها بانتصار، فقال لها بعزيمة الثوار:

_لو ظننتِ أن من أمامك وغدًا باقتدار، ليتخذ من قلبكِ ستار يخفي خلفه الانهيار، فينتشيـ باهتمامك بانبهار فمخطئة أنتِ سـيدتي، فمن أمامك ذاق مرارة الانكسـار، فأنا لم أتغنى بحبك كاذبًا، أو ألقي عليكِ معسـول الكلام، فالحب لن يأتي فجأةً، ولا يعامل باسـتهتار، فالحب أسـاسـه المودة، والعلاقات تبنى على الاحترام والقلوب تلين حينما تغزو الرحمة حناياها قاطنة.

نظرت إليه باندهاش، وخفقاتها تراقصـت باحتفال، فالحبيب الغائب عاد، واعدًا بالحياة، والعيون تقابلت في اتفاق، تتلو وعودا صـادقة، لا تصـدق بالهيام... فالقلب يعشـق عندما نجد شريك أرواحنا فلا قيمة للمحبة عندما تلقي بقلوبنا للتهلكة.

تمت بحمد الله

نزيف الماضي

عبد الرحمن احمد

الماضي.. الحاضر.. المستقبل

الكثير منا يعتقد بأن تلك الكلمات غير متشـــابهة.. الكثير منا يعتقد بأن هناك فرق بين تلك الكلمات... الحقيقة قد تكون صـــادمة للبعض، حيث أن تلك الكلمات متطابقة.

الحدث يحدث في الماضي ويترتب عليه الحاضر، والحدث يحدث في الحاضر الذي نتج من الماضي فيترتب عليه المســتقبل. تلك هي سنة الحياة..

لكن ماذا إن فُقد الماضي!! هل يسـتطيع الانسـان بناء حاضره دون معرفة ماضيه؟

هل سيكون مستقبله مستقراً؟

شـــاب لا يعرف اســـمه، لا يعرف ســـنه، لا يعرف عائلته، لا يعرف ماضيه، أفاق ليجد نفسه في مكان غريب، مكان لم يراه من قبل.

تقدم بخطوات ثابتة ليعرف من الذي أحضرـــه هنا، فخرج من باب الغرفة ليجد شـــخصـــاً لم يراه من قبل، تقدم تجاهه متعجباً، كان ينظر له نظرات مليئة بالتســاؤلات، وقف لبرهة من الوقت ثم نطق بخوف شديد يسيطر على ملامح وجهه:

_إذا سمحت، من أحضرني إلى هنا؟

سيطر الحزن على الشخص الأخر فنطق بوجه قلق:

أنا أخوك كريم، ألا تتذكرني!! كيف هذا؟ أخبرنا الطبيب بفقدانك للذاكرة لكن لم اصدق ذلك، كيف للشخص أن ينسى ماضيه؟ كيف للشخص أن ينسى أخاه وعائلته؟

شـعر بشيـء من الغموض وعدم الفهم، فقام بتحريك رأسـه ونطق قائلاً:

_أنا لا أستطيع فهمك، كيف لك أن تكون أخي وأنا لا أتذكرك!!

تقدم كريم بخطوتين حتى أصبح في مستوى أخاه ووضع يديه على كتفه قائلاً:

_لقد أُصِـبت في حادث ولكن حمداً لله على سـلامتك، وبعد ذلك أخبرنا الطبيب بفقدانك للذاكرة.

تحدث بصوت ضعيف خائف:

_أنا لا أتذكر اسمي حتى!

ابتسم كريم قائلاً:

_أنت أخي صابر.

حاول تذكر شيء لكنه عجز تماماً عن ذلك فنطق متسائلاً:

_هل تعنى أن اسمي هو صابر؟

تحدث كريم مسرعاً:

- صابر طارق الرفاعي.

ابتسم صابر ابتسامة خفيفة وتحدث بعدها قائلاً:

_أخبرني بالمزيد، أريد أن أعرف الكثير عن نفسيـ وعن عائلتي وعن الماضي الخاص بي.

ابتســـم كريم وســـحب صـــابر من يده وجلســـا معاً وتوجه كريم بالحديث الى اخيه قائلاً:

_انـت صـــابر طـارق الرفـاعي، ثلاثون عـامـا، متزوج من ريم حـب طفولتك، تمتلك طفلة جميلة، نحن نعيش هنا في هذا القصر.ـــ مع والدتنا بعد وفاه والدنا.

شعر بالغربة رغم ما سمعه من أخاه فنطق متسائلا:

_أين والدتي، أريد رؤيتها.

ابتسم كريم:

_توقعت أن تسأل عن زوجتك وابنتك.

شـعر صابر بشيء من الغموض والخوف وعدم التصـديق، شـعر أنه اقترب من فقدان عقله، كيف له أن ينسى عائلته!!

شعر كريم بحيرة صابر وقلقه فحاول أن يخفف عنه قائلاً:

_هيا بنا لنرى والدتنا، إنها تنتظرك بشدة.

لم ينطق وتحرك مع أخاه دون اعتراض، كان يمســـك بثيابه بخوف شـــديد كالطفل الصـــغير، كأنه تائه في كون غير كونه، وصـــلاإإلى والدتهم التي وقفت مسرعة وضمت ولدها بشوق وحنين:

_ولدى صابر، حمداً لله على سلامتك يا بني، ظننت أنني فقدتك!

تحدث صابر بشيء من الخوف والقلق:

_أنا لا أتذكرك.

اختفت ابتسامة والدته وظهر عليها الحزن الشديد، ولكنها تحدثت بحنين قائلة:

_يكفي أنني أتذكرك وأنك بجواري.

دخلت في هذه اللحظة زوجته ومعها طفلته التي هرولت مسرعة إلى أبيها في سعادة بالغة:

_أبي أبي، افتقدتك كثيرا.

انخفض صابر إلى مستوى طفلته بقلق، إنه لا يتذكرها، لا يحمل أي مشاعر تجاهها، لا يعرفها، تحدثت ابنته قائلة:

_أبى!! لما تنظر لي هكذا؟ ولما لا تتكلم؟

تداركت زوجته الموقف وتحدثت قائلة:

_أباك مرهق قليلا الأن، سيُشفى قريباً.

اعتدل صابر ونظر الى زوجته بتعجب وهو يحاول تفسير موقفه من ذلك، إنه لا يعرف أحداً في هذا المنزل، يشعر بالغربة وسط أشخاص يخبرونه أنهم عائلته، لا يتذكر أي شيء عن الماضي كي يتابع حاضره. كان كل شيء مبهماً بالنسبة له. شعر صابر بأنه سيفقد عقله، أمسك رأسه بتألم وظل يصرخ بشدة فتوجه أخاه مسرعاً إليه لينقله إلى سريره، تحدث كريم بصوتٍ عالٍ قائلا:

_أحضري لي الهاتف يا أمي، يجب أن أبلغ الطبيب بذلك، وانت يا ريم أحضري لي المهدئ الذي أعطاه لنا الطبيب.

أمسكه كريم بإحكام ونقله إلى غرفته وأعطاه المهدئ، صمت صابر ونام وسط قلق الجميع عليه ...

تحدثت ابنته بخوف قائلة:

_أمي!! ما الذي أصاب أبي؟

ربتت الأم على كتف ابنتها قائلة:

_أباكِ سيصبح بخير، هدئي من روعك، سيكون بخير قريباً.

مر الوقت وحضر الطبيب الذي فحص صابر ثم توجه بالحديث إلى كريم قائلاً:

_إنه بصحة جيدة، ما حدث له كانت صدمة شديدة بسبب ما تعرض له من ضغط، لقد أخبرتك بأن تتمهل ولا تخبره بكل شيء دفعة واحدة، هذا خطأ وهذا ما سبب له تلك الصدمة.

شعر كريم بالحزن الشديد وتحدث بأسى:

_لم أكن أقصد ذلك، أنا فقط كنت أريده أن يتذكر عائلته.

ربت الطبيب على كتف كريم قائلاً:

_هذا ليس بالشيء الهين له، من الصعب استيعاب كل هذا، أخبره ولكن ليس دفعةً واحدة.

صمت كريم قليلاً ثم عاود النظر للطبيب متسائلاً:

_كيف يستطيع أن يُكمل حياته دون أن يتذكر شيء؟

تحدث الطبيب بابتسامة هادئة:

_هذا كله عائد لدرجة تقبله لهذا الموقف، سيضطر لبناء ذكريات جديدة، سيضطر لصنع ماضيه مع حاضره، وإن استطاع فعل ذلك سيعيش مستقبله متقبلاً كل هذا.

شكره كريم وعاد مرة أخرى إلى غرفة صابر بعد رحيل الطبيب ليجد والدته وزوجة أخيه يجلسان بالقرب منه.

توجه بالحديث إلى والدته:

- اذهبي واستريحي يا أمي ريم ستبقى معه حتى الغد.

تعجبت الأم من حديث ولدها فقالت متعجبة:

- ما الساعة الان؟

نظر كريم إلى ساعته ثم عاود النظر إلى والدته وأجابها:

_لقد تجاوزت العاشرة والنصف.

قامت الأم ونظرت إلى ولدها النائم بحزن شديد ثم توجهت بالحديث إلى ريم:

_ابقي بجواره يا ابنتي وإن حدث شيء أبلغيني على الفور؟

حركت ريم رأسها بالموافقة:

_ارتاحي أنت يا أمي، سأعتنى به وسأبقى بجواره.

ابتسمت الأم وذهبت إلى غرفتها، وغادر كريم إلى غرفته، خلد الجميع للنوم ومضت تلك الليلة، حتى أشرقت شمس يومٍ جديد وفاق صابر مبكرًا حيث كان الجميع نائماً، تفاجئ بوجود ريم بجواره نائمة، ظل ينظر لها لبعض الوقت كي يتعرف عليها أكثر، ثم عاود

النظر إلى الغرفة بتعجب، وتذكر ليلة أمس ولكن ما أزعجه هو أنه يتذكر الليلة الماضية ولا يستطيع أن يتذكر ما قبل ذلك.

فتحت ريم عينها لتجد صابر يجلس بجوارها فابتسمت واعتدلت، أنتبه لها صابر ونظر في عينيها وشعر للمرة الأولى بأنه يعرف تلك الاعين، شعر بالأمان بمجرد النظر إليها، تحدثت ريم بتساؤل:

_أرى الكثير في عينيك؟

أجابها بتردد:

_على الرغم من أنني لا أتذكر شيئا إلا أنني أشعر بأني نظرت إلى عينك من قبل.

شعرت ريم بسعادة بالغة لما سمعته من صابر:

حبنا كان منذ الطفولة، وكنا ننتظر الوقت يمضي حتى نتزوج وكان ذلك أسعد يوم في حياتنا.

ابتسم صابر ثم تحدث قائلاً:

_يبدو أن هذه ذكريات سعيدة، ليتني أتذكر ذلك.

مسكت ريم يده وربتت عليها برفق قائلة:

_نستطيع بناء ذكريات جديدة معاً، نستطيع بناء حياة جديدة، الأمر كله في يدك أنت.

صمت صابر لبعض الوقت ثم نظر اليها وتحدث متسائلاً:

_هل تعتقدين أنني أستطيع أن أكمل حياتي وأنا لا أتذكر شيئا عن عائلتي.

ابتسمت وقالت:

_لم لا تســتطيع ذلك، ليس من البداية لكنك ســتعتاد على الأمر، الأمر يحتاج منك اهتماما فقط.

نظر صابر إلى سقف الحجرة ليفكر، ثم عاود النظر إلى زوجته:

_هل تعتقدين أن الأمر بهذه البساطة؟

جاوبت ريم مسرعة بالنفي:

_بالطبع لا، هذا أمر صعب بالنسبة لك ولنا أيضاً، لكنك دائماً كنت تواجه الصعوبات وتنتصر مهما كانت.

تنهد صابر قائلاً:

_لو أنني كما تقولين أواجه الصـعوبات وأقوم بالانتصـار عليها، فهذا لأنها كانت صغيرة، ليست كهذه المِحنة.

ابتسمت قائلة:

جميع الصعوبات التي واجهناها كنا نجدها في البداية كبيرة ولا يمكن التغلب عليها لكننا واجهناها بصبرنا وتحملنا وبقوة عزيمتنا.

شـعر صـابر بارتياح شـديد بالحديث إلى زوجته التي تقف سـنداً له، أبتسم واتجه إليها بالحديث قائلاً:

_أتعتقدين حقا أنه يمكنني الخروج من هذه المحنة!!

ابتسمت زوجته ومسكت يده بحب شديد نابع من قلبها:

_نعم، ولكن ليس اعتقاد ولكن ثقة بأن الله معنا وستصبح أفضل بكثير مما مضى، لتبني ذكريات جديدة ولكن ذكريات جيدة تتذكرها دائما.

حرك صابر رأسه بابتسامة أمل:

_سأحاول، شكراً لك، الأن عرفت لما أحببتك في الماضي.

ربتت ريم على يده قائلة:

_لا تشكر زوجتك وحبيبتك فأنا دائماً أقف بجوارك مهما كانت تلك الصعوبات والتحديات.

أمسك صابر بيد زوجته بإحكام وضمها إليه في حب ثم نطق مازحاً:

_هل أستطيع أن أعد الفطور!!

ضحكت ريم من بين دموعها وشعرت بسعادة بالغة لأنه يتصرف كما كان يتصرف في الماضي حيث كان يحب تحضير الفطور، ولكنها اكتفت بالابتسامة ولم تبلغه أنه كان هكذا في الماضي لأنها تريد أن يبني ذكريات جديدة وليست ذكريات على أساس ماضٍ لا يتذكره، تحدثت إليه بحب:

_نعم تستطيع.

قام صابر بارتياح شديد وبحث عن المطبخ وبالفعل وجده وظل يعد الفطور بسعادة بالغة، حتى دخلت ابنته لتجده هكذا فانطلقت بسعادة إليه:

_أبى!! لقد تحسنت!

ابتسم صابر وضمها إليه:

_نعم لقد تحسنت يا ابنتي، هل تودين إعداد الفطور معي؟

نطقت ابنته بسعادة:

_بالطبع أود ذلك.

اعتدل صابر وأشار إلى ابنته:

_هيا أحضري لي البيض، ولكن لتأخذي حذرك حتى لا ينكسر منكِ.

هتفت ابنته:

_أبي!! دائماً ما تقول لي هذا، لا تقلق أنا لست صغيرة.

ابتسم صابر:

_بالطبع لستِ صغيرة.

اندمج صـــابر وابنته في تحضـــير الفطور، دلفت والدته إلى المطبخ بصحبة كريم وزوجة صابر لتتفاجأ بما يفعله ابنها.

نطق كريم بسعادة بالغة:

_أخي!! هل عادت لك الذاكرة؟

حرك صابر رأسه بالنفي قائلاً:

_لا يا أخي، ولكنني أبني ذكريات جديدة، أتعايش مع الوضع.

اتجهت الأم إلى ابنها وضـمته إليها بحب بالغ ونابع من قلبها، ربتت على كتفه قائلة:

_هل ستستطيع فعل ذلك!!

ابتسم صابر وأمسك بيد والدته وربت على يديها بحب:

_سأحاول يا أمي، سأحاول.
شعر الجميع بالسعادة وهتف صابر:
_هيا لنتناول الفطور، لنرى هل أستطيع إعداد الطعام الجيد أم لا.
ضحك الجميع وتحدث كريم قائلاً:
بالطبع تستطيع يا أخي فدائماً ما كنت تستطيع ذلك.
ابتسم صابر قائلا:
_سنرى، هيا بنا.....
اجتمع الجميع ليتناولوا الفطور وســـط أجواء أسرية جميلة، وهنا شعر صابر بالطمأنينة وقرر بناء ماضيه مع حاضره حتى يستطيع أن يعش مستقبله...

تمت بحمد الله

الحقيقة الغائبة

هدى مرسي

فادية مصطفى شابة في عقدها الثالث، متوسطة الجمال، تعيش مع والدها بعد أن توفت والدتها، من أسرة متوســـطة الحال، تعمل في إحدى الشركات الاستثمارية، تعيش حياة هادئة نوعا ما، تذهب إلى العمل في الصــباح وتعود في المســاء، في إحدى الأيام وهي تعمل في مكتبها أرســـل المدير بطلبها، ذهبت إليه وهي تفكر فيما يريده، فليس لديها أي عمل هام، وصـــلت غرفة المدير دقت الباب ودخلت،

فادية: علمت أنك تريدني.

المدير: تفضلي بالجلوس.

كلمت فادية نفســـها بتعجب: منذ متي؟ ألســـت من تتكبر علينا! المهم سأجلس، جلست على الكرسي بجوار المكتب.

دخلت فتاة في عقدها الثاني، سلمت علي المدير وجلست.

المدير: هذه ابنتي دنيا، كنت أريد منك مساعدتها.

فادية بتعجب: أساعدها في ماذا؟!

المدير: هي ستخبرك اذهبي معها فقط.

دنيا: أريد مساعدتك فأنا أقوم بعمل دراسات عليا، وأريد منك بعض المعلومات.

فاديه بتعجب: لا أفهم فيما سأفيدك! ولكن حسنا سأذهب معك.

المدير: لديك إذن بساعتين ،لا تتأخري بعدهم.

فاديه وهي تكز على أسنانها غيضا: حاضر سيدي.

وتحركت مع ابنة المدير، وهي تهمس غاضـــبة: حتى عندما تفعل شيئا جميلا تفسده.

دنيا بابتسامة هادئة: سنذهب إلى أحد المطاعم القريبة نجلس فيه ونتحدث.

خرجت معها فاديه، دون تعليق سـارتا دون أي حديث حتى وصـلتا إلى المطعم، دخلتا وجلستا على إحدى الطاولات.

فاديه بحيرة: هل يمكن أن تخبريني بماذا أساعدك؟

دنيا بحرج: أنا أقوم بعمل دراســة عن تأخر الزواج ،وقال والدي أنك قد تفيدني.

فاديه لنفسها بالم وحسرة: كم هذا مؤلم، لقد أصبحت حالة تدرس، وكأني فار تجارب، أغمضـــت عينها بألم تحاول منع دموعها من السقوط.

تحدثت فاديه بضـــيق وألم شـــديد: فهمت الآن، لا مشـــكلة سـأسـاعدك، أخذت نفسـا عميقا وسـكتت قليلا ثم أكملت بمراره: أعرف ما يقال عن الفتيات مثلي، يقال عنها عانس وكأنها المذنبة، الملامـة، لا أعرف على مـاذا، هـذه الكلمـة التي تقتـل الكثير من القلوب، ولكن الحقيقة أن من تأخرت في الزواج ليسـت عانسـا إنما هي فتاة نجت من مصير مرير وصلت إليه بعض الفتيات اللائي أردن ان يهربن من هذه الكلمة بأي شـكل، فكان الثمن حياتها لا هي ظلت فتاة، ولا هي مستقرة في زواجها.

دنيا بعدم فهم: هلا أوضحت كلامك؟

فاديه بنظرات منكسرة متألمة: سأحكي لك قصتي، وقد تفهمين منها ما أقصد، أخذت نفسا عميقا وأكملت، بعد أن تخرجت من الجامعة عملت في الشركة، كان راتبي كبير، كان كلما اتي لي خاطب يرفضه أبي ويقول إنه طامع في مالي، لم أكن أعترض، كنت أشـــعر بذلك فكل واحد منهم يعمل براتب بسيط ويريد من تساعده، وحتى أوضح لك أنا لا أرفض مســـاعدة الزوجة لزوجها ولكن أرفض أن يكون هذا سـبب الزواج الأول، في يوم بعد عودتي من العمل شـعرت أن هناك شـــيئا غريبا في البيت، كان هذا اليوم هو بداية معاناتي الحقيقية وفهمي للحقيقة، اعتقد كنت بعمرك الان وقتها, عادت إلى الخلف (اغمضـــت عينها واخذت نفســـا عميقا وبدأت تتذكر كل ما حدث بحسرة وألم ووجع كل الأعوام التي مرت)

****

دخلت فادية الشقة.

فاديه: السلام عليكم يا أمي.

والدة فاديه (فاطمة): وعليكم السلام ابنتي، هيا ادخلي بسرعة غيري ملابسـك، فسـيأتي لنا ضـيوف بعد قليل، ويجب أن تكوني في أبهى حلة.

فاديه زامة شـــفتيها: يبدو أنه خاطب جديد، كم هذا الأمر مرهق ومؤلم؟ كل مرة يأتي الخاطب ويعطيني الأمل، ويذهب بعد أن يترك خلفه الألم.

دخلت فادية إلى غرفتها بخطوات بطيئة ثقيلة لتغير ثيابها وتستعد لشخص يأتي يشاهدها كأنها سلعة يريد شراءها، كم هذا صعب حقا ومؤلم.

استعدت فاديه وجلست في غرفتها تنتظر أن يناديها والدها، كانت اللحظات تمر ببطء شديد كانت تسمع دقات قلبها وكأن أحدهم يضرب على الدف، فقد مرت بهذا أكثر من مرة وكل مرة نفس الخوف، حضر الخاطب وسمعتهم يتحدثون عنه يعمل بشركة ولديه شقه، إنه متيسر الحال ليس طامعا، هدأت دقات قلبها قليلا، ولاحت شبه ابتسامة على شفتيها، ولكنها مازالت خائفة فهي تعرف والدها جيدا لن يمرر الأمر بسلام إلا إذا اطمأن له، بعد قليل نادتها والدتها، خرجت وجلست بعد أن سلمت علي الخاطب وأهله، كانت تنظر للأرض من الخجل ولا تعرف كيف تداري خوفها وقلقها، أما الخاطب كان يلاحقها بنظراته هو ووالدته، كانت نظراته بها إعجاب ورغبه، أما والدته كانت تنظر بتفحص لها وكأنها تريد أن تخترق ملابسها لترى أعضاء جسمها مكتملة وسليمة، أم سيكتشفون بها العيوب بعد شرائها.

مصطفي: أهلا بك يا أحمد يا ولدي.

أحمد: أهلا بك عمي.

مصطفي: أخبرني يا أحمد ما موعد صلاة الظهر؟

احمد بتوتر: لا أحفظ المواعيد ولكن عندما يؤذن المؤذن أصلي.

مصطفي: جيد أنك تصلي ،فالصلاة مهمة لحياتنا، هل تعرف اسم أقرب مسجد لمنزلك؟

احمد بتلجلج: لا اعرف فانا لا أهتم باسم المسجد المهم أن أصلي به.

مصطفي بشيء من الامتعاظ: جيد جيد، هل تعرف أسم السورة الرابعة في الجزء الواحد والثلاثين فكنت أحفظه ولكني نسيت؟

احمد بإحراج: الحقيقة أنا لا أحفظ إلا السور الصغيرة فقط، ولا أعرف اسم السورة التي تسأل عنها.

مصطفي: ولا أظن أنك ستعرف عنها أبدا القرآن ثلاثين جزءاً فقط.

احمد بنزنق: ولكن كيف تسأل عن جزء غير موجود؟

مصطفي: لأنك لو تعرف القرأن لأجبت ببساطة، أظن يا أحمد ليس لدي ما تريد.

والدة احمد وقد ضاقت ذرعاً بكل هذه الاسئلة، واعتبرتها استهانة بولدها لأنها بغير مكانها بنظرها فحاولت عدم هدر كرامة ابنها أكتر: شكرا لك سأزوجه من هي أفضل من أبنتك، هيا بنا يا احمد.

أخذت أبنها وخرجت، جلست فاديه حزينة مكسورة الخاطر، فهي لا تفهم لماذا يفعل أبوها هكذا فهو عريس جيد وليس بطامع كالسابقين، لاحظ والدها ذلك فجلس بجوارها وربت على كتفها بحنان وقال: لا أريدك أن تحزني يا ابنتي فهو لا يستحقك فمن لا يشكر الله على نعمه، لن يصونك أو يسعدك.

فاديه بعدم اقتناع: يا أبي لكنه كان مستعدا لديه كل الامكانيات، وحالته المادية مرتاحة وقد يهديه الله فيما بعد.

مصطفي: قد يحدث ولكنك ستعيشين تعيسة حتى يهديه الله، هذا إن هداه الله، وإن لم يهديه فستكون تعاستك دائمة؛ فالله توعد من يبتعد عنه بأن له معيشة ضنكا، وأنا لا أريد أن تعيشي تعيسة فأنت أبنتي وأنا أحبك أكثر من أي أحد أخر بالدنيا، لا أريد أن أزوجك لأخلص منك ولكن أريد أن أزوجك لأفرح بكِ، أتفهميني يا أبنتي؟

هزت فادية رأسها بالموافقة ودخلت غرفتها، لكنها من داخلها لم تقتنع بكلام والدها، وكانت تشعر أنه يظلمها ويدمر حياتها.

استمر الوضع على هذا الحال، كلما جاءها خاطب يعيد ذات الكرة، ويسأله أسئلة غريبة، كانت فاديه حزينة جدا تشعر بألم شديد مما يفعل والدها، وبدأ النوم يجافيها وتظل تفكر طوال الليل وكان ذلك يسبب شحوب وجهها، فرأتها إحدى زميلاتها بالعمل وشعرت أن بها شيء يؤرقها فسألتها.

ناديه (زميلتها): ما بكِ يا فادية؟ لم أراك حزينة وشاحبة الوجه؟

فادية بتهرب: لا شيء إرهاق فقط من كثرة العمل.

ناديه: لا أظن، أعتقد أن هناك شيء أخر يؤرقك.

تنهدت فادية بألم شديد وامتلأت عيناها بالدموع: والدي يرفض كل خاطب وأخاف أن أبقى دون زواج بسبب رفضه لهم لأسباب غريبة، لا أفهمها.

ناديه: ولماذا يفعل هذا؟

فاديه: يقول لي إنه لا يريد التخلص مني، ولكن يريد الفرح بي.

نادية: لا أعرف قد يكون لا يريد تزويجك كي لا يخسر رابتك؟

فادية بإنكار للفكرة: لا فأنا أدخر راتبي كاملاً، وهو لا يأخذ مني شيء ويحضر لي كل ما أريد حتى مصروفي ومواصلاتي، ويقول لي ادخري هذا المال لك للزمن.

نادية: إذا فولدك لم يخطأ، وأظن أن معه حق.

فاديه بضيق: معه حق! إذا لم يسأل كل الأسئلة التي يسألها، ما أقرب مسجد لبيتك، يسأل عن مواعيد الصلاة، وما أفضل طعام تعده والدتك، ماذا ترتدي اخته، أين مخبز العيش القريب منكم، من يلقي القمامة، كلها أسئلة غريبة ولا أفهمها.

نادية بحيرة: لا أعرف الأمر غريب حقا! وكلها أسئلة غريبة فعلا، لكن لا تغضبي ستحل إن شاء الله.

قطع حديثهما دخول أحد زملائهم الغرفة بعد أن طرق الباب.

فادية: هل هناك شيء أستاذ فهد؟

فهد بنظرات إعجاب: لا، ولكن كنت أريد التحدث إليكِ في موضوع خاص.

فادية بإحراج: لا يوجد بيني وبينك أي مواضيع خاصة.

فهد بنظرات اعجاب: أريد التقدم لخطبتك.

صمتت قليلا من الصدمة فهي لم تتوقع في هذا الأمر، شعرت بحرج شديد وتوتر، ثم أخرجت ورقة وكتبت بها رقم هاتف وقدمته له.

فادية بخجل شديد وتوتر: هذا رقم والدي، يمكنك التحدث إليه.

أخذ الورقة وخرج سعيدا، فكرت نادية أن تساعد صديقتها، فاعتذرت من فادية وخرجت مسرعة، ولحقت بفهد وأخبرته الأسئلة التي يسألها والد فادية، وأن يفكر في أفضل الإجابات لها.

اتصل بوالدها وحدد معه موعد، وأتى حسب الموعد كانت فادية تشعر بتوتر شديد وخوف، جلس فهد مع والدها وكان يبدو عليه التوتر الشديد، لاحظ والدها ذلك، تعجب من إجابته كل الأسئلة كأنه يعرفها مسبقاً، طلب منه مهلة ليفكر ويسأل عنه.

وبعد أن ذهب جلست فادية مع والدها، كانت مترددة وخائفة ولكن شجعت نفسها وسألته.

فاديه بترقب: ما رأيك به يا أبي؟

مصطفي: لا أشعر براحة أشعر أنه حفظ أجوبة الأسئلة، وهذا يقلقني سأستخير الله.

مصطفي محدثاً نفسه: هل من الممكن أن تكون ابنتي قد فعلت ذلك؟ لا فقد ربيتها جيدا، ولم اطعمها حراما، فلن تغدر بأبيها أبدا.

ذهبت فادية إلى غرفتها وهي غاضبة وتقول لنفسها: ماذا يريد مني لما يفعل هذا؟ أ يعقل أنه يكرهني؟ ما عدت أتحمل نظرات الناس لي، وايماءتهم وهمسهم على وضحكاتهم الخفية لأني أصبحت عانسا، لن أسامحك يا أبي، وانفجرت في البكاء وظلت تبكي طوال الليل.

شعر والدها بألمها وفكر أن يكلمها لكنه خاف أن يجرحها ففضل السكوت، ودعا الله أن ينير بصيرتها وتعرف الحقيقة، أخذ قراره

ورفض فهد وأصـــبحت فادية حانقة جداً تشـــعر بالظلم والقهر، فكيف تتحمل أن تشـــعر أن والدها الذي يجب أن يحميها هو من يظلمها، أتى إليها فهد في مكتبها وكانت زميلتها غائبة هذا اليوم دق الباب ودخـل، كان يبدو على وجهها الحزن والإرهـاق الشـــديد، وعينيها حمراء من البكاء.

لاحظ فهد هذا، فأسـتغل الأمر شـاعراً أنها سـتكون هشـة ضـعيفة فقال: لم رفضتني؟

فاديه بحزن وألم: هذا قرار والدي ولا يمكنني الاعتراض.

فهد بخبث: بل يمكنك إن كنتي تقبلين بي.

فاديه: لا أفهم هل ستذهب له مرة أخرى؟

جذب فهد كرسيا وجلس بجوار مكتبها: لا أقصد ذلك، ولكن يمكن أن نفكر في طريقة نجبر والدك بها على القبول بزواجنا.

فاديه بحيرة: ماذا؟!

فهد بخبث: اسـمعي فلتهربي من بيت ابيك، ونتزوج وبهذا سـيرضـخ لنا.

فاديه بصدمة: ماذا تقول؟! أهرب ونتزوج؟!

ثم ســـكتت قليلا... وأكملت: معك حق وبهذا ســـيوفر لك بعض النفقات مثل الفستان والزفاف وأشياء من هذا القبيل.

فهد بمكر: معك حق وقتها يمكن أن اجعله يفعل ذلك.

فادية ببعض التفكير والحيرة: كيف أجبت والدي عن كل الأسـئلة دون خطأ؟

فهد: زميلتك في المكتب أخبرتني، فهي تحبك وتريد مصلحتك.

فادية: صحيح معك حق، ستعرف جوابي غدا.

كانت فادية مصـدومة من كلام فهد، وفهمت أن والدها علي حق في رفضـه له، فلا يمكن لشـخص يحب انسـانة أو حتي يهتم لأمرها أن يطلب منها طلب كهذا، فقررت أن تبتعد عنه وسـتبدأ بالمكان الذي يعمل به، وأيضـا عن صـديقتها التي أفشـت سرها، حتي لو كان مقصـدها خير، فحسـن النية لا يعفي من الخطأ، طلبت نقلها من هذا المكان وأثناء عودتها للمنزل رأت الشاب الذي تقدم لها من قبل وكانت حزينة لرفض والدها له، كان يسـير مع زوجته، شـعرت بألم شـديد وامتلأت عينيها بالدموع، فكانت سـتكون معه وتكون أم أطفاله، ولكن عندما رأته يعاملها معاملة سـيئة، ويتعالى عليها وينهرها، فهمت أن والدها كان محقا.

فادية بصوت خافت: الحمد لله أشكرك أبي فلولاك لكنت مكانها.

تنهدت بألم ووجع ومسـحت دموعها التي تتسـاقط رغماً عنها، ونظرت لدنيا التي ترمقها بنظرة حزينة مليئة بالمرارة والألم.

فادية ببعض الأمل وابتسـامة رضى: خلاصـة الأمر أن العانس كما تسمونها، ليست فاشلة لعدم حصولها على عريس وإنما هي ناجيه، نجت من مصير سيئ وقعت به كثير من الفتيات اللاتي تزوجن فقط لتهربن من كلمة عانس، ومن نظرات الشـماتة من البعض، ونظرات الحسرة من البعض الآخر.

دنيا وقد أدركت معنى كلام فادية: ما تقصدينه أن العيب بمجتمعنا لأنه ينظر لها بنظرة مؤلمة، ويتهمها وهي بريئة، فعلا فهي لم ترتكب أي ذنب فلو ذهبت فتاة واختارت شابا وطلبت منه الزواج سيتهمونها بالفجر، وإن لم يأتها خاطب فهي قبيحة، وإن أتاها الخطاب وكانوا سيئين فهي تتكبر، مسكينة المرأة في مجتمعنا.

فادية تنهدت بألم: للأسف نعم، لقد قصصت عليك قصتي لأنكِ قولتي انكِ تقومين بدراسة، كل ما أطلبه منك أن تنشريها لتراها كل فتاه كي لا تعيش نفس الألم والمرار، فقد تعلمت الدرس جيدا، وأنا أعيش الأن مع والدي بسعادة، فقد فهمت معنى كلمته أريد الفرح بكِ لا التخلص منكِ، وكلي يقين بأن الله سيأتي إلى بالخير كله سواء في الدنيا أو الأخرة.

ذهبت كل واحدة منهم في طريقها وهي مقتنعة أن نظرة المجتمع الظالم هو سبب معاناة كل فتاة مثل فادية.

****

عادت فادية إلى الشركة وأكملت عملها وعادت الى منزلها، أعدت الطعام لها ولوالدها، وبعد أن تناولاه جلست حزينة مجروحة تشعر بألم شديد فهذا اليوم كان يوما مؤلما، لاحظ والدها عليها الألم، فجلس بجوارها وربت على كتفها وقال بحزن: لا تحزني يا ابنتي فما عند الله خير.

فادية بألم وهي تمنع دموعها من السقوط: لست حزينة لكني مجروحة شعور صعب أن تكون فرجة لغيرك أبنة المدير تعد بحثا عن العنوسة، وأتت لتسألني عن تجربتي.

اخذ مصطفى نفسا عميقا وأخرجه بألم يكاد يقطع صدره: سامحيني لو كنت أنا ســـبب ذلك، ولكني ما كنت لأزوجكِ لرجل يهينك ويجرحك.

فادية بألم: لســـت غاضـــبة منك يا أبي فأنا متأكدة أن ما فعلته في صـــالحي، ليس الزواج في حد ذاته الهدف، ولكن الهدف أن أكون سعيدة، وأنا سعيدة وراضية عن حياتي.

مصطفي بحزن: هداك الله يا ابنتي وأصلح لكِ الحال.

فادية برضا ممزوج بحزن وألم: أحمد الله كل يوم أن رزقني أباً مثلك يا أبي يخاف علي ويحميني، كلما أرى النســـاء اللاتي تعيشـــن في بيت زوجها مهانة أحمد الله أن رحمني من ذلك المصـــير، أعلم أن ليس كل الرجال ســـيئين ولكن كان نصـــيبي أن من تقدم لخطبتي غير مناسبين، فالحمد لله أنك بجانبي وتدعمني.

مصطفى قبل رأسها واحتضنها بحنان: وأنا أحمد الله أن رزقني أبنة مثلك..

صرخة أب

شريف بحيري

يجلس القاضى على منصـــة المحكمة بين قاضى اليمين وقاضى اليسار؛ ويجلس على الكرسي المجاور سكرتير الجلسة الذي يسجل كل كلمة بين القاضي والمدعين.

وكنت أقف أمامه وكتفي الأيسر بكتف المحامي الأيمن وعلى الجانب الآخر وعلى نفس المستوى تقف زوجتى ولكنها على يسار المحامي الخاص بها.

قدمت بطاقتي الشخصية لإثبات حضوري بالجلسة؛ وهي أيضا.

- القاضي: ماذا تطلبين؟

- الخلع.. إني أرفض الصـــلح.. وإني أكره الحياة معه.. وإني أخاف الا أقيم حدود الله.

- مرة أخرى.. هل تقبلين الصلح؟

- لا أقبل الصلح.

- ينظر القاضي إلي.. هل تقبل الصلح؟

شردت ببصري يتشتت ذهني، أين أفكاري؟ أين كلماتي؟ كلمة واحده أقولها تنهي كل شيء، تنهي حياة استمرت خمسة عشر عاما، تذكر أنها خانتك.. تذكر أنها قالت لك لا أحبك وكيف؟ وابنتي؟ أنا أحبها... نظرت إلى المحامي لعله يجد إجابة، وجدته يركز نظره على ما يدونه سكرتير الجلسة. نظرت إلى القاضي مرة أخرى؛ وكأن الثواني السابقة كانت دهرا..

-نعم.. ماذا.. نعم.. أوافق على الصلح.

يطلق القاضي الحكم: تحول القضـــية إلى مشـــيخة الأزهر لعرض الصلح بين الزوجين.

يصرخ محامي الزوجة: سيدي إنها كارة الحياة معه، إنه يعاملها بسوء إنه..

يقاطعه القاضي: هناك أولاد يا أستاذ.

بعد شهرين حصلت على الخلع.

حكمت المحكمة اليوم إنك لن تران مجددا؛ حكمت المحكمة اليوم إني لا أستطيع أن أراك، لا يحق لي البحث عنك، لا يجوز التواجد في مكان أنت فيه. كما هي عادتك إنك لا تردين على اتصالي بالهاتف ولا تحاولي أن تتصـــلي بي؛ وفوق ذلك أنك للمرة الأولى تغلقين الهاتف وهو يرن وترفض الرد على اتصالي.

كيف سمح قلبك بذلك؟

كيف استطعت فعل هذا؟

ألم تعرفي أني أتعذب حين لا تجيبين لا أنام، أنت من تبقى لي في هذه الحياة.

كلما قابلتك في المرات القليلة الســـابقة وفي لحظات أصـــغر من مقياس زويل الزمنى؛ كنت أطلب منك أن تتصـــلي بي، أن تحاولي مجرد المحاولة للاتصال، ولكن كنت أحدث نفسي؛ إن نفسي يمكن أن ترد علي؛ يمكن أن توقظنى من نومي؛ إني أتحدث إلى الفراغ. ابنتي اليوم أصبحت لا أستطيع أن أراك؛ حاولي أنت، أعرف إنك مجبورة على نكراني.

فتحت جهاز الهاتف الخاص بي؛ صفحات التواصل الأجتماعى بلا بمعنى إلى أن قرأت خاطرة لصديقتي؛ بعثت بعض الشجن فى داخلي؛ فأمسكت بالقلم والورقة وكتبت:

كتبت صديقتي؛ خاطرة حزينة؛ عن معنى الفقد بالموت والفقد بالبعد؛ وكيف أن الفقد بالبعد أشد ألما من الفقد بالموت وذلك لآن مع البعد يوجد ضوء بسيط فى نهاية الممر تظن أنه هو أمل العودة لما سبق، ثم تكتشف أن هذا الضوء ليس هو إلا انعكاس ضوء عمود الكهرباء بالشارع على واجهه محل زجاجي إذا جريت نحوه انكسر.

تحية لموهبتك؛ إنك عبرت جيدا أسلوبك الأدبي جميل وراقي، تعبيراتك دائما تعجبني؛ وكلماتك تدخل قلبي لكن.

هل يمكن ان تعبر عما يمزق قلبي؟

هل يمكن أن تعبر عن مشاعر من فقد ابنته وهي على قيد الحياة؟

هل يمكن أن تعبر عن لحظة الحزن حين من يرى ابنته ولا يستطيع أن يكلمها؟

هل يمكن أن تعبر عن محاولاتى المستمرة للاتصال بها هاتفيا ولا ترد؟

هل يمكن أن تعبر عن معاناتي وألمي وأنا أرى أن ابنتى ترى عدد مرات اتصالي ولا ترد؟ وحينما تنعم علي بالرد بعد يوم أو يومين، لماذا لا تجيبن حبيبتي؟ ... لا شيء.

إنها كلمة تحمل كما من البرود واللا شـاعرية ومجردة من أي عاطفة من ابنة لأبيها؛ سألتها باستعطاف:

- هل لا تريدين أن أتصل بك مجددا؟

- لا.. اتصل يا أبي.

- هل تريدين أن تتحدثي معي؟

- نعم أريد.

- إذا إبدائي كلاما، أريد أن أســمع منك، احكي كما كنت تحكين فى الماضى القريب..

لا أجد غير الصــمت، البعاد قطع كل محاور الحديث بيننا. فكرت وفكرت وفكرت أمـامي عـدة ثوان؛ لا أقـل... حتى تهبط علي أفكار شـاردة في موضـوع أبداء به الحوار مع ابنتي، و يجب أن تكون هذه البدايه مقدمة لموضــوع طويل أو عدد من الأســئلة متتالية. يا لا حظي العاثر لقد فقد القدرة على التفكير.

إني أريد أن أتحدث معك يا ابنتي طوال الليل ولكني لا أجد ما أبداء به الكلام، وإن وجدته لا أضــمن أن يطول الحديث، وإن طال قد يكون حـديثـا مملا يجعلـك لا ترغبين في لقـائي مرة أخرى. هـل تستطيعين صديقتي أن تعبري عما جال بخاطري من حالي مع ابنتي حين أحادثها؟

هل تســتطيع كتاباتك أن ترى دموعي وأنا عاجز عن أن أجد كلاما أحادث به ابنتي؟ أنأ أرى ابنتي دقائق بل لحظات وهي تذهب إلى التمرين، لا أسـتطيع التحدث إليها إنها تريد أن تغير ملابسـها سريعا

لتلحق ميعادها، فالمدرب يغضب من التأخير وهي تخاف من غضبه مدربها وأصبحت لا تهتم بأن أحزن... لا... إنها لا تشعر بتعاستي، لا تشعر بأني مدمر من داخلي. وبعد التمرين أجري نحوها كعاشق ينتظر حبيبته.

- ابنتي أريد التحدث إليك.

-لا أستطيع، سائق التاكسى بانتظاري لا أستطيع التأخير عليه.

تتركني محطما، لا... لست محطما... فسأحاول وأحاول سأعتبرك حبيبتى التي أجري وراءها، سأنتظرك في كل وقت، سوف أتصل بك مرات كثيرة حتى لو لم تجيبي، لقد عدت كتلميذ في المرحلة الثانوية يتسكع على أبواب مدرسة البنات لعله يظفر بنظرة أو ابتسامة.

ابنتي اعلمي أني أحبك، اعلمي أني لم أكن السبب فيما حدث، أعلم أنك لن تصدقيني لكن لا أملك إلا أمل أن تصدقيني مستقبلا.

أرسلت هذه الكلمات لصديقتي التي شعرت بالحزن نحوي وردت علي.

- صديقي أنا أعتذر إن كانت كلماتي قد أثارت بك كل هذا الشجن.

- لا تعتذري صديقتي فالحزن داخلي يقف على حرف أنت فقط أسقطت هذا الحرف.

- لم أكن أريد أن تحزن بسبب كلماتي.

- صديقتي العزيزة لا تحمل نفسك عبء لا تحمل وزره، إن من يتحمل سقوط أسرة سقطت كسقوط غرناطة، من يتحمل ضياع حلم إبنة كانت تحلم أن تكون بطلة في رياضة السباحة فجاء، من

أخذ حلمها من أجل شـهوته من أجل نزوته، وقد سـاعدته هي على ذلك، وكانت تظن أنها تبني لنفســها عالما، أي عالم كانت تبحث عنه؟ إنه عالمها هو من كانت تعيش فيه، إن عالمه هو بيتها وزوجها الذي خانته إن عالمها هو ابنتها التي وأدت أحلامها، سـوف تسـألها في زمن أت، بأي ذنب قتلت حلمي؟

- صديقتي أشكرك على مشاعرك الصادقة.

تمر الأيام أتمزق من داخلي لبعد ابنتي؛ أعرف أن هناك من يوسـوس لك إني هجرتك و إني لا أصرف عليك و لا أرسل لك أموالا، الحقيقة أني أصـبحت مثل الدمية لا أهتم بما يحدث حولي، لا أتابع مباريات فريقي المفضــل، و ليزداد تمزقي فأن عشــيقها كان يشــجع نفس الفريق، فهمت الأن لماذا كانت تجلس بجانبي لمتابعه المباريات، كانت تعرف أفكاري و تسـامر عشـيقها، لابد لي من نهاية؛ لابد لي أن أرى ابنتي؛ أريدها أن تقضى العيد معي؛ تمر الأعياد و رمضان و أنا فى رمضــاء وابنتي لا تشــعر بي؛ بل تظنني ناكرا لها، لا يا ابنتي؛ لســت مقيد الأغلال لأبحث عن الحل.

- أستاذ انا أتعذب.. أريد ان أرى ابنتي.

- القانون لا يتيح لك إلا يوما فى الأسبوع.

- كيف؟ أنا كنت أرها وهي تســتيقظ من النوم وهي ذاهبة لغســل وجهها، وهي أتيه من المطبخ تحمل بعض الطعام، على فراشها تكلم صــديقاتها باســتخدام وســائل التواصــل الاجتماعي، وهي تذهب لمدرســتها وهي ترتدى ملابســها اســتعدادا للتمرين، وهي تمارس رياضـتها المفضـلة، وهي مجهدة بعد التمرين و تطلب أن تأكل و أنا

أقول لها إن طعام أمك ألذ و أطيب من طعام المطاعم، الأن بعد الانفصال أختصر كل ذلك فى يوم أسبوعيا.

-ويحدد القانون مكان الزيارة فى أحد الأماكن العامة وبحضور موظف لتسجيل حضور الأبنة والأب.

- ولكنها خانتني وأرادت الزواج من غيري.

- القانون لا يعرف سوى أنها الأن حاضنة.

- ولكنها غير جديرة بالأمومة.

- هذا كلام إنسانيات نذكره في المحاضرات وأماكن الدرس ومناقشات المقاهي.

- ولكنهم لا يملكون سلطة لمساعدتي.. من يسمعني ويقدر موقفي.

- القانون واضح وصريح.

- أنا لست مجرما، أنا أب... من أيام قليلة كانت تبيت بين أحضاني، كنت أنام على فراشها، كنت أحتضنها صباح مساء؛ كنت أضع يدي على كتفها لأني لا أجرؤ على فعل ذلك سوى مع ابنتي، كنت أداعب خصلات شعرها، كانت تغير تسريحة الشعر لأجلي؛ وتحضر الدواء لأجلي، الأن هي تخافني.

- أنت ليس لك حق سوى فى رؤيتها ثلاث ساعات أسبوعيا.

- باندهاش فتحت فاه.. ثلاث ماذا؟ وما أقول فيهم؟ هل أصبح مضحك الملك؟ أما أصبح الناصح السخيف ذو الوجه المكروه؟

هل أشتري كل مايطلب مني في هذه السويعات؟ أم أعلمها الاقتصاد والتدبير وأصبح بخيلا.

- إن هذا كل حقك.

- ومتى تنتقل الحضانة لي؟

- بسخرية.. حضانة البنت حتى الزواج.

- فتحت فمي وانحنيت للأمام، وماذا تفعل بي بعد أن تتزوج؛ وبسخرية وبصوت فيه استهزاء.. هذا أبي الذي لم أره فى حياتي سوى سويعات فى الأسبوع إن أردت أن يزورنا يا زوجي الحبيب أكون شاكرة لك.

- هذا زوجي يا أبي، لا أعتقد أن رأيك يهم فلم يكن لك دور في حياتي.

- إنه القانون.

شردت بذهني بعيد؛ سرحت بخيالي؛ رأيت أمام عيني أحد اللقاءات الأسبوعية.

- أستاذ لا تنظر هكذا إلى ابنتك إنك تخيفها.

- نظرت إليه بهدوء.

- أستاذ لا تحاول أن تمسك ابنتك إنك تؤلمها وهذا يحسب عليك.

- نظرت إليه بحدة.

- أستاذ لا تحاول أن تتكلم مع ابنتك فى هذا الموضوع فهذا خارج نطاق الزيارة.

- جحظت عيناي باندهاش.

يقطع حالة التخيل صـــوت المحامي؛ ماذا تريد أن نفعل هل نرفع قضية للرؤية؟ تركته وخرجت دون رد.

****

ذهبت إلى مدرســة ابنتي، لقد بدأت الدراســة من أســبوع يجب أن أدفع مصـاريف المدرسـة ولعلها فرصـة أن أرى ابنتي لدقائق أشـعر خلالها أن كل زملاء ابنتي يراقبونني وأن المدرســـة تتابع أنفاسي وأشـواقي، ولكن كل هذا لا قيمة له من أجل حضـن أبوى وقبلة على جبين ابنتي.

- صباح الخير يا أستاذة.

- صباح النور.

- من فضـلك كنت أريد أن أدفع المصـاريف وأريد أن أسـلم الكتب بنفسي لابنتي.

- يمكنك أن تدفع المصاريف ولكن الكتب في أي وقت لاحق إنها...

- قاطعتها بهدوء... أسف يا أستاذة ولكني منفصل عن والدتها.

- نظرت إلي بشـــفقة؛ آه فهمت انتظر، أجلس على هـذا الكرسي، وأرســلت إحدى العاملات بالمدرســة لتنادي على البنت. وفي هذه الأثناء تم دفع المصاريف وكتابة الإيصال وتجهيز الكتب المدرسية، حضرت البنت ونظرت لها بشوق وحدثت نفسي: لقد فقدت بريقها وجمالها وعلى وجهها مســحه من الحزن وعيناها يملؤها التســاؤل،

أتسائل ماذا علي أن أفعل؟ أنا لم أرى ابنتى منذ شهور فهم يمنعونها عني، ما هو أول شيء لابد أن أفعله... وتقطع المدرسة أفكاري قائلة:

- هذا أبوك هيا ألقى عليه بالتحية لا داعي للخجل،

تقترب البنت وتقبلني وأنا أمد يداي ألتمس وجهها الجميل وأقول ما بك يا ابنتي هل أنت بخير؟

لا ترد وترسم بسمة باهته على شفتيها، فيما تقول المدرسة: والدك قد دفع المصاريف وعليك أن تستلمي كتبك، نظرت إلي باسمة و أخذت الكتب و رحلت.

وقفت لا أستوعب ما حدث، التفت إلى المدرسة أشكرها، وأخبرتها أنهم يمنعونها من الكلام معي وأني لقد اعتدت ذلك وألقيت التحية لا أعرف إن كانت سمعتها أم لا والتفت خارجا من المدرسة متوجها إلى سيارتي فتحت بابها وجلست؛ الدموع تتحجر في عيناي؛ تحركت بالسيارة في اتجاه طريقي؛ بحثت عن هاتفي وكلمت صديقي وصوتي مليء بالشجن، لن أذهب للعمل اليوم إجازة لا تقلق كله انتهى؛ حتى أنا؟ لا أريد منك كلاما متوجه إلى منزلي لا أريد ازعاج العمل؛ أغلقت هاتفي؛ سيارتي تسير فهي تعرف الطريق؛ لا أسمع آلات التنبيه تتغير إشارة المرور؛ فتقف السيارة؛ عقلي يفكر بالمجهول لا فكرة لا كلمة ولكنه مشغول؛ يتغير لون الإشارة؛ أكمل المسير؛ الدموع تأبى أن تنزل ترفض نفسيـ البكاء؛ وصلت لمنزلي صعدت درجات السلم ببطء كأني أتأكد من عددها، فتحت الباب مهزوما؛ أحدث نفسيـ، تندفع الدموع من عيناي... لم أعد أبا... لم يعد لي مسؤولية، أصبحت فقط مصدرا للأموال، تميد الأرض بي،

أنا أب... تتحرك الأرض أكثر ... أنا لي مسـئولية تجاه ابنتي... يزداد الدوران... كيف لي أن أربي ابنتي؟ بدأت في التمايل... كيف لي أن أهبها خبراتي؟ ... أترنح أكثر... كيف أمنحها القوة لمواجهة الحياة؟ اسـتندت بيدي اليمنى على المنضـدة، لقد فقدت السـيطرة على ابنتي... سـندت بيدي الأخرى ... صرخت أنا أب ولسـت خزانة أموال... انخفضـت جفوني... ابنتي... اغلقت جفوني نهائيا... ابنتي... شعرت بدوار شديد وسقطت أرضا؛ وأنا أتمتم... ابنتي... أنا أبوك... ابنتي، أنـت حلم حيـاتي... ابنتي... أنـت أملي الـذي لم يتحقق... ابنتي... كنت أعيش من أجلك... ابنتي... لقد سـهرت لراحتك... ابنتي... لسـت أنا من ترك البيت ... ابنتي... لسـت أنا من هدم البيت... ابنتي... لست أن من أطاح بأحلامك... ابنتي... لست أنا من غير اتجاه حياتك... ابنتي... لقد حاولت مرار وتكرارا أن اوضح لـك الحقيقـة... أبنتي... هـل تعلمين مـدى حبي؟ ... ابنتي... هـل تعلمين؟ متى تدركين الحقيقة؟تنهيدة مكتومة وصوت يسمع صداه بصدري... حين أموت.

يطرق أحدهم باب المنزل.. فتحت الباب.

هذا حكم نهائي بمنعك من رؤية أبنتك لآنك غير جدير بذلك.

آآآآآه ... آآآآآه ... آآآآآه ...

ولينتقم الله من كل رجل ينظر إلى سيدة متزوجة.
ولينتقم الله من كل أم زوجة تعصي ابنتها على زوجها.
ولينتقم الله من كل زوجة خانت زوجها.
ولينتقم الله من كل من باعد بيني و بين ابنتي.

مولانا

قسمة الشربيني

جلس يزيد أمام والدته وهو لا يصدق ما تتفوه به، أيعقل أن تتشبث امرأة في مكانتها الاجتماعية بهذه الخرافات؟!

يزيد: أمي هل تعين حقا ما تقولين؟ كيف تفكرين بهذه الطريقة؟ لقد صدمتني!

الأم: ارجوك يا بنى تخيل ما اشعر به، لقد مر سبعة سنوات على زواجك ولم ترزق بأطفال، إني أتحرق شوقا لحفيد يحمل اسم العائلة، لمن سنترك كل هذا؟

يزيد: لقد نطقت بالحق لم أرزق هل أعارض أمر الله؟ أرجوك أمي أن تنحي هذه الأفكار جانبا.

الأم: أعلم أن الأطفال رزق، لكن مولانا رجل مبارك وقد ذاع صيته بتحقيق المعجزات، أرجوك يا بني اصحب زوجتك لمقابلته، واستمع لأمك هذه المرة فقط وأعدك أني سأصبر إن لم تجدي جهوده نفعا.

يزيد: بالله عليك يا أمي كيف أصحب زوجتي له، إنه دجال خرف.

تهب الأم فزعة: لا تقل ذلك أتوسل إليك، لقد قابلته بنفسي ـ وقد أكد لي أن حمل زوجتك سيحدث في القريب العاجل.

تمسك يده برجاء وتكمل: أرجوك بنى افعل ما أطلبه منك أنت وحيدي، ارحم لهفة قلبي بني.

يزيد: بالله عليك هل تصدقين هذا، لقد أجرينا الحقن المجهري خمس مرات ولم يفلح أيفلح هذا الشيخ فيما لم يفلح به الأطباء؟! أنت تعلمين أني لا أعاني خطبا وكذلك ريم زوجتي.

ربت على رأس أمه: إنه رزق لم يحن أوانه بعد، لندعو الله وننتظر كرمه.

الأم بتوســـل: أرجوك بني لقد عانيت كثيرا لتحديد هذا الموعد مع مولانا، أرجوك فقط استمع إليه، قابله مرة واحدة لأجل أمك.

زفر يزيد يأسا من اقناعها: حسنا أمي سأقابله مرة واحدة لأجلك لكن لا تطلبي مني تكرار الزيارة.

تهلل وجهها بسعادة غامرة وهي تضمه قائلة: حسنا بني لقد أكد لي مولانا أنه زيارة واحدة تفي بالغرض، هيا يا قرة عين أمك أخبر زوجتك لتتجهز موعدكما بعد ساعات قليلة.

يزيد: لتخبرها إحدى الخادمات لدى عمل هام، ســأعود لأصــحبها قبل الموعد بساعة.

وغادر يزيد وهو منشغل بهاتفه.

.....

عاد في موعده ليجد زوجته الفاتنة ريم، وقد اســتعدت للقاء هذا المولانا وتنتظره بصحبة والدته التي تتراقص السعادة بعينيها:

اقترب يزيد: السلام عليكم

الأم والزوجة: عليكم السلام

ينظر يزيد لريم: هل ننطلق عزيزتي؟

ريم باضطراب: بلى لنفعل.

مد كفه لتتمسك به فيشعر فورا بما يجيش بصدرها من اضطراب، ضغط على كفها مطمئنا بينما تقول أمه: اذهبا في رعاية الله.

يبتسم يزيد ويصحب زوجته وهو يردد في نفسه: كيف نذهب في رعاية الله ونحن متوجهان لمعصيته، وما أن اقتربا من سيارته الفارهة حتى توقف ليضع يده بجيبه مخرجا هذا المكعب المخملي ويفتحه مقدما محتواه لزوجته قائلا بود: حبيبتي هلا تضعين هذا المشبك لأجلي؟ لن يزيد جمالك بل سيزداد جمالا بتعلقه بك.

تبتسم ريم وهي تأخذه قائلة: بلى حبيبي سأضعه لأجلك وانزع ما وضعته سابقا.

شعر بالارتياح لمجرد أن علقته بحجابها ثم انطلقا إلى وجهتهما.

.....

أوقف يزيد سيارته، فاستوقف أحد المارة وسأله: من فضلك نسأل عن منزل الشيخ السوالمي

الرجل: مولانا السوالمي يقطن المنزل البعيد أعلى تلك التلة هناك.

أشار له بيده ثم أردف: لكن سيارتك لن تصل هناك عليك التوجه سيرا.

هز يزيد رأسه متفهما وهو يتمتم: لا بأس، جزاك الله خيرا

ترجلت ريم لتتمسك بذراعه بخوف يتجهان لذلك المنزل تحت أعين متفرسة، فحضور مثل هؤلاء القوم لزيارة السوالمي يؤكد للبسطاء أنه رجل مبارك وإلا ما قصده علية القوم.

وصـــل يزيـد ليجـد البـاب مفتوحـا دلفـا للـداخـل فوجـدا بعض المنتظرين، تعجب يزيد حقا لازال بعض الناس بمثل هذه العقول الواهية.

بعد قليل خرجت امرأة شكلها يدب أوتادا من الخوف تزعزع القلوب لتقول بحدة: دورك سيدي تفضلا معي.

تبعاها في دهليز طويل يصـل لحجرة السـوالمي الذي جحظت عيناه لرؤيتهما، جلســا أمامه وهو يترنح ولا يســتطيع أن يمنع عينيه من اختلاس النظر إلى هـذه الفاتنـة، أغمض عينيه وتمتم بكلمات غير مفهومـة ليرفع لهمـا عينين مرعبتين ويقول بخبـث واضــح: لقـد ظهرت العلة ودواءك بيدي، لا تقلقي ستكونين حبلى هذا الشهر.

نظرت له بشــك بينما احتفظ يزيد ببرود وجهه وقال: وما علتها يا مولانا؟

السـوالمي: يرافقها جن عاشـق يحول دون حملها سـأصرفه عنها لا تقلق.

يزيد بتعجب مصطنع: جن عاشق.. أيمكنك ذلك حقا؟

السوالمي بثقة: بلى يمكنني لكن عليك الانتظار بالخارج فقد تتأذى.

يزيد ببساطة: حسنا سأفعل، افعل أي شيء لتكون هي بخير.

السوالمى: لا تخشى شيئاً هي بحماي الأن لن تتأذى. خطف نظرة ل ريم ثم أردف: قد تنتظر ساعة أو أكثر لا تقلق.

هز رأســه وهم بالخروج لتسرـع ريم واقفة أمامه هامســة: يزيد أنا خائفة لا تتركني مع هذا الرجل عيناه ترعباني.

ربت على رأسها وهمس: لا تقلقي حبيبتي ستكونين بخير وهذا وعد مني.

أمسك كفها وقلبه متألم فهي حقا ترتعد خوفا لكن عليه إنهاء ما بدأه، خرج يزيد ليشير لها السوالمي على أحد المقاعد ويقول: اجلسي هنا.

جلست بترقب وخوف

****

بالخارج انزوى يزيد بنفسه وأجرى اتصالا هاتفيا وانتظر الإجابة...

بغضب مكتوم حتى أن صرير أسنانه يسمع على الطرف الآخر: اللعنة اين أنتم؟؟ لقد انفرد هذا المخبول بزوجتي.

عامر صديق ل يزيد: هذا الحقير يحسن تأمين منطقته، نتسلل ونمسك بعيونه حتى لا يعلم بقدومنا ويلوذ بالفرار.

يزيد: أسرع عامر وإلا لن تحصل إلا على جثته.

عامر: ارجوك يزيد تحلى ببعض الصبر أمامنا دقائق معدودة ونصل لوكره إن أسرعت ولاذ بالفرار لن يجدي عملنا شيئا وسيعود للظهور بمكان اخر باسم جديد.

يزيد بغضب: لن أنتظر حتى تتأذى زوجتي، لقد وعدتها أن تكون بخير إن لم تسرع وتنقذه من يدي ستحصل عليه جثة هامدة.

وأنهى المحادثة دون أن يعطيه فرصة ليجيب.

نظر إلى تلك المرأة ذات النظرات المرعبة واقترب منها متصـــنعا القلق،

يزيد: سيدتي أريد أن أسألك أمرا؟

نظرت له دون إجابة فيما أردف: أحقا ســـتحمل زوجتي؟؟ تزوجنا منذ سبع سنوات.

ابتسمت بخبث وقالت: ستحمل لا داعي للقلق.

أخرج ورقة فئة المائتي جنية يضـعها بكفها بابتسـامة كاذبة لتجحظ عينيها، فيبتســـم وقد تأكد أن المال غايتها فيقول: أتصـــنعين لي معروفا؟؟

المرأة: بلى لك ما شئت.

يزيد: انا متوتر وغريب عن منطقتكم، أتحضـرـين لي علبة ســـجائر أمريكية الصنع، فأنا لا أقوى على الانتظار بلا سجائري. وأخرج ورقة نقدية أخرى قدمها لها قائلا: واحتفظ بالباقي.

وغادرت ليصبح هذا الدهليز مفتوحا أمامه.

****

أشـــار الســـوالمي لريم لتجلس على مقعـد محـدد أمـام مبخرتـه النحـاســـيـة، ورفع الغطـاء ليقـذف حفنـة من البخور فوق الجمر المشتعل ويتراجع للخلف.

السوالمي: أنت فاتنة حقا، أظننا سنعيد الزيارة مرات عديدة.

ريم: لقد خبرتني حماتي أنى سأزورك مرة واحدة فقط.

السوالمي: لم أكن قد رأيتك وقتها، لم أظنك فاتنة لهذه الدرجة.

بدأت رؤيتها تتشـــوش والخدر يسرـــى بعروقها ولم تعد تقوى على حمل رأسها، جاهدت لتظل صاحية... لتكون ابتسامته الخبيثة أخر ما رأت عينيها قبل أن تترنح وتسقط للخلف.

أسرع إليها، حملها ليســـطحها على أريكة بإحدى الأركان، وتوجه لغرفة ملحقة ليحضرـ هاتفه الذكي ويضـبطه للتصـوير، ثبته بحيث تظهر صـــورة ريم واضـــحة ثم تركه واقترب منها هامســـا بفحيح: أمثالك لا يأتون للزيارة مرة واحدة ســـأرغمك على المجيء مرارا حتى أكتفى منك.

مد كفه يتحسس وجهها وبدأ بفك حجابها....

****

بعد مغادرة المرأة، تسلل يزيد عبر الدهليز عائدا للغرفة فهو لن يترك حبيبته لهذا الحقير، فتح الباب بهدوء ليجد هذا الخرف يهم بنزع حجابها وقد اقترب منها بشـــدة، توجه إليه كإعصـــار هائج لينفضـــه بعيدا عنها.

السوالمي بخوف: لما دخلت هنا؟ لقد جئت لنهايتك.

ابتسم يزيد بحقد قبل أن يلكمه لكمة أطاحت ببعض أسنانه، وضع كفه فوق فمه ونظر للدماء المتدفقة برعب وتمتم: ســـيأتي أعوانب فب التو أنت رجل هالك

يزيد بثقة: استدعهم إذا فلدي أعمال أخرى.

اقترب ليمسك ذراعه وهو يهدر بغضب: هذا الذراع لمس زوجتي... لحظات وسمع السوالمي لطقطقة عظام ذراعه التي حطمها يزيد.

اقتحم فجأة عامر الغرفة وهو يسوق تلك المرأة أمامه ويتبعه رجاله الذين أحاطوا السوالمي لينقذوه من براثن يزيد الذي توجه لريم، حملها بين ذراعيه وتوجه خارجا.

أوقفته المرأة وهي تقذف علبة السجائر بوجهه وتقول: خدعتني أيها الخبيث الماكر.

ضحك يزيد: بل خدعك غباءك يا امرأة الشيطان إن أراد مثلي التدخين أيدخن هذه القذارة.

المرأة: عليك اللعنة أيها الماكر. وجذبها الشرطي لتنقاد مرغمة أمامهم.

****

مساء

الأم بأسف: عذرا بني لم أكن أعلم بنيته لقد أكدت لي إحدى صديقاتي أنه مبارك ذائع الصيت.

يزيد: لقد جاريتك فقط لأثبت لك أن أمثال هذا الرجل لا صلة لهم بالدين، لقد اتفقت مع عامر ليتم القبض عليه وأعطاني ذلك المشبك ليسجل ما سيحدث، لقد بذلنا مجهودا مضنيا لنتأكد أن يتعفن هذا الحقير بين جدران السجون لما بقي من عمره.

الأم بأسف: هل أفاقت ريم من إغمائها؟

يزيد: ليس بعد، طلبت من الطبيب حقنها بمهدئ لتبقى نائمة حتى أعود من مديرية الأمن، فأنا واثق أنها ستنهار من شدة الخوف ويجب أن أكون بجوارها لحظة إفاقتها.

هزت رأسها بتفهم لينهض مستأذنا: سأصعد الأن وأتوسل إليك يا أمي ألا تكرري مثل هذه الأخطاء، نحن بحاجة لدعائك فقط.

عادت تهز رأسها ليصعد بهدوء متوجه لغرفته حيث قبع بجوار حبيبته منتظرا إفاقتها.

بعد ساعة تقريباً بدأت تحرك رأسها وقد علا تنفسها، أسرع إليها قائلا بحنان: حبيبتي لا تخشي سواء أنا معك

فتحت عينيها بخوف لتهب جالسة: أين أنا؟

ضمها بحنان: أنت معي لا تخشى شيئاً، لا بأس عليك حبيبتي أنت بين ذراعي.

ريم بخوف: يزيد ذلك الشيخ هل ذهبنا حقا لمقابلته أم أني عشت كابوسا؟

يزيد: بلى حبيبتي ذهبنا لكن لم نذهب لمقابلته بل ذهبنا للإيقاع به.

ريم بخوف: لقد ارتعبت هل مسني هذا الحقير؟؟ لقد فقدت وعي تماما؟

يزيد: فقدت وعيك لكن لم تفقديني حبيبتي، لقد حطمت ذراعه الذي تجرأ ليلمسك ولو لم ينقذه عامر لفقأت عينيه اللتين نظرتا إليك ولاقتلعت قلبه بكفى هذا.

انكمشت ريم بخوف شديد وهي تتمتم: أنا خائفة حبيبي ضمني أكثر لا تتركني وحدي.

****

بعد ثلاث سنوات

يزيد: حبيبتي هل أنت واثقة من قرارك؟ ســـتعيدين عملية الحقن المجهري.

ريم بحزن: بلى حبيبي واثقة، أعلم أني أكلفك الكثير من المال لكن اتمنى أن يرزقنا الله بالذرية الصالحة.

اقترب منها بلهفة قائلا بحنان: عن أي مال تتحدثين، ســـأنفق كل مالي إن لزم الأمر لإســـعادك أنا فقط أخشىـــ أن تصـــابى بالإحباط والحزن إذا لم تنجح مرة أخرى.

ريم: لنحاول حبيبي

يزيد بحب: لا تقلقي حبيبتي يوما ما ستنجبين لي طفلا جميلا يشبه والدته الحبيبة فقط ثقي في الله.

ريم: ونعم بالله

****

في عيادة الطبيبة

الطبيبة: سيدتي ليست المرة الأولى لك، لقد أبكرت في الزيارة.

ريم بحزن: لقد تأخر حيضي مرة أخرى أريد هذه الحقنة التي تحقنيني بها قبل الاستعداد للعملية

الطبيبة: حسنا لنفحص الرحم بالأشعة ثم نستعد للحقن.

بعد الفحص

جلس يزيد وريم أمام الطبيبة، هما يعلمان كل الاجراءات التي تسبق الحقن المجهري فهذه المرة التاسعة التي سيعيدان فيها هذا العملية.

الطبيبة بعد أن ملأت ملفا وخطت أسماء بعض العقاقير نظرت لهما بابتسامة هادئة: لا يمكننا إعادة عملية الحقن فأنت سيدتي حامل بالفعل.

اتسعت عينا ريم ويزيد وتسارعت دقات قلبهما.

يزيد بلهفة: حقا ما تقولين؟؟

الطبيبة: نعم سيدي زوجتك ستنجب لك مولودا في القريب، لقد أخبرتكما مرارا لا خطب بأي منكما أنه رزق لم يأتي أوانه بعد.

يزيد بسعادة: وقد جاء، أحمدك ربي وأشكر فضلك.

نظرت الطبيبة لريم وقالت: سيدتي هل أنت بخير

ريم بصوت مختنق: بلى لم أكن يوما بخير مثل اليوم...

قال تعال: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاء يَهَبُ لِمَنْ يَشَاء إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاء الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاء عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾

.....

سـيدتي، سـيدي التردد على أولئك الذين يدعون البركة والصـلاح لن يغير رزق الله لكم ولن يرد ابتلاء ابتليتم به ادعوا الله واصبروا، لا يرد القضاء إلا الدعاء.

تمت بحمد الله

بلاد الشمع والعسل

هالة الجمسي

تساقطت حبات المطر على النافذة كضيف يبلغك بقدومه، أرهفت السمع وكأنها تتلقى رسالة من شخص عزيز جاء بعد قرن من الزمن، عيناها معلقتان تراقبان رذاذ الريهام بضجيج يتهاوى ليحتضن تراب الأرض بلهفة، فيضـــمه التراب مسرـعا. وضــعت بعض من حبات السكاكر بالمعطف واتخذت خطواتها للخارج تستنشق عطر السيل يتســـلل بين حنايا جوارحها، فتتأجج الذكرى معه، زادت قطرات المياه بعمق وكأنها ترحب بضـيف منتظر، تدحرجت قطرات تعانق وجهها كطفل يريد أن يلثم وجه أمه ثم ســـقطت بيأس دون أن تلفت انتباهها، انتحار قطرة الماء تهتف أسما في شجن وكأنها عجوز تنتحب، خطواتها تســـير والأفكار شـــاردة فالخطوات تعلم إلى أين تتجه، بمنعطف الطريق، عجوز يدفع بيدين ملأتها التجاعيد عربة خشـــبية متهالكة تســـتند على إطارين من خشـــب ذا ألوان مبهجة، وأعلاها يتصــاعد خيط رفيع من دخان بفرن صــاج قد احتوى على بضــع حبات بطاطا، وقد رفع العجوز عقيرته بالغناء بصــوت أجش مردد:

"أيها الراقدون تحت التراب"

يلتقط من خلف الفرن الصغير، نرجيلة صنع يد، يمتص من رحيقها وينفخ بعزم فيداهمه السعال فيصدر صدره أزيزا وحشرجة وتفيض عيناه دمعا، ثم يهدأ قليلا ليواصـــل الغناء ثانية وهو ينظر للســـماء وكأنه يعاند الأمطار:

"قولوا لعين الشمس"

يدفع عربته مكملا سـيره تحت المطر. وقد وبخته الأمطار وبللت جلبابه الداكن اللون، فصـار يكبكب الماء بكل خطوة معه، على جانب الطريق المقابل همس زوجين سارا معا يقتسمان مظلة واقية من المطر، واحدة تستقيم بأناملهم معا وقد امتزجت ضحكاتهم مع إيقاع المطر وخطوات ثلاثية تتبعهم لعجوز يسـتند على عصـاه يهتف لها بضجر:

_هلمي حتى لا يصيبنا برد أو ينال منا مطر؟

وشوشة عشرينية وهي تدفع عربة أطفال صغيرة تطمئن عن المغطى بشراشف زاهية وتحيطه كبوة العربة الصغيرة من علو.

_لا تخشى شيئا يا صغيري أنه بعض المطر.

من بين بوابة حديدية اندفعت جموع أطفال بصـخب بملابس بنية وأحذية سـوداء يتخذون الشرفات سـاترا من المطر، تضـم قبضـتها وتخرجها من المعطف ممتلئة تمد يديها، بعض الأطفال يهرب خوف والبعض يقبل ويلتقط.

منبوذ يسـير وحيد وحقيبته الجلدية يتخذها خوذة أقبلت نحوه ثم مدت يدها بقبضـة ممتلئة بالسـكاكر فالتقط واحدة فقط وأبتسـم قالت برجاء:

_خذهم كلهم.

ابتسم بخجل وهمس:

_شكرا

لمعت عيناها بدمع فسـيره بعيدا عن الجموع ذكرها به فتسـاءلت بنهم:

_ما أسمك؟

بوجه شـاحب وشـفاه ترتجف من المطر وشـعر متهدل على الوجه التصق به المطر أجاب بصوت منخفض:

_أدهم

خفق قلبها بين الضلوع كطائر يهوي من علو، ارتجفت ساقاها وكأن حملا زاد على الكتف، وأكملت المسـير لوجهتها وهي تبتلع غصـة تجتز من ذاتها.

على مقعد خشـبي وحيد بحديقة أزهار توقفت الخطوات، وشـجرة يتيمة عملاقة تقوم بحراسـة المكان تمتد فروعها وأغصـانها لتظلل المقعد الخشبي وكأنها تعلن هيمنتها وسيطرتها على المكان، وبعض أراجيح للأطفال وكشك خشبي بآخر الحديقة، جلست بصمت وهي تعود إلى سبع سنوات مضت حين همس لها كل شيء كما هو وكأنه اليوم:

_ثقي بي سأعود فقط بعد عام ونتزوج ونكون معا للأبد.

كان جسدها يرتجف خوفا فهتفت بفزع:

_لا ابقى هنا ونكافح سـويا، لا أريد سـجاد عجم أو تلفاز حتى، أنا أريدك أنت.

هز رأسه بإصرار وهتف بضيق:

_ ولكن أهلك يريدون، كل عائلة تتمنى أن تبدأ ابنتها إلى آخر ما هم توصلوا له لا تكوني طفلة يا صفاء، نتعب عاما ونهنأ باقي العمر.

ارتعدت شفتاها بزرقة وغاص قلبها بين الضلوع وهي تتوسله:

_أرجوك!!!

أمسك يديها وقبلها ثم همس:

_سأسافر لأجلك، وأعود لك، كافحت سنتين بعد التخرج ولم أستطيع خطبتك، حتى مشروعنا المشترك الذي كان حلمنا تصدت له ضمانات البنوك فنحن لا نملك حائطا نستند عليه، والغلاء كحيوان كاسر يزداد وحشية سعارا، دقيقة تلو الأخرى وليس عاما عن عام.

استنكرت بدهشة:

_نمتلك شهادتنا نحن معا...

هز رأسه مقاطعا إياها:

_ تلك المنشأة الصناعية التي وافقت على العمل بها، فر رجل الأعمال منها بعد تراكم الديون والضرائب عليه وترك العمال مشردين، ماذا أنتظر أكثر؟!

هتفت بتوسل:

_ابحث عن منشأة صناعية أخرى..

هز رأسه بضيق ثم تابع:

_ ما تحصلت عليه من شقاء سنتين، وافق عطوة صاحب المركب على أن يأخذه لأنضم لهم بالمركب الذاهبة إلى هناك....

همست برعب وهي تتخيل مداهمة البحرية لهم وسجنه:

_ولكنها هجرة غير شرعية، ماذا لو سجنت أو يا إلهي.

هتف بسخط:

_لو كنت أملك المال للسفر الشرعي ما كنت لجأت للموج العالي.

نظر لها بحب ودفء يهدئ روعها:

_محسن رفيقي سافر بنفس الطريقة وناصر وعادل، لا تخافي سأكون هناك معهم.

جال ببصره بأنحاء الحديقة للكشك المترامي بآخر الحديقة، تسكنه خمسينية تتخذ من بعض الأشجار الجافة موقدا، تلتحف الأرض بعباءتها السوداء ووشاح أسود، وبراد قديم علا السواد جوانبه، نظرت له وهي تعلم جيدا أن كوب الشاي مقصده فجاءت بخطوات مسرعة على صينية مستديرة بكوبين التقط الكوب الأول ووضعه بين يديها ثم همس لها:

_تدفئي!!!

والتقط الكوب الآخر وهو يضع بيد المرأة عشرة جنيهات فتطلعت له ثم قالت:

_لا يوجد معي نقود معدنية لأعطيك ما تبقى.

ارتشف من الشاي قليلا ثم غمغم:

_دائما ناقص سكر، ليتك مرة واحدة تخطئين وتضعين ملعقة زائدة من السكر.

تجاهلت كلماته وأطرقت للأرض صامتة، فأخرجت صفاء مكعبات السكر من حقيبتها وتضعهم بكوب الشاي الخاص به وهتفت بها:

_خذي الباقي لك وأمطرينا دعوات:

ابتسم أدهم قبل أن يغمز لصفاء ثم نظر لقطرات ماء قد تساقطت من السماء وهتف:

_لقد فتحت أبواب السماء.

وحين انهمر المطر لم يتحركا من أماكنهم إلى أن توقف المطر ولاح قوس قزح، فاتخذا سبيلهم للعودة وهو يطمئنها:

_سأعود لك.

أطلقت لدموعها العنان ثم همست:

_أخشى أن تروقك حورية بلاد الشهد والعسل.

أشفق عليها من غيرتها فهمس من جديد:

_سأعود لك.

فغمغمت بصبر:

_سأنتظرك!!!

قالوا لها ناصر تلغرافيا لم يصـــل أبدا هناك، وهمس عادل وهو بإجازة قصيرة لأهله:

_أنه لمح هناك من يشابه أدهم يتسول بين الطرقات.

ثم غمغم باستحياء:

_يعزف لحنا ما بين الطرقات ولكنه اختفى بين الزحام.

أما محسن فلم يعبأ حين وصلته الرسالة أن يجد جوابا؟! أما عطوة صـــاحب المركب فذاب كالملح بالماء وكأنه لم يكن له أثر من الأساس.

وأشفق أخر عليها فأخبرها أنه ابتلعته الأمواج قبل أن يصل، تنهدت بعمق وهي تلمح خطوات المرأة تجرجر الأرض بضعف تضع أمامها كوب الشاي، سقط عصفور مبتل من أعلى الشجرة، لم يكد الريش يكتمل ليدفئه فاردا ساقه النحيل مرة وأثنان، ارتعشت جناحاه، دار رأسه عكس اتجاه عقارب الساعة يلتمس من التراب عونا، ثم سكن للأبد. وضعت المرأة كوب الشاي بيديها نظرت صفاء لها ولتجاعيد أعلنت عن ذاتها بملامحها، تبادلتا نظرات شـــفقة ودموع كل منهما تواسي الأخرى بصبر، ثم وضعت بيديها عشرون جنيها، ربتت على ظهر يديها وأزاحت كوب الشـــاي بلطف ونهضـــت لتكمل ســـيرها تحت المطر.

تمت بحمدالله

اثمة

دينا مسعد علي

أخواتي سـأقص عليكم قصـتي لعلها تكون درسـاً لكم كي لا تقعوا في خطائي

وتصبحون آثمون مثلي.

جل ما أريده من هذه الدنيا فقط المغفرة من الله عز وجل وأن يرحمني من ظلام نفسي بقبض روحي قبل أن أقتل نفسي، فأنا لستُ قوية لأتحمل إثمي، دموعي لا تجف ندماً على ما فعلته، فكرة الانتحار لا تبارح عقلي، فهي السبيل لراحتي من عذاب الضمير وتطهير نفسي من ذنوبها.

كان لي يوماً صديقة أخبرتني عن الملعون المسمى بالإنترنت، كانت تحكي عن المتعة التي تجدها به بحماس شديد أثار الرغبة في نفسي. لدخول هذا العالم المفترض. بناءً على طلبي علمتني كيفية إنشاء حساب وكيفية استخدامه، تعلمت منها التصفح بكفة أنواعه، كنت أستخدم الإنترنت من عندها فلم يكن لدي اشتراك في المنزل، نشب شجار بيني وبين زوجي ليدخل الأنترنت للمنزل وحجتي كانت بأنني أشعر بالملل، فهو يمكث بالعمل فترات طويلة وأصدقائي بعيدين عني وأهلي يقطنون بمحافظة أخر، أقنعته بأن صديقاتي يستخدمونه ليتحدثوا معاً بدون كلفة كبيرة فَلمَ لا أحادثهم عبره. وافق زوجي رأفة بي، وليته لم يفعل، مرت الأيام بدون أي شجار أو شكوى مع زوجي، فقد اختفى إزعاجي لهُ بوجود الأنترنت وقد أراحه هذا كثيراً. كان كلما خرج من المنزل أقُبل كالمجنونة على الهاتف كنت أقضي الساعات بشغف شديد، في خلال تلك الفترة تعرفت على الكثير منهم، من هم نساء بحق أو رجال، لكن بأسماء مستعارة

ربما كنت أتجاهل ذلك عمداً وأقنع نفسي- بأنهم نساء فالحديث معهم كان ممتعا. لكن هو كان مختلفا، فقد كنت أطلب منه المساعدة لفهم أي شيء لمعرفته الواسعة بالإنترنت بكل صغيرة وكبيرة، كنت ألجئ إليه، حديثه كان له سحر علي، فقد بدي شخصا عاقلا ومرحا في ذات الوقت، علاقتنا ازدادت عمقاً وقوة مع الأيام. قصيرة الأمد لكن قوية أعترف لي بعد ثلاثة أشهر بحبهُ لي ولم يترك الفرصة سانحة بل أغدق علي بـ بوابل من الكلمات المعسولة وعبارات الحب والشوق، كلماته كانت بسيطة لكن سحرها عظيم فقد جملها الشيطان بعيني.

ذات يوم طلب سماع صوتي وكان مصراً، فعندما رفضت أصبح يتجاهل رسائلي، رضخت لطلبه بعد تردد كبير اختفى أمام شوقي له وأخبرته بأنها مرة واحدة ولن تُعاد فوافق، كان صوته جميلاً أطرب اذُناي وأرتجف جسدي لعذوبته، مدح رقة صوتي وقال انه يتمني لو يحادثني مجدداً، بعث لي رقم هاتفه وطلب مني محادثته في أي وقت، ترددت كثيراً بالاتصال، لم أجرؤ على مهاتفته لفترة طويلة كان فيها يُغريني بكلماته المعسولة ويخبرني بمدى شوقه لسماع صوتي.

في تلك الفترة كان الشيطان صديقي يمحي خوفي ويصارع بقايا عفتي وخجلي مما أفعل، فأنا زوجة وأم نسيتُ هذا في غفوة إشباع شهواتي، تمكن الشيطان مني وهاتفته كانت اللحظة الفاصلة في حياتي من هنا بدأت حياتي تأخذ مجرا آخر كنتُ كـ الحشرة الصغيرة التي تقع في فخ عصفور جائع، قصصتُ علاقتي بـ حسام على صديقة مقربة عرفتها على الإنترنت فحذرتنني من التمادي في علاقة كهذه، لكنني تجاهلت كل هذا فما دام هو بجانبي لا شيء مهم.

علاقتنا تقوى أكثر حتى أصبحنا روحاً واحدة في جسدين، من يقرأ قصتي سيظن بأن زوجي يهملني ويغيب عن المنزل لذلك ارتكبت آثم كهذا لكن الحقيقة هي أن زوجي كان يحاول جاهداً أن ينجز عمله في وقت قصير ليبقى برفقتي ويمرح مع صغارنا حتى إنه كان لا يذهب لأصدقائه كثيراً ليوفر لنا وقتا أكثر، للأسف مع مرور الأيام وقضائي وقتا أكثر على الأنترنت كنت أكره تواجده في المنزل وأنفر من قربه.

تطور الوضع بيني وبين حسام أكثر فقد طلب رؤيتي بعد سماع صوتي فقد مل من هذه المرحلة الرتيبة، رفضت بشدة مقابلته حتى إنني طلبت منه أن نتوقف عن المحادثات الهاتفية ونكتفي بالمراسلة على الأنترنت، أصبح إلحاحه لرؤيتي يزداد ولا يأبه لعتابي ورفضي- الذي بدأ يضعف فإن كان هو يريد رؤيتي فأنا أكثر منه توقاً وشوقاً إلى رؤيته وإشباع عيناي منه.

خوفي من الفضيحة إن اكتشف أحدهم علاقتي به أو شاهدني معه هو ما جعلني أترفع عن تلبية طلبه، فلم يكن خوفي من الله هو السبب فقد ماتت عفتي واندثرت أخلاقي كمسمى ليس إلا، يبدو أنه شعر بمدى شوقي لرؤيته فلم يتوقف عن إلحاحه لأوافق، للمرة الثانية أرضخ لرغبته وافقت ناسية إنني زوجة لرجل يأتمنني على شرفه وأولاده.

اشترطت أن تكون هذه المرة الأولي والأخيرة التي يطلب فيها رؤيتي كما أنه سيراني فقط من بعيد بدون كلام، وافق على الفور وعبر عن مدى سعادته التي تغمره للقائنا، أخبرته بأنني سأقابله في أحدي

مراكز التســـوق الـذي تحججـت بـه أمـام زوجي مخبرة إيـاه بـأنني ســـأذهب لشرـــاء ثياب جديدة، رآني ورأيته وليتني لم أراه، فقد كان شـــديد الوســـامة جســـده رياضي، تملك الأعجاب من كل ذرة بي في خلال نظرة واحدة له.... وانتهى اللقاء

وعندما تحدثنا صرح بأعجابه الشـــديد بي وقال أنه لا يصـــدق بأنه يحب من هي في جمالي، وازداد حبه لي أضعاف مضاعفة فقد أسرته برقة ملامحي وجمال عيناي. حينها نظرت لنفسيـــ نظرة مختلفة فقد رأيت نفسي جميلة بحق كأنني لا أزال مراهقة لم أتزوج فـ كلماته أرضت أنوثتي وزادت ثقتي بنفسي كـ بلهاء أتعمق في حبه غافية عن ان النهاية اقتربت ومع قربها سأتدمر.

اختلفت محادثتنا بعد لقائنا، صار معسول اللسان، رومانسي. يختار كلماته بعناية أســـتغل غريزتي كأنثى تهوى المدح والغزل ممن تحب وتريد، بالرغم من سعادتي كان الخوف يتمكن مني

وينغص فرحتي.

عـاد من جـديـد يطلـب رؤيتي وكنـت أرفض وأذكره بـأننـا اتفقنـا أن مقابلتنا لن تُعاد، رغم أنني أموت شـــوقاً لرؤياه، لكن كان صـــعباً في ظل وجود زوجي.

تطورت العلاقة بيننا وأصبحت أكثر جدية فصارحته بأنني متزوجة وأمتلك أطفال طلبت منه أن تكون علاقتنا منحصرة في الشـات لم يصدقني وكذبني وأضاف لـــ كلماته المصدومة غزله الذي أدمنتهُ، فإن كانت كلماته لها تأثير قوي كهذا فكيف ســـأكون وأنا بين يديه أتمتع بدفء ذراعيه، حبه كان يكبر وبنفس الوقت يولد كره غريب

لزوجي الذي لا يدخر وسعاً لتلبية طالبتنا الكثيرة. أصبحت أراه العقبة الوحيدة في طريقنا، بات يغيب عن محادثتي وقرر اشعال غيرتي بمحادثة فتاة أخرى استطاع النجاح في جعلي أرغب بشدة في قُربه، هاتفني وكرر طلبه بمقابلتي فأخبرته بأنني متزوجة فصاح غاضباً:

_(أنبقى هكذا إلى أن نموت أنا أحبك وأريدك بجانبي فلابد من حل لنجتمع ونكون معاً)

طلب مني أن أتطلق من زوجي ليتمكن من الزواج بي، وإن رفضت سيقتل نفسه فلا حياة له بدوني.

خفق قلبي خوفاً عليه فقبلت أكثر من كلماته العاشقة التي ساهمت في كره حياتي مع زوجي وتبدلت معاملتي لأولادي كأنني زوجة والدهم القاسية ولست والدتهم، قررت أن أعيش لنفسي_ واختار الحياة مع من أحببت افتعلت الشجارات والتي كنت أخطط لها مسبقاً ليطلقني زوجي. وشجعني قائلاً:

_(سنتزوج فور انتهاء عدتك أتشوق ليوم تكوني ملكي)

في خلال الأيام التي تلت حدثت مشاحنات بيني وبين زوجي، قرر على إثرها زوجي السفر في رحلة عمل ليهدأ الوضع بيننا، استغليت غيابه في مقابلة حسام بعد أن طلب مقابلتي متحججاً باشتياقه إلي.

كان زوجي يريد أن يرسلني برفقة الأولاد لمنزل أهلي، لكنني رفضت واخترعت أسباب عدة، فاستسلم على مضض.

بعد سفر زوجي بيومين ذهبتُ لمقابلة حسام، هذه المرة لم أشعر بالخوف والتردد كما في المرة السابقة، فقد تمكن مني شيطاني كلياً، صعدت برفقته في سيارته الحديثة، لوهلة شعرت بالرهبة فهذه هي المرة الأولى التي أستقل سيارة غريب عني، رغم فترة تعارفنا التي قاربت على السنة وعلاقتنا العاطفية، خاطبته بصوت متوجس:

_(يجب ألا أتأخر فقد يتصل زوجي على البيت بينما أنا بالخارج حينها سيكشف أمري)

رد باللامبالاة رغم القلق المرتسم على معالم وجهه:

_(وإن يكن فهو بالنهاية سيطلقك وربما هذا يسرع من المسألة)

نبرة صوته أقلقتني، فتابع حينما لاحظ قلقي:

_(لا تقلقي حبيبتي سأعيدك باكراً لكن دعيني أولاً أملئ عيني من جمالك فربما تكون هذه المرة الأخيرة التي سنلتقي بها)

حديثه مخيف كنت سأسألهُ عن مقصدهُ لكنه قاطعني بعباراته الرومانسية، غبتُ في عالمي الوردي وأفاقت على كارثة توقف السيارة في مكان مهجور، نظرتُ إلى حسام مستفسرة فقابلني بابتسامة مخيفة، ابتعدت بجسدي حتى التصقت بـ باب السيارة فشعرت بأحدهم يفتحه ويجذبني من شعري بقوة واضعاً يده الممسكة بمنديل على فمي ولم أشعر بشيء بعدها، استيقظت لأجد نفسي نائمة على فراش بالي ممزقة الثياب والكدمات تملأ جسدي، لم أشعر بنفسي. وأنا أطلق صرخة نابعة من أعماقي، فولج حسام وهو يبتسم بتشفي توسلت بكلمات يغمُرها الذعر:

_(أرجوك دعني أذهب)

أقترب مني لأنكمش في نفسي وقال:

(ســـأتركك لكن إن نطقتِ بحرف عما حدث لن يصـــدقك أحد، وستفضحين نفسكِ ولو حاولتِ تقديم شكوى ضدي تأكدي بأن لا أحد سينقذك من يدي.)

أمرني بإغلاق عيناي فنفذت على الفور وسمعت صوت أقدام كثيرة تـدلف للغرفـة فتكهنـت بـأنهم أكثر من واحـد، ربطوا على عينـاي شريط أسود، وكمموا فمي وسحبني أثنان من يدي.

ركبت الســـيارة بين أثنين يحاوطانني من كلا الجانبين، ألقوني من السـيارة وفروا هاربين، أزالت الشريط لأتبين أين أنا فوجدت نفسي- بمكان خالي من الناس بالقرب من منزلي. هرولت لمنزلي وحمداً لله كوننا بالليل ومنطقتي هادئة فلم يراني أحد بحالتي المزرية.

ولجـت لمنزلي وانهرتُ بـاكيـة صـــفعـت وجهي أكثر من مرة وأنـا أنتحب، بكيتُ حتى جفت دموعي ودلفت للمرحاض أغتســـل، شـعرت بالدماء تنزف من بين سـاقاي فتيقنت بأنهم قاموا باغتصابي بوحشية وأنا من قدمت لهم الفرصة على طبق من ذهب.

مضـت الأيام وعاد زوجي الذي أنتابه القلق لسـوء حالتي الصـحية، طلبت منـه إيصـــالي لمنزل أهلي فوافقـت، وهُنـاك تفـاجـأ بطلبي للطلاق فأنا لا أستحقه لذلك سأبتعد عنه.

سألني عن السبب كحال أهلي المصدومين وكانت أجابتِ الصمت فبماذا ســـأجيب أخبره إنني خُنته لأجل وغد قام باســـتدراجي ليغتصبني هو ورفاقه.

ساءت حالتي الصحية والنفسية كثيراً، فلم أكن أتناول الطعام ولا أكف عن البكاء عرضني أهلي على طبيبة ولحسن حظي لم تكشف علي بالكامل وإلا اكتشفوا ما حدث.

أعلم بأنها ليس خطأ الإنترنت لكنه خطأ أمثالي الذين نســـوا دينهم وتخلوا عن أخلاقهم. نصـــيحة لمن يتبعوا شـــهواتهم خافوا الله في أنفسكم وأهلكم.

تمت بحمد الله

متسابقات المرايا

سمر محمد حسين

التحدي بينهن لم يكن تقليديًا، وبعدما ماطل الانتظار وأخذ منهن نصيب الأسد لم تأتِ الغَرِيمة كما توقعت واستعدت كلا منهن، بل أتت الصديقة، وكانت الصدمة. صدمة لم تدركها الكثيرات، وعندما سألوا إحداهن عن ماهية الصداقة أقرت " الصداقة بيننا بدأت منذ حَبْوَتِي الأولي "، الغريب في الأمر أن الإقرار وثق بالإجماع وتم حسم النتائج بسرعة غير مذكورة، أما عن الدور فقد توقف على الشجاعة، من منهن تستطيع المواجهة،

_" من تستطيع؟ "

نطقها ويليام منظم المسابقة بمرح غير مرحب به، وعندما ساد الصمت لوقت توقفت من أجله عدسات التصوير كرر:

_" من تستطيع؟ "

دورة سريعة مرحة أعلى المِنصة..

_" من تستطيع خوض تحدي المرآة؟ "

ارتفعت يد إحداهن في تردد، فلم يمهلها ويليام الفرصة، وسرعان ما أشار عليها مهللاً:

_" تقدمت واحدة.. تقدمت واحدة.. هيا يا جنس حواء.. أين شجاعتكن!"

توقف ويليام كما توقفت الموسيقى الصاخبة فيما بعد بإشارة من سبابته، صمت ثقيل مفعم بانفعالات شتى كاد أن يفرض سطوة عليهم، لكن ويليام تداركه بإشارة أخرى من سبابته ثم إبهامه، إشارة

إلى فتاتين متطابقين شكلاً وموضوعاً، تصفيق حار... موسيقى تدفع الحماس دفعًا داخل الأوردة... وها قد بدأ التحدي:

_" قبل كل شيء ما أسمائكن؟"

- جين جاكوب

- روز دنسون

- لاري دنسون

دنا ويليام بوجهه منهما.. مع إبقاء المِكْروفون في محله.. فما اكتشفه يُعد أحد أسرار الدولة من الجهة الحربية.. ثم همس متسائلاً:

_" شقيقتان؟"

_" نعم.. "

أجابت إحداهما بهمس متقطع يناسب تورد وجنتيها، ليس خجلاً كما يعرف عند البعض بل المضمون الأول.. " خذي "

دار ويليام برأسه دورة كاملة، فابتعد الثلاث فتيات ظنًا منهن أنه سيقوم الآن باستعراض عضلاته كما يفعل أثناء سيره في الممرات العامة... ومع انحناءه المفاجئ، أضحى ظنهن يقين، ثوان تحصى على أصابع اليد وارتفع صوت ويليام الجهوري مع المحافظة على انحناءه

" هيا يا فتيات هيا... المرآة تنتظر "

****

سقراط يقول: " أعرف نفسك "

المرآة تقول: " تعرف على نفسك من خلالي"

أما عن ويليام فقد قال:

_" عدنا من الفاصل وعلينا تعريف ماهية التحدي، ستقف كلٍ من جين وروز ولاري، أمام المرآة لمدة لا تقل عن الخمس عشرة دقيقة، وقت مخيف أليس كذلك؟ لكنه سينتهي لا محالة ووقتها سنعرف من منهن خضعت للمرآة "

بدون مقدمات تسائل:

_" جاهزات "

وبدون إجابات أيضًا تابع:

_" هيا "

****

لم يشأ ويليام ترتيبهن، كما طُلب منه بل ترك لهن الفرصة وهو على اقتناع أن الاختيار ما هو إلا انعكاس داخلي. تقدمت روز من مرآة دائرية ذات أطراف حادة، تزهق من تراوده فكرة الاقتراب.

وجين من أخرى مربعة ذات إطار أســـود لامع عكس لون عيناها الزمردي.

أما عن لاري فكانت مرآتها تعادلها طولاً، وتميزت عن الباقين بإطارها الفضي المريح للعين

_" حســـنا ســـيبدأ العد التنازلي الآن، وغير مطلوب منكن ســـوى التركيز، هيا يا بنات حواء أروني قوتكن"

ومع ظهور لائحة العداد، بدأ ويليام مشاركة العضوات في العد:

_" خمس .. أربع .. ثلاث .. اثنان .. واحد"

دقت ســـاعة الصـــفر، والتزمت كلٍ منهن مرآتها، يبدوا الأمر مثير للدهشة عند البعض

فخمس عشرة دقيقة وقت لا يُســتهان به أبداً حتى وإن اســتغرقت إحداهن ذات مرة وقت مضاعف كي تضع المساحيق المكثفة، لكن لحظة واحدة أين موقع المثل الشَهير " انظر إلى يدك الموضوعة في الماء البارد قبل أن تشتكي " من الإعراب، وهذا ما خطر ببال الجميع بعد أن خيم الصمت على متسابقات المرآة.

بالطبع لا يمكننا اقتحام غرف العقل، لكن الأكيد في الأمر أن العين لا تُخطئ.

وعن عين جين فقد تحولت الزمردتين إلى ســـحابتين عاصـــفتين يهددان بقَلب العالم رأسًـــا على عقب، والعقل توقف عند نقطة واحدة، وإن بحثنا خلفه فســـنجده لم يتحرك من وقتها ولو قيد أنملة، يوم صرخت بكل ما تملكه من كبرياء جريح:

-" لقد انتهت حياتي معك منذ أن أصبحت قعيد يا أندرو، حتى الآن لا أعلم.. لا أعلم لمـاذا بقيـتُ عليـك بعـد أن انتقلـت من بيـت صديقتي إلى المشفى مصابًا، لأن زوجها ببساطة كشف خداعكما له ولي"

كافأت نفسها بلحظات من الصمت كي تتلذذ بما يعانيه وقد ارتسم باحتراف على وجهه الهزيل وقبل الشـــفاء أو التغلب على الأمر وجهت إليه ضربة آخرى:

_" لقد أتيت.. أتيت بعد كل شيء وتحملت عبئك، أعمل بوظيفتين لا يناسبان شاهدتي، أتحمل ذل هذا ونظرات ذاك وأخرهم لمسات تحرق جسـدي حرقًا... ولمن! لك أنت، أدفع نصـف ما أكسـبه من عرق جبيني لطبيبك والنصف الآخر لمتطلباتك التي لا تنتهي"

صـكت على أسـنانها حتى كادت أن تحطمهم، تخرج ما بداخلها من حقد تجلى في نبرتها:

_" والآن لا يوجد لدك ســوى والدتك أولي بك، لقد حان دوري.. حان دوري يا اندور .. عليَّ النظر إلى نفسيـــ، إلى انوثتي التي دفنتها بنفسي منذ عامين"

اقتربت خطوتين متمهلتين متعمدة إظهار ما دفنته، وحينما توقفت همست بتشفي:

_" وسأخبرك بوقاحة... لقد وجدت من يقدرها "

وبإشارة خفيفة من سبابتها:

_" سيدوم كرمي لثلاث ساعات فقط، عليك استعجال والدتك "

ثلاث سـاعات وكان هاتفها يعلن عن اتصـال لحوح، تجاهلته عمدًا، فتلقت رســالة: "لقد توفي أندور في حادث مريع وعليك المجيء للتعرف عليه، أتمنى لكِ السعادة الآن. صديقتك جوليا"

بوقتها أجابت على سؤال تكرر بالعامين الماضين كثير:

_" لماذا بقيتُ عليه "

بقيت لأنها أحبته بكل ما تعنيه الكلمة، بل سـامحته وأعطته عذرًا متداولاً " الإهمال " لكنها ببسـاطة كانت تماطل الاسـتنزاف وها هو انتصر

****

وعن عين روز فقـد تحول الجمود فيهمـا بعـد دقيقـة ثم اثنين إلى فوهَتين تنبعث منهما جمرات الندم، ندم مهما طال لن يشفع.

وفي المرآة، ظهرت فتـاة لم يتجـاوز عمرهـا الثلاثـة أعوام تركض متشبثة ببالون أزرق ضخم يتماشى مع رابطة الشعر خاصتها، لكنها توقفـت.. توقفـت حينمـا لمحـت توأمهـا تلهو بمجموعـة من البالونات، وعن شـمالها يقف والدهما بكاميرا التصـوير خاصـته يلتقط لها عدد لا حصرـ له من الصـور، لمعت عيناها بمكر شـديد فـالفرحـة لم تكتمـل وهـذا مـا تحرص عليـه عـادة. ولكنهـا انتظرت خشـية من العقاب وقع مرات ومرات، انتظرت خلف بوابة المنزل تراقب ما يحدث بملل بدأ ينتابها مؤخرًا، وحينما خرجت والدتهما معلنة اقتراب وقت وجبة الغداء وضرورة اجتماعهم حول المائدة، ابتسمت بفرحة اكتملت وهي تفرغ البالونات بأبشع الصور الممكنة، بوقتها تعلمت أن السعادة لا تأتِ بل تُقتنص وهل يوجد أفضل من شـقيقتها؟! حتى أتت لحظة النهاية... لحظة وجودها في فراش شـقيقتها بجوار زوج خَضـع لشـيطانه... ذهب مفعول الكحول اللعين مع أول شـهقة صـدرت عن توأمها، وحينما سـقطت أمامهما فاقدة الوعي علمت أن الطعنة تلك المرة جرحها لن يُشفى، فالأمر لا

يقتصر على بالونات استطاع والدهما جلب غيرهم في دقائق، بل هو بمثابة صـفعة لا تعلم من منهما تلقتها، بدأت حياة وانتهت أخرى، الأولى اقتنصت السعادة والثانية تعايشت مع الندم..

****

أما عن عين لاري فقد لمعتا ببريق ليس له معنى، تارة تبتسم لنفسها بهدوء مرح وقد وجدت السـعادة أخيرًا مع رجل تُضرب من أجله الأمثال. قصـة حب ولدت في طائرة متجهة إلى مدريد لقضـاء فترة نقاهة نصحتها بها صديقة والدتها، بعد أن تعاقبت جلسات التعافي على رأسـها بلا رادع، انجرفت وراء الفكرة مسـتمتعة بما سـتناله من تعافي متجاهله حقيقية مأسـاوية " فوبيا إقلاع الطائرة " حاولت في البداية تفعيل عنصر اللامبالاة، وربما تذكرت كلمات طبيبتها وعملت عليها لكن تأتِ تعليمات ربط الحزام بما لا يشـتهيه رعبها. صراخ متواصل أدمى حبالها الصوتية، ومحاولات هرب لم تفلح أمام سـطوة رجل أبصرته بوضـوح رغم تجمع غلالة الدموع أمام عينين غلبهما المخدر، وعند تكرار اللقاء صدفة تحدثت سبابتها بتحذير:

_" ابتعد عن وجهي يا طبيب البهائم"

_"هل ابتعد؟"

لا لم يبتعد بل اقترب.. اقترب بهدوء زلزل كيانها بأكمله، وفيما بعد أضحت من أنصار مقولة "جسـدين والروح واحدة " خالفت لاري أهم شروط المسـابقة، بالنظر إلى توأمها الواقف على بُعد خمس خطوات.. فقط خمس خطوات، من كان يُصـدق أن هذا القدر

البخس قادر على فصل روحين أتوا إلى هذا العالم في صرخة واحدة.
تنهدت لاري بتعب ومن ثم قالت في ضيق:

_" ليت الحب دافعك "

****

" خمس.. أربع.. ثلاث.. اثنان.. واحد "

_انتهى الوقت

وابتعدت كلٍ منهن عن مرآتها، شـــتان بين عبارة تتكرر بالمقالات، بالكتب وأحيانا بالروايات، يتداولها البشر ــ عامة في كثيرًا من المناسبات لكن!! من منا تدارك معناها؟! أم نترك الأمر للحظته كما تركه ويليام.

_" لن نريد معرفة من منكن خضـــعت للمرآة، لكن نريد خلاصـــة التجربة ووصف ما انعكس عليكن "

توترت ملامح جين لكنها تماسكت أمام عدسة الكاميرا:

_خلاصة تجربتي مع المرآة " الحب مسامحة "

وانخفضت رأس روز بخزي:

_خلاصـــة تجربتي مع المرآة " لا تبحث عن ســـعادتك في حياة الآخرين "

وكانت الابتسامة الأخيرة من حق لاري:

_خلاصة تجربتي مع المرآة " روحنا لم تنفصل، فقد أتينا إلى الحياة معا وسنرحل معا، لكن وقت المواجهة لم يُحين بعد "

أومأ ويليام رأســه ثلاث مرات، متفهماً، حائرًا، معجبًا، ثم التفت إلى العضوات ينقل لهن ما انتقل إليه عبر الموجات:

_" انتهت حلقة اليوم على خير، وما عليكن ســوى انتظار تحدي آخر "

تمت بحمد الله

أرض الواقع

"مفتاح الأسطورة"

محمد رأفت الشملول

في أرض ..غير الأرض وزمان ..غير الزمان، ترى الليل الصموت الذي لن تبصره إلا في كوابيسك والوحشة التي لن تبصرها إلا إن كنت الوحيد على الأرض، ترى بين طيات السحاب ألاف الحكايا تروى وتزرع على الأرض من تلك المباني العريضة العجيبة والبقع المضيئة التي تنبئك بأن هناك حركة دائمة بين تلك الأرض وأراضي أخرى لا يمكن البصر- تحديد ملامحها؛ وأبراج عالية تحتوى على نوافذ كبيرة من الجانبين، تسمع بين ثكناتها ذلك الزئير المجنح الذي ينبئ باستعداد التنانين للتحليق وعلى ظهرها مالكيها، ولكن في ذلك الوقت من الليل لن يخرج أحد لخلودهم للراحة بعد نهار طويل وحملات تفتيشية كبيرة من رجال اللهب المجنح ذو التنانين المدرعة والقلوب الصلدة، لن تلمح الأن أحدا على الطرقات سوى أولئك السكارى الهائمين على وجوههم، أولئك العمال الفقراء، عمال أرض (تبراينون) تلك المدينة المجهولة الخالية من الجريمة، المليئة بالذهب من الطبقات الغنية مالكي التنانين والنحاسيين من أولئك الفقراء المحبطين السكارى بين يوم طويل من العمل في تشييد الأبراج والمباني، وبين الغرق في الحزن لفقدهم عزيزا من حبيب أو رفيق أو زوج أو ابن لاقترافهم الجرم الوحيد والإثم الكفيل بجعل تبراينون كالهشيم تذروه الرياح ذلك الدنس الذي يعكر صفو تلك المدينة الخالية من الأثام المليئة بالهدوء؛ جريمة..... الخيال!!!!

****

وفي كل ذلك الخلط وبين تلك الدموع والضحكات السكيرية لا ترى في السماء إلا هو بتنينه عظيم الأجنحة، لامع الدروع من لمعانه

تظنه شـــهابا في الســـماء، ولكنه لم يكن إلا تنين من اللهب المجنح وعليه سبيل بن شريال قائد رجال اللهب.

المجنح ذلك الشـــاب عريض المنكبين أزرق العنين حليق الوجه، يبصر ـ تلك المدينة العريقة التي أنشـاها والده الملك شريال وشـملها بقيمه و واقعيته التي جعلت الجميع كعقارب الســـاعة لا يتوقفون عن العمل والعمل فقط لا يمكنهم ذلك الا بالمســـاء وقد غرقوا في الملذات من شهوات لطلب الراحة أو تضميد الجروح والأحزان يرى ذلك الشاب - شـديد النهم للمطالعة قوى البنيان والبيان - كل ذلك الفقر والمعاناة والدموع المخبئة بالليل خوفا منه ومن رجاله بعد أن يفقدهم أحبائهم، أولئك السائرون الفقراء مالكي بوابات الشعلة، تلك البقع التي يراها من سـمائه على ظهر تنينه يعرف منها أن هناك من يريد الهرب بنفســه، ولكن يفشــل في ذلك عند انطفاء الشــعلة لعجزه حتى عن التفكير أو رســـم المكان في مخيلته..... مخيلته... خياله... خيال... تلك الكلمات لم يعرف لها معنى منذ أســـبوعين، قبل ذلك الحلم الذي صـــار رفيقه، الذي أجبره على التعرف على ذلـك الجرم والغوص فيـه ومـا كـان من ذلـك المفتـاح - الطويـل المنقوش كزهرة الأوركيد- المعلق على بوابة قصرــ أبيه الملك الاتي في منامه كل يوم إلا مغرقه في براثن من الشـــك والحزن والعذاب الذي يكون خلاصه الموت!!!!!

****

"الخيال.... أهو جريمة حقا؟! لم يخاف منه ذوي التنانين؟ ويلجأ له أصحاب الشعلة والأمل الضائع؟ كيف سيهدد تبراينون ويدمرها؟

أأســـطورة حقا أنه يبني أمما... يحقق الأماني... وينتشـــل المرء من حياة خالية من أي سـبيل للتقدم، أم هو كما علمونا في المدارس وفي الجيش بأنه شـيطان على الأرض يبيح سـفك الدماء ويرى الوضاعة نبلا...... لا أعرف..... لا أعرف........" خواطر زعزعت إيمانه وغايته التي يعيش من أجلها وأيقظت تلك الذكرى التي بذرت الشـــك في قلبه منذ ذلك الحين وكان بطلها هو شريال - والده -.......

كان في الثانية عشرـ من عمره وكان أباه مهتما بحضـوره المحاكمات التي تحقق في شـأن مرتكبي الإثم والحالمين مسـتخدمي تلك القوى الغامضـة المسـماة الخيال، ثبت حينها أمر المتهم وكان هو عائلته معا مرتكبي لذلك الاثم، وكان عزيزا ذو كبرياء ليس للندم مكانا عنده وذلك أثار الدهشـة في سـبيل الصـغير لإيمانه بأن ذلك خطأ عظيم عقوبتـه الموت، ومـا كـان من شريـال إلا محـاولـة تخويفـه حتى يســتجدي عطفه فما كان من ذلك المتهم إلا كلمة واحدة " أأطلب العطف من سـائله؟!!" عندها رأى سـبيل الصـغير الشرـ يتطاير من عيناي والده، وصـار صـوته آت من أعمق حفر الجحيم وهدده بأن يكون مصابه فيمن يحب وسيذوقون أمامه أمر العذاب إذا لم يتخل عن الخيال وكانت نذير الجحيم خارج من فم ذلك الرجل.

"أبدا...."

عندها رأي سبيل شيطان متجسد بصورة أبيه حيث اشتعلت عيناه بشرر حقيقي وصرخة هادرة انشقت لها الجدران، وخرجت من يديه النار نار لم يراها سـبيل إلا في كتب الأسـاطير، نيران ملكية لا يملكها سـوى ملك تبراينون..، كانت امرأة تشـبه تلك الزهرة النادرة، زهرة

أوركيدا بجمالها وتناسقها ونظرتها الناعسة الوقورة، تضم ابنتها الصغيرة في وجل لا خوف على حياتها هي بل على حياة ابنتها وفي وسط ذلك الرعب الذي أصاب سبيل نفسه، كانت تطمئنها وتسري عنها حتى ..... أصبحوا رماد!!!!!

لم تخرج من الرجل سوى دمعة لا تحكى عن ألم الفراق فقط، بل ألم القهر واستجداء الثبات ولكن لم يرى شريال ذلك بل هجم عليه وطوحه بذراعيه فجعله في فضاء تلك القاعة، ولم ينفك حتى نزل على الأرض وتلقى الضربات من ذلك السيف الأحمر الكبير ضربات لا تميت بل تعذب ثم تميت...

كانت الدماء في كل مكان وأصبح شريال في قمة النشوة وظفرت روح هذا المسكين بالخلاص من شيطان الأرض، هذا الذي سبح في دمائه ولم تخرج من سبيل سوى دمعه... دمعه جعل يديه تطوحها في الريح وهو على ظهر تنينه، وأستطرد محاولا التفكير في شان أخر أو شيء مضحك أو يتأمل أي موطن من مواطن الجمال، ولكنه أكتشف أنها هربت من لمعان درعه ودرع تنينه منذ زمن....

****

انتزعه من تلك الأفكار والخواطر ذلك الزئير المميز للهب المجنح، أمر غريب...! من المفترض ألا يكون غيره الليلة كيف ذلك الأمر...؟ وإذا به يسمع زئيرا آخر فيدرك أنه ليس واحد ووجب عليه أن يرى ماذا هناك...؟

مضى سبيل في طريقه للهبوط وإذا به يجد أمامه رجلا رث الهيئة، نحيف الجسد يركض بخوف وهلع من فرسا اللهب المجنح

الراكضـان وراءه في إصرار غريب، ويطلقون نيران تنانينهم عليه حتى حاصرته النيران وكان بين شقي الرحى...

"إنها نهايتك الأن أيها الرعديد...!"

"سلم ما معك ونعدك أن نقتلك بسرعة"

كان عليه التدخل فلقد اكتفى من ذلك الأمر، لأن رجاله تقتل القلوب والأن تأخذ الأرواح هذا كثير، دخل بسرعة البرق وجناحي شهاب _ تنينه_ قاتلة تلك النيران وحاجز بين ذلك المسكين والفارسان المجهولان وبلمعان شهاب أغشى بصر الفارسين وسقطوا من تنانينهما حتى طارت وبعدت عنهما مما أكد له أنهما ليسا من رجال اللهب المجنح ولكن سألهما:

_من أنتما؟!!

وبعد أن عاد إليهما البصر والاتزان ردوا:

_نحن من رجال اللهب المجنح من أنت؟

_كيف تكونان من رجالي ولا تعرفانني؟ أنا سبيل بن شربال من أنتما وماذا تريدان من ذلك المسكين؟

انحنيا فجأة في هول قائلين:

_نعتذر يا سيدي ولكن أمور صارمة بإعدام هذا المجرم بمجرد العثور عليه.

فقال سبيل بدهشه:

_لم؟!! ما جريمته؟

فقال أحدهما بآليه:

_التحريض على الخيال.

وعند قول ذلك أشهر كلاهما السيوف البيضاء المميزة لرجال اللهب المجنح بمجرد أن رأوا ذلك الرجل يركض.

_"أثبتا مكانكما... دعوه"

قالها سـبيل بلهجة آمرة اعتاد عليها ولكن لم يلقى الإجابة المعتاد عليها عندما يصدر أمرا واستشعر العصيان.... عصيان أمر عسكري ..! هي سـابقة في تبرانيون وذلك يوحي بخطورة الآمر ونفوذه وعاد قائلا:

_قلت دعوه.

_لا نستطيع لدينا أوامر صارمة بقتله.

وقفز أحدهما قفزة عالية حتى صـار عنده فأمسـكه وطار به إلى حيث سـبيل وزميله ورمى ذلك المسـكين في المنتصـف بين سـبيل وبينهما وبدأ كلاهما بالتحفز لإعمال السـيف به فأسـتوقفهما سـبيل محذرا بسيفه وصاح:

_ابتعدا عنه... ووقف حائلا بينهم.

فقالا:

_سـيدي لا نود الالتحام معك، أوامرنا تقتضيـ بأن ندمر أي عائق يحول بيننا وبين مهمتنا

_ من آمركما

_الملك شريال

عندها... انتفضت شكوكه واستيقظ غضبه وكانت صورة ذلك الرجل الممزق أمام عينيه عندها غضب... حزن... فأصر:

_لن تقتلاه

_إذا أنت عدو

وهما كليهما بالانتقاض على سبيل الذي بدوره تمركز في موقعه، وفي منتهى السرعة صارا رمادا بعد أن أعمل بها سيفه الأبيض المصنوع خصيصا له...

****

بعد تلك المعركة وتلك المشاعر المختلطة بين الحزن والحيرة وخيبة الأمل، أبصر ذلك الرجل الهزيل صاحب العباءة المرقعة واللحية الرثة كهيئته، اقترب منه لينهضه لكن لا يدري لم تفوح منه رائحة غريبة جدا رائحة تبدو مألوفة....

مد إليه يده، كان الرجل في بادئ الأمر مرتعبا منه لكنه في نهاية الأمر استكان له ونهض معه، وما أن نهض حتى لمح سبيل شيئا متدلى من عنقه، شيء يفوح منه رائحة الأوركيد.....

_ "إنه المفتاح.....!"

صاح بها سبيل بعد أن رأى المفتاح الذي يزوره في أحلامه، وقلب موازين قلبه وعقله رأسا على عقب ولكن سرعان ما استعاد رابطة جأشه وقال:

_ما اسمك؟ وماذا تعمل؟

_اسمي صابر واعمل حدادا

لم يستطع إكمال الكلام وظل يحملق بالمفتاح بشكل متلهف وشعور مجهول، حتى شرد عن صابر الحداد فترة قاطعها صابر بصوت رزين باسما:

_يأتيك في أحلامك أليس كذلك؟

_ماذا....؟!! كيف.... كيف عرفت؟

_أمر بسيط... لأنك المختار على أن أسلمك هذا المفتاح واتمم رسالة عائلتي.

_رسالة عائلتك؟!!!!

_نعم فمنذ الأزل وعائلتنا تحمل ذلك المفتاح العجيب وتحميه وتنتظر ذلك المختار الذي ينقذ الناس من بطش الخواء وظلام العقل.

_إذا أنا.....

_نعم أنت المختار أنت من ستبعث الأسطورة للحياة مرة أخرى بعد أن قتلت من ألاف السنين

_أي أسطورة؟!!

_الخيال...

واستطرد قائلا:

_الخيال ليس أثما وإنما العقل الذي يستخدمه يمكن أن يصبح الصالح والطالح، يمكن أن يزيده نبلا أو يأخذ خياله إلا أحقر درجات الوضاعة...

كان يهم سبيل بقول شيء إلا أن صابر قام بمقاطعته:

_سبيل..... شكوكك صحيحة.... لا يوجد أحد على الأرض له حق الاختيار إلا الإنسان وليس.... ملك تبرانيون.

_حتى لو الأمان موجود

_الإنسان بيده مفتاح الجنة ومفتاح الجحيم.....

وأعطاه المفتاح وسط نظرات سبيل المندهشة الملتهمة لكل تفصيل من تفاصيل المفتاح، وعندما تذكر صابر نظر لجهته بعد ثانية من إعطاءه المفتاح فلم يجده وكأنه تبخر في الهواء....

****

في قصر شربال تجد شربال في قاعة الحكم على عرشه المهيب شديد الصلابة والقوة، تراه تظن أن شربال يجلس وحوله هالة من النيران المتأججة، وهي الأن نيران القلق تنهش داخله، فلقد كان ينتظر خبر موت حامل مفتاح أوركيدا، مفتاح الأسطورة التي تهدد عرشه وكل ما بناه في حياته، تراه بيده المليئة بالعروق يداعب لحيته البيضاء في قلق وهو يفكر إذا وقع المفتاح في يد المختار سيحي الخيال من جديد..

الخيال تلك القوى المجهولة التي دائما يهلع منها ويرتعد، ومنذ أن توطأت قدماه في الحكم وهو موقن بأنها مدمرته وسالبة عرشه، لذا

وجب عليه القتل والتعذيب لكل من تسـول له نفسـه تدمير ما بنى وجمع حتى صـــارت تبرانيون رمزا للجد والواقع الفعال، لأن ذلك المرض ابتعد فالجريمة انعدمت وزاد الجاه والســـلطان نعم... نعم تبرانيون صارت جنة، الأمر يستحق فعلا يستحق.

هذا ما يفكر فيه شربال دائما ليقنع نفسه كل ليله أنه نبيل وصاحب غاية مقدســـة، فتبرر الوســـيلة وحدها ولكن في هذه اللحظة دخل ســـبيل عليه منتزعه من أفكاره، جاذبا لبه بتلك الرائحة التي أوقفته فاغرا فاه..

_"أوركيدا.....!"

قالها شربال بخوف الدنيا والتي على إثرها اظهر ســـبيل المفتاح المعلق على رقبتـه مع نظره لوالـده، تحمل الكثير والكثير من الألم والعزم.

قطع ذلك الصمت شربال قائلا:

_بالطبع تعرف ما هذا فأنا لن أكذب، هذا مفتاح لدمارنا.

ابتسم سبيل بتهكم: بل دمارك أنت وخلاص شعبك.

_لم.. لم بني نقف متقابلين؟

_لأني اطلعت فعرفت فصرـت مســـئولا عن وضـــع البداية وجعل الناس تختار.

_تختار... تختار، إذا وضعت لهم ذلك سيدمرون العالم ولن يبنوه، يجب ألا يحلموا حتى تتساوى الرؤوس وتصبح السيطرة والقوة في يد حكيمة تستطيع توجيههم إلى البناء لا الهدم.

رد سبيل بهدوء: وتوجيه تلك اليد بالقتل والتعذيب.

صاح شربال:

_بأي طريقة متاحة تحمي ما بني وأنجز.

_أبي أرجوك لا تقف في طريقي على أن أفعل الصواب؟

_صـــواب... صـــواب، تقف في مواجهة والدك وتقول صـــواب، أنا الصـــواب وكلهم الخطأ حتى من أعطاك المفتاح أيضـــا خطأ، أنا الصـواب أن السـيد هنا ولا أحد سـواي لا أحد، أملك كل البشر ـ لأنه بأحلامه لا شيء وهم بي كل شيء أتفهمني.....؟

_أبي ابتعد عن العرش رجاء الباب وراءه وســـبيل أحياء الأســـطورة فتحه.

_لا لن افعل؟

عندها حرك ســـبيل يده بالهواء فأخرج من درعه مجموعة من الحبال الغريبة وأحط بها والده وربطه من أطرافه الأربعة، وبحركة من يديه صـار عند مدخل القاعة وبقفزة عالية في الهواء قام سـبيل بضربـة قوية بســـيفه على العرش فانقســـم نصـــفين، وظهر الباب المنقوش عليه كأغصـان الاشـجار ولا يحوي مقبض بل على مدخل المفتاح الذي دفنه الغبار منذ أمد بعيد.

_"ياحراااااااااس....!"

صـــيحة مدوية من شربال على إثرها أتى كل رجال القصر ـــ لحماية الملك وتكتل الحرس بتنظيماتهم واســـتعدوا لتلقى أوامر ملكهم،

الذي صـاح بهم بعد أن حل رجال القصر_ وثاقه بكل غضـب الدنيا قائلا:

_أقتلوه.

عندها وقف سبيل على السلم المؤدي لقاعدة العرش شاهرا سيفه الأبيض المميز نحوهم، صائحا بهدير كالأموج:

_تعلمون أن لا قبل لكم بي فأني أقواكم وإن التحمنا سـتكون مجزرة لن تحمد عقباها.

سـكن الحرس ووجلوا كونهم يعرفون من سـبيل وما الذي هو قادر على فعله؟ وعندما أولاهم ظهره واقترب من الباب، حاول أحدهم الانقضـاض عليه ولكنه بحركة من يديه تحركت حباله ودفعته إلى زملائه، فسقطت كتبة من الحرس بشكل يثير الدهشة وصاح سبيل ب (شـهابدر) فظهر شـهاب من العدم بجناحيه الكبيرين ونظراته القوية التي ألقت الرعب في قلب شريال نفسـه، طار نحو البدر وكان الجميع يعلم ما معنى ذلك، معناه أن منع سبيل من أتم مهمته صار دربا من الخيال...

****

اندمج شهاب مع البدر وصار شعاعه هيكلا أزرقا سميكا أسدل بين مدخل قاعة الحكم ومكان العرش، وسـبيل يتأمل الباب وينحت تفصـيله ومعه المفتاح يسـتعد أن يدخله ليفتح الباب واقترب كثيرا من.....

_"ســبيييييل أتظن أن ذلك ســيجدي نفعا، مهما فعلت ســيحتاج الإنســان لمن يختار له ويعنفه ويرشــده هذه طبيعة البشر، بحثك عن المجد لن يجعل مأربك نبيلا بل ستكون وضيعا منبوذا، أهذا ما تريده وأنت سيد قومك"

قالها شربال وهو يلهث من الغضــب، وكان يعرف أن كلامه ســيجد موطأ عند ابنه، حيث تردد وصار يفكر من جديد حتى تمتم قائلا:

_اللعنة!!

ولكن سرعان ما جمع شــتات نفســه وقال: الإنســان ســيد قراره واختياراته تنبع من قناعاته وهذه مســؤوليتنا أن نعرفه ونعطيه هذا الحق لا أن نسلبه منه.

رد شربال:

_وهل تظن أن هذا هو الصـالح للإنسـان؟ أن يحي والخيال فيه وفي عواطفه وعقله؟ أفكرت لحظة أهذا صــواب أم لا؟ أهذا ما يريده الإنسان بني أم ستدفن في مقبرة التاريخ أجبني!!!!

****

يد مرتعشة، نبضات قوية تزداد، وعقل مشتت، وعادت التساؤلات:

_"أما أفعله صـحيح؟ إني أعادي العالمين، كيف أضـمن أن ذلك في صــالح الإنســان وليس في هلاكه؟ هل... هل أنا فعلا أفعل ذلك لنفسي؟ ليقال علي منقذ الأسـطورة، أهناك أسـطورة فعلا أم ذاك مجرد أكذوبة؟!!! "

تعددت التساؤلات وصار خاطر سبيل معلاق في تلك المنطقة التي ليست قرار وليست سؤال، ويده مازال بها المفتاح، وشريال وحرسه ينتظرون ويصيح شريال:

_هاااه ماذا ستفعل بني؟

ماذا سيفعل فعلا؟ أسيفتح الباب ويتوغل في مستقبل مجهول لا ضامن فيه لشيء، أم يرضى بالواقع الذي يخسر فيه كل يوم جزء من روحه ويزداد منزلة في قومه؟

"ما قيمة الحياة دون مخاطرة؟ وما فائدة الأمان إن لم يسبقه خطر؟ علي أن افتح الباب واتحمل النتيجة بخطئها وصوابها ولكن... ما ذنب طالبي الخلاص؟ أيكون في ذلك خلاصهم أم عذاب جديد وفقد جديد؟ علي أن أقرر لا لحياتي بل لحياتهم لأن ليست كل الأرواح مستعدة للمخاطرة و الأن ليس وقت التفكير ماذا أفعل؟ ماذا أفعل؟....."

تمت بحمد الله

عشقت صيادا

نهاد رزق

تركت قلمها أخيرا، ظلت تكتب لســـاعات لم تشـــعر بالوقت يمر، وحدها الكتابة تملأ حياتها، لم يخذلها قلمها أبدا ولا الأوراق فهما كفيلان أن ينقلاها عبر عوالم أخرى أكثر بهجة، تصـــبح أكثر جرأة، تتحدث لغة لم تتعلمها، تســـبح في فضـــاء لا نهائي من أحاســـيس ومشـــاعر لا تعرفها إلا معهم، ومجرد أن تتركهم تنزل لأرض واقعها منتشية كعائد من رحلة ممتعة.

أعدت فنجان قهوتها وتزينت؛ فلديها موعد غير اعتيادي تنتظره كل مســـاء تحيا لأجله، يمدها بالأمل أعطى للوقت قيمة الســـاعات والدقائق، الآن تتسارع أنفاسهم كلما اقترب الموعد.

تدق الثامنة الآن لم تعد تقوى على الانتظار، تمتد يدها لتحتضـــن هاتفها بحب تدخل صـــفحة المجموعة التي أضـــافتها فيه إحدى صديقاتها بعد إلحاح:

_أنا مندهشـــة! مما تخافين؟ ألن تتخلي عن خوفك وخجلك أبدا؟ فلتجربي، شاهدي في البداية حتى تعتادي الأجواء وتندمجي فيها.

_أعدكِ أن أحاول، معكِ كل الحق، فلن أخسر ـــ شـــيئا بالعكس سأستعين به على وحدتي.

لم يكن مجموعة هادفة، كان يضـــم أناســـا تختلف اتجاهاتهم وثقافاتهم، لم تجد نفســـها بينهم لم تجد أحدا يشـــبهها وقررت الخروج منه، لكن منشـــورا يحمل تســـاؤلا لفت نظرها، تابعت المناقشـــات والتعليقات، كان مختلفا وثريا اســـتغرقت فيه، دفعها فضولها للبحث عن صاحب المنشور، فتحت صفحته الخاصة في المجموعة، قضت ليلتها تتابع ما قام بنشره سابقا، ثم عادت لتنضم

للمناقشـــة وجدت نفســـها تعلق له وتنتظر رده؛ وأتاها مقنعا مثيرا للدهشة من فرط اتزانه وتعقله، تراجعت عن قرارها فجأة بل نسيته تماما أصـــبح هو وجهتها، تقرأ له وتعلق، وتنتظر الرد، وكأنه الوحيد هنا، تتزين كل ليلة وتســـتعد للقائه تنتظر بلهفة تطالع هاتفها بين الحين والآخر، وتســترجع ما دار بينهما من حوار، تجد في ذلك متعة لا تعرف سببها.

إنها العاشرة الآن، اعتادت أن تجده في هذا الموعد، ها هو يأتي، انتفض قلبها فجأة بمجرد أن لمحت صورته واسمه، وبحواسها كلها راحت تقرأ ما كتب، تحاول قراءته هو، قراءة أفكاره وإحســاســه، في كل مرة كانت تندهش للروح التي تتلبســها حين ترد عليه وتناقشــه، من أين أتتها تلك المرونة والخفة، تلك اللغة الغضـــة الندية، كلما التقيا تعانقت أفكارهما واتحدت، فلا تنتهي إلا وقد نالت من النشوة والسـعادة ما يجعلها تقضي اللـيل وقد حلقت روحها، تتوق لصـباح يحمله إليها فقد أهداها صباحات ومساءات لم تتوقعها يوما.

هذا المسـاء بالذات جاء مختلفا؛ تأكدت ظنونها، لقد كان يكتب لها كل ليلة؛ يقصـدها بكل كلمة، يقترح، ويسـأل، ويناقش، وينتظر ردها يترك الجميع، ويخلو بها، ويمتد بينهما الكلام يهديها أشعاره وتهديه، يقرأها، يبحر فيها، يضـعها أمام نفســها فتعود تكتشــفها من جديد؛ صادقت مرآتها مجددا بعد أن هجرتها لسنوات.

ها هي كلماته أخذت تقرأها مرات ومرات:

- هل هناك شخصا تتوقع أن يراسلك قريبا، ويجعلك ذلك تتحسس صندوق رسائلك من وقت لآخر؟؟

امتدت أصابعها لتتلمس الحروف وتكتب ردا:

_لغة مختلفة هذه المرة، من صـــاحب الدعوة المســـتمرة للتمرد، والإقدام واقتناص الحياة.

_ ربما هي نوع من الإقدام ربما هي نوع من إفشـــاء الأسرار، ربما هو الجبن أو التردد، الاحتمالات كثر لكن النتيجة واحدة أن من ينتظر الرسائل يتحسس صندوق بريده.

عند هذا الحد انتهى حديثهما، وكالعادة راحت تعيد قراءته، وانتبهت فجأة... ماذا لو كان يقصـــدها؟ كانت تتحدث بعفوية لكن إحساسها قادها فجأة أنه ربما فهم أنها تقصده، ماذا يعني بقوله إن من ينتظر الرسائل يتحسس صندوق بريده"؟! واستبد بها الفضول، دفعها دفعا لتتفقد بريدها.. اتســـعت عيناها؛ انتابتها رجفة؛ ها هي رســـالة منه.. اتضـح الأمر الآن؛ هنا تبدل كل شيء؛ اختلفت نظرتها له وأخذت اتجاها جديدا لم تكن تتوقعه.

صار هو شغلها الشاغل، فتح لها نافذة تطل منها على الحياة تحمل لها نســـيما عليلا وزخات مطر، لا يبدأ يومها إلا به تصـــحو لتلتقيه، وتنتظر المساء بلهفة ليجمعها به، أعاد لها سحر طفولتها ومرحها، تنبت في روحها أزهارا ورياحين مع كل قصيدة ينشرها.

_أنت الوحيدة التي تفك شـــفرة منشـــوراتي ولك وحدك أكتبها فلن يفهمها غيرك. لم تسعها الدنيا حين كتب لها:

_ليت الجميع يقرؤني كما تفعلين.

صـندوق بريدها أصـبح هاجسـا، تتفقده في كل وقت وحين، يرقص قلبها فرحا كلما راســلها، لكنها أبدا لم تجب، كانت تخاف، خوفها أكبر من رغبتها في التواصـل معه. لكنه لم ييأس ظل يشـجعها يشـير لها من بعيد أن لا تخـافي، أحس منها قبولا وارتياحا وقـدر خوفها ورهبتها، أحسـت ذلك من القصـيدة التي نشرها تلك الليلة وتوقفت أمامها عاجزة عن الرد:

راقبيني من بعيد
اصنعي من عشقي ثوبا
يجعل الشيبان صبيه من جديد
أورديني في خيوط
مثل خيط العنكبوت
علقيني في البيوت
زينة في يوم عيد
افعلي كل الأمور
ادخلي قلبي السرور
لكن أين تخبريني أن عشقي في الوريد؟
قرأت قصيدته وأعادتها مرارا واحتارت بم تجيبه وأخيرا كتبت:
لو كنت بحرا
كنت كل الغارقين
أو كنت فجرا
كنت ليل السهرانين
لو كنت غارا
كنت بيت العنكبوت

أو كنت قبرا
كنت أول من يموت

لكن ردها لم يعجبه لم تكن تلك الإجابة التي يريدها:
_مقطوعتي انتهت بسؤال، أريد جوابا لسؤالي سأساعدك وأبدأ أنا:

_ألاحظتني؟

_أراودك شك أنني أتتبعك؟

_أرأيت مني أنني قد أعشقك؟

_أتريد مني أن أجيب؟

_هل أن حبك بالوريد؟

_ولو أجبتك كم سؤال لي تجيب؟

ولم تستطع الإجابة، لكنه أعاد الكره مرة أخرى ها هو منشور جديد، مختلف ويدعو للدهشة، أحد التطبيقات التي يستخدمها رواد وسائل التواصل يسمح لك أن تراسل أي شخص وتخبره برأيك فيه دون أن يعرف من يراسله. ودخلت لتخبره رأيها لم تفكر في شيء، في الوقت الذي كان هو يدك كل الحصون ليصل إليها:

_كيف تطلب من أشخاص لا يعرفونك ولا تتعدى معرفتهم عنك ما تنشره هنا من أفكار أن يصارحوك أو يخبروك رأيهم في شخصك، قد يكون ذلك مقبولا في محيط عائلتك وأصدقاءك، لكن هنا أعتقد لا فائدة منه.

_لتطبيق سري ويمنح حرية في إبداء الرأي والنصيحة أنصحك أن تجربيه فليس هناك ما تخسرينه.

_لكن سريته قد تكون زائفه هل تقنعني أنك لن تعرفني إن راسلتك أعتقد لا فلكل شخص أسلوب مميز يكشفه.

_أبدا، من بين الذين راسلوني لم أستطع معرفة إلا صديق واحد، بسهولة يمكن تغيير اللغة والأسلوب، التجربة تستحق المحاولة.

هبت عليها رياح الفكر والحيرة تلقي بها يمنة ويسرى وهمت أن تفتح التطبيق وتجرب لكن منشورا آخر وصلها إشعاره فراحت تقرأه:

_"ما الذي يمنعك من الاتصال بالشخص الذي يشغل بالك الآن؟"

السؤال موجه لها، كانت تعرف ذلك وبدأت ترد وتناقش وتستمع له يقنعها مرة وتقنعه مره، امتد بهما الحديث ولم تنتبه للوقت، أشرق الصبح وهما يتحدثان، كيف مرت الساعات ولم تشعر بها، وبماذا تجيبه؟ الآن يريد وعدا بحديث على انفراد، لم تقبل وأيضا لم ترفض واعتبر هو هذا ميلا للقبول واستبشر خيرا ووعد بانتظارها.

جافاها النوم تلك الليلة، فعادت لتقرأ حوارهما معا كما اعتادت لكنها لم تجده!! تم حذف المنشور بالكامل وغرقت في بحر من الأسئلة ليس له نهاية؛ ولم تصل لإجابة واحدة تريحها.

لم تشعر كم من الساعات مرت بها وهي في تلك الجلسة لكنها انتبهت على رنين الهاتف نظرت له سريعا وكأنها تتوقع أن يكون هو من يهاتفها ليرد على تساؤلاتها وأتاها صوت صديقتها معاتبا:

_أين أنت؟ أضفتك للجروب لتقضي بعض الوقت فقط لا أن يشغلك عني لهذه الدرجة...

شردت منها للحظات، وعادت لتجدها تناديها بإلحاح:

_هدى.. أين أنت؟ هدى ... أتسمعينني؟!

_نعم.. نعم أنا معك.

_معي؟! أين؟! هههه روميو أخذك مني، هل ستخبرينني ماذا حدث؟

_بالطبع سأخبرك بكل شيء.

ظلت تستمع لها لم تحاول مقاطعتها حتى انتهت:

_داليا.. ما العمل الآن؟ كيف أتصرف معه؟

_أنا من سيتصرف سأحدثه أنا بصفتي أختك، هذا الأمر لابد وأن يقف عند هذا الحد.

في المساء اتصلت داليا لتخبرها ببدء محادثتها معه واتفقتا أن تطلعها على ما يدور بينها وبينه أولا بأول:

_أخبرها أنه ليس بينهما شيء وأنه لا يريد من هدى إلا أن يتحدثا لبعض الوقت ولو لمرة واحدة فقط.

_ليس بينكما شيء؟ وحواركما بالأمس والذي امتد حتى شروق الشمس، كنت أتابعه من البداية ورأيت كل شيء، لماذا حذفته؟!

_خُفت عليها، حديثنا لا يهم غيرنا لِيَطَّلِع عليه، أردت منها وعدا بأن نتحادث بعيدا عن المجموعة والتعليقات.

_يا أستاذي ما تطلبه صعب تحقيقه؛ فهي زوجه وأم ولها حياتها، وأنت... نحن لا نعرف عنك شيئا.

_أنا محمد خمسة وثلاثون عاما، متزوج ولي ابن وحيد، أعمل خارج مصر.

_ بعد ما قلته من المســـتحيل أن يتم ما تريد، يكفي ما حدث إلى الآن.

_ يا سيدتي لم يحدث شيء، ليس هناك بداية لنضع لها نهاية.

_ أخبرتك أنها زوجة وأم وتكبرك بسنوات، حتى الصداقة صعب أن تتم بينكما، لتكتفي باللقاء اليومي بينكما في المجموعة.

عند هذا الحد تَدَخَلتْ وأرسَلَتْ لداليا رغبتها في محادثته:

_ حســنا يا ســيدي، أنا ســأقنعها أن تحادثك، لكن عدني أن يكون ذلك لمرة واحدة.

_ حسنا أعدك أن أحادثها لمرة واحدة.

_ سأخبرها.. انتظر منها محادثة في صباح الغد.

سَقَطتْ في بئر من المشاعر والأفكار، عميق ومظلم تمد يدها تنادي عليه لينتشلها، يخرجها مما تعانيه من خوف وقلق، تخيلت عشرات السيناريوهات للشكل الذي سيكون عليه أول لقاء بينهما، لكنها لم تصل لرؤية واضحة تريحها.

انتصــف النهار.. أرســل لها مرتان وبرغم لهفتها لم تفتح لترد عليه، لطالما خافت من البدايات تفضـل ألا تبدأ حتى لا تنتهي، ولكن لابد لها من الرد الآن، التأخير ســيجهد أعصــابها أكثر إنها مرة واحدة؛ لتفعلها إذا وتنهي كل شيء بعدها.

اطمأنت قليلا، و لكن شيئا ما دفعها لدخول صفحته الشخصية، كانت تبحث عن التطبيق، ووجدته وراحت تفكر ما عساها تكتب فيه؟ وبدون أن تدري، بدأت في الكتابة له لتختبر نفسها، كانت مبهورة بالتطبيق منحها جرأة ورفع عنها الخجل، كتبت عنه عن رأيها فيه، وفي أسلوبه، وأشعاره، وأفكاره، وقراءتها له، لسمات شخصيته، كانت تتمتع بقدرة عالية على التحليل، تعرف أنه يفهم حياءها وخوفها من المواجهة لذلك فتح لها هذا الباب لتعبر عن نفسها بحرية واهما إياها أن ذلك سيتم في إطار من السرية، وأنه يتلقى يوميا عشرات الرسائل، أنى له أن يعرف أيها رسالتها، لكنها اكتشفت ما فعله، حمل التطبيق بصفحته وحدد شخصها فقط لرؤيته واستخدامه، ظهر ذلك عندما حاولت داليا الدخول، والكتابة له ولم تستطع، هو لها وفقط، تعامل بذكاء، راح يظهر رسائلها على صفحته، وطبعا مجهولة الهوية، ليطمئنها أنها وصلته ورآها.

كان يستدرجها واحدة، واحدة، رأى أن الرسائل تجهده فما من إشعار يخبره أن هناك رسالة ما قد وصلته، حتى وجدت إشعارا منه يصلها "أعجب محمد بتطبيقك" إذن تلك رسالة قد أرسلت إليها ويريد أن ينبهها لتراها، أثار هذا التصرف إعجابها رغم بساطته، وأصبحت تلك وسيلتهما لتنبيه بعضهما. تركها تسعد بأمان مؤقت حتى تعتاده ويصبح التواصل أمرا حتميا، وفي الوقت المحدد راسلها:

_"لن أكتب هنا مرة أخرى أريد تواصلا مباشرا، الرسائل تأخذ وقتا هنا والرد عليها يتأخر فتفقد رونقها"؛

وأسـقط في يدها ماذا تفعل؟ كانت مدفوعة بقوة لا تعرفها وكأنه قد سلب إرادتها.

ورَاسَلَتْهُ، تلك المرة رفع سقف مطالبه:

_الصـوت أكثر حرية وتعبيرا عن المقصـد، ويكشـف أبعادا أخرى في شخصية من نتعامل معهم، امنحيني تلك الفرصة، لن أخذلك ولن تندمي.

ووافقت، أَجَّلَ عمله يوما كاملا ليحادثها، كان حديثا شـيقا ومطولا، فيه الصورة التي كونتها له وانطباعها عنه، وصَارَحَتْه، كان مندهشا ومعجبا بتفهمها له، تحادثا في الشـــعر والأدب والفن وفي الحياة وانتهى بسؤال:

_ما تقييمك لتلك المحادثة؟ هل وافقت توقعاتك أم لا؟

_نعم توقعتها كذلك، أنت تريد كسـب ثقتي لتكرر التجربة وتصـل لمبتغاك.

_لا.. لا أريد شـــيئا إلا أن نتحدث وفقط. عديني أن نتحدث مرة أخرى وسأثبت لك.

_سنرى لا تسبق الأحداث.

هدى.. أنا لا أعرف عنك شيئا، ولا يهمني إلا ما رأيت منك وأسرني لا أســتطيع الفكاك منك، حاولت كثيرا وفشـــلت، راحتي معك أنت، أعرف أن هذا ربما يزعجك لكن هو إحساسي لن أنكره ولا يعني ذلك مطالبتي لك بشيء.

_وهو كذلك، أنا أقدر شـــعورك وأحترمه، ربما يأتي وقت أنســـب نتحدث فيه.

وتواعدا على اللقاء مجددا في نفس موعد كل مســاء، وجاء المســاء ولم يأت؛ استبد بها القلق ما أخرى؟ وحدثتها نفسها:

_لقد وعدني، من المؤكد أن شـــيئا ما حدث، يظهر متصـــلا أمامي، أتراه يحدث امرأة أخرى؟ أراسل داليا، وأحكي لها، لعل لديها تفسيرا.

لم ترد داليا فورا كعادتها تأخرت قليلا أو ربما قلقها وانتظارها أوهماها بذلك، ظلت تكتب وتكتب قالت كل شيء، وأتاها الرد:

_هدى ...أنا معك.

_ معي؟ أنت مشغولة، كنت أجدك حتى قبل أن أراسلك.

_طمئني كنت أفعل ما يريحك، وأضع كل الأمور في نصابها.

_ما ...ماذا تقصدين؟

_ أحادث محمدا الآن... أَرْسَلْتُ له في الصباح، ويرد علي الآن.

_ كيف؟ أنا لا أفهم ماذا تقصدين؟

_ أنت أختي حبيبتي، لا أهنأ أبدا وأنت قلقة متعبة، راســـلته لكن باسم آخر، وصفة أخرى، اسمي الجديد "بسمه" لأعرف من هو، وكيف يتصرف؟ لأكشفه لك، لأثبت أنه لا حب يأتي بهذا الشكل، وأنه رجل وكل الرجال ســـواء، يلبون أي دعوة دون أن يرف لهم جفن.

وبمنتهى الثبات أجابت:

_يعني هذا أنه أجاب دعوتك؟ أليس كذلك، وما الذي يعنيني أجاب أم لم يُجِبْ؟

_هدى فعلت ذلك لخوفي عليكِ لأعرف ماذا ينوي، أنا متأكدة أنكِ معجبة به، لكنه شعور لا يتعدى الإعجاب، ولا ينبغي له أن يصل لأكثر من هذا.

وَافَقتْهَا...استراحت للفكرة، كانت دهشتها بالغة وإعجابها أيضا، رغم ما ظهر أنه خداعا، إلا أنه كان بارعا فيه وذكيا، كنا نشاهده ونعبث به، نحادثه في نفس الوقت لنشتته، لكنه كان يوقعنا في الحيرة كل مرة، كيف يتمتع بكل هذا الثبات؟! كيف يركز في أكثر من فعل وأكثر من شعور جميعهم مختلفين وفي نفس اللحظة؟

فهو مع داليا الشخص المرح الصاخب، ومع هدى المتعقل المثقف، وفي المجموعة قيادي مؤثر، صاحب فكر ورأي، يظهر بالشخصيات الثلاثة، لكنه يترك المجموعة، يعتذر من "بسمه " ويتفرغ لهدى، كان حديثا من نوع خاص، حرصت أن تجعله جادا ومحافظا، وحنونا يحمل الود، والحب في طياته بلا تصريح، أما هو فلم يفتر إحساسه بها لحظة، يبثها حبه يناديها بأعذب الأسماء، لم يكن يغريها الغزل الصريح، ربما لشكها في صدقه فكثيرا ما أقسم أنها هي وحدها لا أحد سواها، في الوقت الذي يحادث بسمه ليقضي معها وقتا لطيفا، كان يحادثها فيما تحب ليصل بها لما يحب، حديثا خاصا جدا يسمح لهما بالقرب للدرجة التي تجعلهما ينزعان رداء الحياء والخجل ويتحررا من كل القيود، كانت تجيد المراوغة وكان هو يجيد الانسحاب كما يجيد التسلل لقلبها وعقلها.

واتخذت قرارها؛ توقفت عن الكتابة له والرد عليه؛ أثار هذا تساؤلاته ودهشته فلم يحدث شيئا في رأيه يجعلها تبتعد بهذا الشكل؛ أخرجه هذا عن صوابه فراحت رسائله تتوالى، تركته هكذا يوما وليله ثم قررت الرد:

_سامحني، أردت التفكير بهدوء فيما فعلت وما سأفعله غدا.

_كنت أحتاج لكلمة واحدة، وسأقدر ذلك، أنا بخير الآن ما دمت أتيت، أحتاج للحديث معك وسماع صوتك، متى تتصلين بي.

_أخبرتك أنك صديق أعتز بصداقته، لنبق شريكي رأي وفكر يقدر أحدنا الآخر.

_ثم ماذا بعد، أترفضين قلبي؟

_أنا غير مرتاحة للخروج عن هذا الإطار.

_لن أجبرك، هذا حقك، لكن سأظل أحبك، ولن تمنعيني هل تريدين ألا أراسلك هنا مرة أخرى؟

_نعم.

هذه إرادتك؟ ستكونين سعيدة في البعد عني؟ أنا لا أريد سوى سعادتك. سأسافر في إجازة للقاهرة لمدة شهر، لن أتواجد خلالها وصيتي لك أرجوك إعتني بهدى حبيبتي.

_هل تسمح بمكالمة أخيرة قبل أن تغادر؟

_أجل يمكنك الاتصال في أي وقت.

وغادرت هدى ولكن ظلت تتابع مع "بسـمة" كانت غيرتها تشـتعل؛ كلما أخبرتها بما يدور بينهما من أحاديث؛ وكيف كان يغني ويضـحك ويسـخر، ويسـتعد للعودة لأهله؟ واتخذت من فرصـة السـفر سـببا لتُجري الاتصـــال الذي وعدته به لتودعه وعادا من جديد، وتغيرت عاداته مع بســـمه وقَلّتْ محادثاتهما، ولكن داليا زادت مخاوفها، وتدخلت لتنهي القصة بصفتها أخت هدى:

_أنت وعدت بأنها مرة واحدة، وخلفت وعدك؛ هدى لن تحادثك ولن ترد مرة أخرى؛ وإذا حدث أرجوك لا تجيبها لمصحتكما.

_لا أستطيع؛ سأمتنع عن الكتابة لها بمعجزة، لو راسلتني سأرد.

وأصبح المنع والصد دافعا للتمسك أكثر، أخذا يتبادلان الغزل أمام الجميع، وتدخلت داليا مرة أخرى، وبدون الرجوع لهدى:

_هل جننت؟ كيف تسمح بهذا الحوار بينكما؟ ماذا سيفهم أعضاء المجموعة؟

_ سيفهمون أني أحبها.

_ لكن زوجتك في انتظارك، هي أحق بقلبك.

_ قلبي ليس ملكي، لا أستطيع السيطرة على مشاعري.

_ أنت تسيء لها، حتى لو كانت مجهولة للجميع هنا.

وحادثته بسـمة أخبرها أنه غادر المجموعة ويسـتعد للسـفر خلال أيام.

وجنت هدى فقد غادر المجموعة وألغى تطبيق المصـارحة لم يعد أمامها إلا الخاص، هل قصـد ذلك؟ هل اختار البعد لمصـلحتهما؟ هل هذا إجراء كحزم الحقائب حتى يعود خالصـا لأهله؟ هل أحبني حقا؟ هل هو صـادق؟ إجابة هذا السـؤال فيها شـفائي؟ إما صـادق ويسـتحق وقتي، ومشـاعري؛ فأبتعد ليظل نورا بقلبي، وإما مخادع ووقتها سأقص جذور هواه من روحي، ولن أندم.

وعلى الخاص كتبت مجددا.... محمد.....

تمت بحمد الله

بلا دعوة

منى الفولي

هرولت للداخل غير مبالية بذلك الذى يعلو صـــوته خلفها، تحاول الوصـــول لمكان تجمع المدعوين بأقصى سرعة للاندماج بينهم، لا تصـــدق أنها تجرأت وأقدمت على تلك الفعلة، هي لم تخطط لهذا الأمر لقد ظنت أنها ســتســتطيع إقناع فرد الأمن بضرـورة مقابلتها لرب المنزل أو أحد ولديه، ولكن لدى وصولها لباب القصر فوجئت بوجود حفل فخم وأن دخولها يســـتوجب وجود دعوة لا تملكها بالطبع، ولم يستجب فرد الأمن لتوسلاتها وزعمها بخطورة الأمر لذا استغلت انشغاله بمحادثة أحد المدعوين ومطالعة دعوته لتتسلل للداخل غير مبالية بندائه بعد انتباهه لفعلتها.

هدأت خطواتها حين اقتربت من تجمع المدعوين واختارت جانبا قصـيا تتوارى به كي لا تلفت الأنظار ببســاطة مظهرها مقارنة بباقي المدعوين، جلسـت تلتقط أنفاسـها وهي تحاول التركيز لعلها تلتقط إشارة تعرف منها من منهم هدفها المنشود، فالبرغم من عملها لأكثر من عامين بشرـكة الســيد حاتم إلا أنها لم يســبق لها رؤيته حيث يعيش بالخارج هو وأسرته مكتفين بمتابعة الأعمال من وقت لأخر مع وكلاؤهم بمصر، انتفضت بعنف على ذلك الصوت المحتد رغم خفوته الذي جاء من خلفها لتلتفت لترى ذلك الشــاب الوســيم ذو الحلة الرسمية شديدة الفخامة.

الشاب بحدة: من فضلك اتبعيني بهدوء.

رانيا: أرجوك، أعلم أن تصرفي غير سليم، ولكن يجب أن أرى السيد حاتم لأمر هام.

الشـاب وقد ارتفعت نبرة صـوته قليلا: من فضـلك سـيدتي، أنت ستتسببين في إيذاء الشاب الذي غافلتيه، ولا أظن أنه سيرضيك أن يصرف من عمله بسببك.

رانيا بندم: كلا بالتأكيد سـيدي، ولكن أنا أيضـا سـأصرف من عملي وقد أسـجن أيضـا إن لم أقابل السـيد حاتم في أقرب وقت، - لم تحتمل أعصـابها أكثر من ذلك فانهمرت دموعها وقالت من بين نحيبها- أنا أعمل بفرع شركته هنا وكل ذنبي أنني لم أرضى بالخطأ، وحاولت كشـف فسـادهم لأجد نفسيـ متهمة بالفسـاد ومهددة بالسجن، كل ذلك لأنني بلا سند، فهل يرضيك أنت هذا.

لان لها وقد تأثر ببكائها وأسره جمالها الحزين: بالطبع لا يرضـيني ولكن صـدقا فإن وجودك هنا لن يحل مشـكلتك بل قد يغضـب السيد حاتم جدا؛ فهذه الحفل أقيمت على شرف شخصية هامة لن يرضى السـيد حاتم أن تعلم تلك الشـخصـية بوجود تجاوزات بشركته، لذا فلتنصرفي الأن بهدوء ولنتقابل غدا، وأعدك أن أقوم بمسـاعدتك حتى تظهرين براءتك، وأنت من الأن لن تكوني وحدك أمام هؤلاء الفسدة.

اسـتشـعرت الرجولة والصـدق بكلماته فاطمئن قلبها، ابتسـمت ابتسامة خلابة وهي تقول: شكرا لك سيد..

رد بشرود وهو غارق بابتسامتها: أحمد، أسمي أحمد أنسة..

رانيا بابتسامة: رانيا صبري، آسفة على اقتحام الحفل بهذه الطريقة وأرجوك ألا تصرف الشاب على البوابة أنا من غافلته ولا ذنب له.

أحمد بابتسـامة: لا تقلقي اكتفيت بتوبيخه، ولكني الأن أود الذهاب والاعتذار منه، لكونه السبب لمعرفتي بك.

رانيا بخجل: شكرا لك سيدي.

قام بتوصـليها حتى باب القصر ـ وأمر إحدى السـيارات الفخمة بتوصـيلها بعد أن تبادلا أرقام الهواتف ووعدها بالتواصـل معها بأقرب وقت.

ركبت السـيارة وأخبرت السـائق بوجهتها، وسرحت بأحلامها، لا تصـدق مع حدث معها رغم تمنيه وتخيله طيلة الوقت، فهي دائما كانت تقرأ الروايات هروبا من واقعها المؤلم وظروفها الصـعبة، ولطالما أحبت تلك القصـص التي تدور حول رجل الأعمال الشـاب الذي يصـطدم بالفتاة البسـيطة بأول لقاء ثم يقع أسـير هواها ويحارب الجميع ليفوز بقلبها منتشـلا إياها من ظروفها لتصـبح بين ليلة وضـحاها من الطبقة المخملية، وكم تمنت أن تكون إحدى هؤلاء البطلات، ولكنها كانت تردع أحلامها دائما فالحقيقة مختلفة، ولكن ها هو الحلم يتحقق، هي تعلم أن لدى السـيد حاتم ولدان هما أحمد ومحمود وقد سـمعت كثيرا عن نزواتهم وسـوء خلقهم، ولكنها الأن تأكدت أن الأمر لا يتعدى الحقد والحسـد والاشـاعات، فهي لاحظت دماثة أخلاقه وإنسـانيته كما لم تغفل عن إعجابه بها الجلي بعينيه، لذا سـتترك الأمور تأخذ مجراها حتى تنسـج رواية جديدة تكون هي بطلتها هذه المرة.

في الصـباح الباكر فوجئت باتصـاله يدعوها لمقابلته بأحد الأماكن العامة، اسـتعدت وذهبت بالموعد لتجده بانتظارها بملابس

مهندمة ومتناسـقة ولكنها بسـيطة تتنافى مع ملابسـه بالأمس، كما فوجئت ببســاطة المكان الذي دعاها إليه، ولكنها أرجعت الأمر لإحســاســه المرهف الذي جعله يتباســط معها ويحاول مســايرة ظروفها حتى لا تصــدم بالفروق بينهما من البداية، بعد جلوســهما وتناول العصير اللذيذ الذي طلبه لها حضر شاب عرفها عليه أحمد قائلا: سامح جاري وأقرب أصدقائي وأثق به ثقة عمياء.

طلب منها أحمد قص مشـكلتها عليه بالكامل ليسـتطيع مسـاعدتها بحكم عمله كوكيل نيابة.

قصــت المشــكلة على صــديقه بالكامل وكيف أن المدير المالي ومســاعديه اســتغلوا الإقامة الدائمة للســيد حاتم وولديه بالخارج وأنهما لا يعودان إلا لشــهر واحد كل عام؛ ليقوموا باســتيراد أغذية فاســدة وترويجها لحســابهم الخاص، وأنها وبســبب غلطة غير مقصودة منهم استطاعت كشف هذا التلاعب، وقامت بمواجهتهم فما كان منهم إلا الحصــول على إمضــاءها بغفلة منها على بعض الأوراق المخالفة وقاموا بتهديدها وتخييرها بين أن تنضــم إليهم أو يتم الإبلاغ عنها وزجها بالسجن، وعندما علمت بقدوم السيد حاتم وولديه لمصر لمدة محدودة حاولت مقابلة الســيد حاتم وإخباره بالأمر فلم تســتطع ولكن رحمة الله هدتها لمقابلة الســيد أحمد ليصدقها ويساعدها.

قامت رانيا بتنفيذ تعليمات صديق أحمد حرفيا وتظاهرت بالموافقة على الاشتراك معهم بعملياتهم المشبوهة وقامت بمقابلتهم بأماكن عامة، ورغم كون تلك المقابلات تحت أعين الشرطة إلا أن أحمد

كان يصر أن يتواجد بنفسه على مقربة منها مما كان يشعرها بالأمان ويقرب بين قلوبهم.

وفي اليوم الأخير للخطة تم القبض على المدير المالي ومعاونيه بعد تسجيل مساومتهم لها على التلاعب بتواريخ انتاج بعض المواد الغذائية، لتزفر رانيا براحة بعد انتهاء مشكلتها، لتجد أحمد ينضم إليها على الطاولة بابتسامة، فأرادت أن تكون صريحة وتخبره بكل ظروفها قبل مصارحته لها بمشاعره الجلية بعينيه حتى لا تكن تخدعه، فقالت بتردد: حقيقة لا أعرف كيف أشكرك على كل ما قمت به من أجلي، كنت خائفة فأنا ضعيفة ليس لدي ما أجابههم به، كما لا يمكنني ترك العمل فأبي موظف بسيط بالمعاش وأمي ربة منزل وراتبي بند هام بميزانية منزلي لم أكن أستطيع الاستغناء عنه.

ابتسم لها بتفهم وهو يقول بحب: بارك الله لك بوالديك، أنا أكثر من يشعر بإحساسك، فقد حرمت منهما منذ صغري وأعلم أنهما لا يعوضان.

هنا بدأت رانيا تضيق عينيها باستفهام، في حين أكمل أحمد: رغم وجود القلوب النقية حولي، فالعم سيد ذلك السائق الذي أوصلك يوم الحفل هو من ربياني كأبنه سالم وبالمناسبة هو ذلك الشاب الذي غافلتيه وكدت تتسببين بطرده إن انتبه لك أحدهم ولكنه استنجد بي، واستطعت احتواء الأمر دون أن ينتبه أحد، وبحكم عملي كنادل تمكنت من التجول بين الطاولات بحثا عن مواصفاتك حتى وجدتك، فهو أخي وصديق طفولتي، لولاه هو ووالده لم أكن أعرف مصيري، فوالده هو من ألحقني بالعمل بذلك الفندق الفخم

الذي يتولى تنظيم معظم الحفلات الفخمة لعلية القوم، وسالم هو من شجعني للالتحاق بكلية السياحة والفنادق، حتى أستطيع التقدم بعملي وأنتقل للعمل بالإدارة يوما ما.

بهتت عندما استمعت لكلماته التي كسرت حلمها بلحظات، لتظهر الحقيقة أمامها جلية فهو مجرد شاب بسيط مثلها يحاول انتشال نفسه من أنياب الفقر، ليس ذلك الثري الذي ظنته سينتشلها هي، وأيقنت أن مظهره البسيط نابع من ظروفه، وليس تباسطا معها كما ظنت.

انتزعها من أفكارها بصوته وهو يقول بحب: كنت أعتقد أن ظروفي لا تسمح لي برفاهية كالحب حتى اقتحمت أحدهن حياتي بلا دعوة، ليفتح لها قلبي أبوابه على مصراعيه، وأتمنى أن تدخل إليه زوجة وحبيبة.

انتفضت عند هذه الجملة فالحوار قد اتخذ اتجاه لا يناسبها، هي لا تنكر إعجابها به ولكن لن تسمح لهذا الأعجاب أن يجعلها تنساق وراء قصة قد نسجت بخيوط الفشل، فكيف تقترن بمن هو بنفس ظروفها أو ربما أسوء وهي التي ظلت تنتظر فارسها المنقذ، انتفضت واقفة قائلة بحدة لم تتعمدها: أنا آسفة، يجب أن أنصرف الأن، فمنذ انصراف الشرطة ونحن نتحدث، بينما يجب أن أتبعهم لمتابعة سير التحقيقات.

أحمد بتوتر: بالتأكيد سنعلم بسير التحقيقات، بالتأكيد سامح سيبلغنا بها أولا بأول، وأنا لم أنهي حديثي معك بعد، فلدي ما أود أخبارك به.

رانيا بانفعال: آسفة أحمد، لست بمزاج يسمح لي بسماع أي شيء الأن، لنتحدث لاحقا -بعجالة- إلى اللقاء.

أحمد بحزن وهو يراقب انصرافها السريع: وداعا.

****

في الشركة

استدعيت رانيا لمقابلة السيد حاتم وسط دهشة العاملين بالشركة، دلفت لمكتبه بتردد، لتجده يجلس بصحبة شابين يبدو على مظهرهما الثراء.

حاتم بغضب: هل تعلمين ما كدت أن تتسببي به لنا من خسائر.

رانيا بصدمة: سيدي، أنا قد كشفت فساد كان يتلاعب بغذاء الناس.

أحد الشابين بميوعة ساخرا: وهل هؤلاء الناس يؤثر بمعدتهم هذا الهراء، هم كانوا يتلاعبون بغذاء شعبي، وهؤلاء يتناولون ما هو أسوء ولا يبدو عليهم أي تأثر.

حاتم بحدة: أنتظر أنت أحمد، استمعي إلي يا فتاة، ما نجاك مني هذه المرة هو موقف وكيل النيابة الذي استعنتي به، فهو قد أحسن تكتم الأمر، ومنع النشر بالقضية، وجعل الأمر يبدو وكأنهم قاموا باختلاس أموال الشركة، وهذا ما شفع لك لأتركك بعملك، شرط ألا تتدخلي فيما لا يعنيك مرة أخرى.

الشاب الأخر وهو يتفحصها بوقاحة: الحقيقة لديها الكثير من الإمكانيات التي تشفع لها غير ذلك.

أحمد حاتم بوقاحة وهو يتفحصـها بدوره: لديك حق محمود، رانيا إن لم تكوني مرتاحة بعملك هنا فيمكنني إلحاقك بطقم معاوني الخاص -بهمس جريء- الخاص جدا.

حاتم بغضـب: كفّا عن هذا يجب أن نعود بعد أن اضـطرتنا تلك المتهورة للعودة بهذه السرعة، فلتنصرفي الأن ولا تنسي ما قولته لك.

خرجت مهرولة وهي لا تصـدق رد فعلهم علي صـنيعها، وجدت نفسـها بشـكل لا إرادي تقارن بين أبناء حاتم أشـباه الرجال، ورجولة أحمد الذي حماها ودافع عنها دون مصـلحة، لمجرد أنها قد طلبت منه ذلك، بين نظراتهم اللاهية ونظراته الحانية، ووجدت نفسـها تشتاق إليه وإلى مساندته، شعرت بالندم على معاملتها له بمقابلتهم الأخيرة ونفورها منه بمجرد أن علمت بحقيقة ظروفه، وأيضـا تجاهلها لاتصالاته بعدها حتى كف عنها بعدما وصلته رسالة تهربها من مقابلته، احترق قلبها وهي تتذكر نظراته الحزينة لها وهي خارجة من مبنى النيابة بعد أخذ أقوالها، حيث وجدته يقف متواريا حتى لا تراه فتظاهرت بهذا بعدما استنتجت بأن سامح هو من أخبره بموعد حضورها فأتى ليراها من بعيد.

****

بعد عدة أسـابيع بحفلة صـاخبة بأحد القصـور الفخمة، توتر أحمد الذي يقدم المشـروبات للمدعوين وهو يرى اشـارات سـالم الخفية المسـتدعية له، انتهى من توزيع ما يحمل وذهب إليه بعيدا عن أنظار المشرف على عمله.

أحمد بضيق: ماذا تريد سالم، ستتسبب بطردنا سويا يوما ما.

سالم بتوتر: انجدني أحمد، هناك سيدة حاولت الدخول بلا دعوة ورغم منعي لها تمكنت من مغافلت والدخول أثناء انشغالي.

أحمد بانفعال: ثانية، هل جننت، لما لا تنتبه لعملك.

سالم برجاء: أرجوك أحمد وبخني فيما بعد كيفما شئت ولكن الأن ساعدني أرجوك، لقد ذهبت بهذا الاتجاه القصيـ بعيدا عن المدعوين وهي ترتدي فستان سهرة بسيط ومحتشم باللون الفضي.

زفر أحمد بضيق ونفاذ صبر وتركه وذهب للاتجاه الذي أشار إليه، ليجد فتاة بالمواصفات المنشودة تقف وهي تنظر للاتجاه الأخر، نظر لظهرها واقتحمت الذكرى قلبه؛ فمازالت تؤلمه الذكرى القريبة، حاول السيطرة على مشاعره وهو يقول بحزم وخفوت: سيدتي، من فضلك اتبعيني بهدوء.

صدم عندما التفتت لتطالعه ابتسامتها الحبيبة وهي تقول: بالطبع سأتبعك، فلطالما كنت بأمان معك.
انتابته مشاعر مختلطة، حب جم يكنه لها، وسعادة لرؤيتها، ولهفة للاقتراب واحتواءها، وغضب من تجاهلها له الفترة الأخيرة، وخذلان طعنه بقلبه لإحساسه لرفضها لحبه حين أوشك على البوح به، تملكه شعوره الأخير فقال بمرارة ولوم: هل أعجبك الأمر فاحترفت التسلل للحفلات بلا دعوة، أم أن هناك ما يهددك فتذكرتني؟
قالت بندم واعتذار: لا تقلق ليس لدث أي مشاكل، بل وضعي قد تحسن كثيرا بعملي، فاستدعاء السيد حاتم لي بمكتبه جعل الجميع

يحترمني خوفا من أن أكون على علاقة به ولا يعلم أي منهم أنه إنما استدعاني ليوبخني.

قال بغضب: ولم يوبخك، أهذا شكره لك لكشف الفساد بشركته، لا تجعلي أحد يمس كرامتك لأي سبب، حتى لو اضطررت لترك العمل، ولا تقلقي فعلاقتي جيدة بجميع العاملين بالفندق ويمكنني أن أجد لك عملا بقسم المحاسبة هناك.

شعرت بالسعادة لاهتمامه بأمرها وثورته من أجل كرامتها، كما شعرت بالندم لعدم تقديره حق قدره منذ البداية، واقتناعها بمعايير فاسدة لتقييم البشر..كادت أن تضييع عليها هذا المثال الحي للرجولة.

رانيا بابتسامة: لا تقلق، فقد سافر هو وولديه بعدها بلحظات ولن يعودا قبل عام على الأقل.

أحمد بفضول: إذا لم شرفتني بالحضور؟

رانيا: كما قلت لقد أعجبني التسلل بلا دعوة، ليس للحفلات ولكن لقلب أحدهم، كان يعتقد أن ظروفه لا تسمح له برفاهية كالحب حتى اقتحمت حياته بلا دعوة، ففتح لي قلبه أبوابه على مصراعيه، ودعاني أن أدخل إليه زوجة وحبيبة.
أحمد بألم: ولكن سبق وأن رفضتي دعوته.
رانيا بخجل واعتذار: كنت مخطئة، كان لدي أفكاري الخاصة التي صدمتني بعرضك، ولكنني الأن على يقين أن قلبي قد قبل دعوته قبل أن أجيب أنا، وأتمنى أن يكون قد شعر بهذا، ولا يكون قد سحب دعوته.

أحمد بحب: القلب المخلص يقدم دعوته مرة واحدة، ولا يسحبها أبدا -بابتسامة- إذا اتبعيني سيدتي فأنا لا أنوي أن أفقد وظيفتي وأنا أخطط لبناء حياة جديدة.

تبعته رانيا بابتسامة ليقابلا سالم الذي ابتسم لصديقه بحب وهو يهمس له: أنت مدين لي بأن يكون أول أبناءكم أسمه سالم، فبخطئي الأول تعارفتما، وبخطتي الأن تصافيتما.

أحمد بدهشة: خطتك! كيف؟

سالم بابتسامة: جاءت اليوم للفندق للبحث عنك وأنا من طلبت منها أن تأتي هنا، فللذكرى حنين يلين قلبك العنيد.

أحمد وهو يلكزه بسعادة: اتضح أنك خبير بأسرار القلوب يا صديقي.

سالم بحب: عد أنت الأن لعملك، حتى لا تطرد منه بدلا أن تطرد من حياة العزوبية، وأنا سأخبر والدي أن يوصلها حتى بيتها.

أحمد بود: شكرا لك سالم -نظر لها بحب- اذهبي أنت الأن مع العم سيد، وسأنتظر الغد بشوق لمقابلة والدك.

رانيا بخجل: إلى الغد.

أحمد بسعادة وحب: إلى الغد يا غدي.

تمت بحمد الله

جنون الليل

ريم السيد

الموتُ شيء بسـيط رغم فداحته والالآم الناتجة عنه، ولكنه يُحول الأشياء العادية لأشياءٍ ذات قيمة ومكانة في النفس.

أتذكر الموتَ جيدًا، ـإنه يمتلك رائحة نفاذة ويزحف كـالصَّبا، حتى الحركة تنتج عنه، كل شيء يتغير بـمجرد حضوره، فـبرغم شدّته إلا أنه يطغي على الجميع، الموت آتٍ لا محاله!

أناسٌ يدخلون ويخرجون، والعالم أصـبح مُعتم في وجوه الجميع، فـالفقيد قريب من قلب الجميع، والطيبة من سماته الحسنة، الكل حزين لـفراقه ومُشـفقين على أقاربه الجامدون في أماكنهم من أثر الصـدمة والعذر معهم، فـالصـدمة ألجمت الجميع وأولهم هؤلاء الذين يصـطفون واحدًا تلو الآخر بـتتابع، يتقبلون كلمات الآخرين بإيماءة بسـيطة من رأسـهم، والصـمت يُخيم عليهم منذ ليلة الأمس وبالتحديد منذ علّمهم عن الحدث.

_لقد مات بسكتة قلبية.

والجملة الصادرة من الجالس بجواري قطعت تسلسل أفكاري، هذا هو سـبب الوفاة! فجأة وبدون سـابق إنذار آتاه الموت على صـورة سكته قلبيه عنيفة أودّت بـحياته فورًا، والخبر انتشر كـالنار على العلم في ذات الليلة، ولم تتـوقف الناس عن التحرك منذ ذلك الحين.

_كيف علمت يا سعد؟!

والسؤال آتى من الشخص ذاته بفضول يرتسم على ملامحه، لأجِيبُه بشيء من البرود:

_ وهل يُخفي شيء في هذه القرية!

كانت إجابة أكثر منها سؤالٍ، ولكن الرجل لم يكتفِ بهذا القدر فقط فتابع بفضول يأكله والحزن بنبرات صوته واضحة:

_ولكن كيف مات هكذا بسهولة، فلقد كان معنا قبل الأمس، إنني حتى الآن لا أصدق هذا..!

_قلتُ ببساطة أجيدها في مثل تلك المواقف:

_ الموت لا يستأذن قبل أن يطرق على الباب، ولكنه يخطف ما يشاءُ وقتما يشاءُ.

أومأ الرجل موافقًا إياي شاردًا بهمومه الخاصة مُردفًا ببعض التعب:

_ وحتى ذلك اليوم فليعمل المرء لآخرته.

أومأتُ مؤيدًا إياه، فكيف يأمن المرء للموت فهو يأتي بأوقات لا تتوقعها آخذًا إياك ليوم لا ريب فيه..

_ قُتِل.. قُتِل!

ولم يكن الجالس بجواره هو المُتحدث؛ فهذه المرة كان " توكل " صاحب العقل الخفيف كما يُطلق عليه، توكل ذاك الرجل الذي أصابه الجنون منذ مُدّه لا بأس بها حتى يُوعى الصغار على حقيقة جنونه، موت ابنه في ظروفٍ غامضه أودّت بآخر ذرات عقله، لذلك فهو الوحيد الذي يُثير تساؤلاتُ عديده بداخلي، أفعالٌ كثيرة يقوم بها ولا تمُت للجنون بصله، هل هذا هو أصل الجنون؟!

آخر ما قام بـــفعله هو استمراره في قوله " قُتِل " كـــأنها أصبحت قضيته الآتية في هذا العالم ويجب أن يُصدقه الآخرون!

وكأن الناس ستصدقه!

ويبدو أن " توكل " له حواس أخرى بعيده عنا، كـــــأن الله أخذ من عقله لــيزيده في شيء آخر، إن قسمة الله عادله بدون شك، ولــكن ماذا يقصد " توكل " بكلمته _ الوحيدة _ تلك؟!

حين أرى " توكل " أتذكر جيدًا قول آينشــتاين حين أبدع في قوله: " الفرق بين العبقريّة والجنون بســيط جدًا، وهو أن العبقري يعرف جيدًا الحدّ الّذي يقف عنده قبل وقوعه في الجنون، الجنون إذًا عبقرية متطرفة! العباقرة أشخاص مارسوا الجنون فعلًا، ولـــكنهم ملكوا حكمة التوقف قبل الوقوع بالجنون ".

لــذلك يجب تقدير الجنون والواقع به، الحكمة ليست في المجنون أو العاقل، بل الحكمة في الإبداع والتفَنن في الأشــياء العادية البســيطة، الحياة عادية ومبدعة في نفس الوقت، ولكن تختلف بــالنسبة للــشخص الماثل أمامها، وأكثر ما يُميز الجنون بــأنه يُفنن الحياة فــيجعل لــها مذاقا أكثر مُتعة، والمجنون إنه أعظم شخص يرمي الحياة وراء ظهره غير عابئ بها. إذًا الجنون فنون كما يقولون!

قمت من مجلسيــ تاركًا خلفي ذلك الفضــولي، اتجهتُ ناحية المُصطفين مُعزيًا إياهم بكلماتٍ موجزة:

_ البقاء والدوام لله وحده.

ليردّ إحداهم مُجيبًا بحزن مختلط بهمٍ ثقيل:

_ ونعمَ بالله.

صافحتُ آخرهم مُودعًا المكان، مُلقيا آخر نظراتي عليه وعلى أفعاله التي توحي بـجنونه المؤكد الذي لم يُوقفه لـفعل الواجب _ يُعزي أحد جيرانه _ تركتُ نظري للـبعيد مُخلفًا وراء كل شخص بـعقله، وجنونه وأفكاره، ومبادئ، وهمومه، تركت العالم يشـهد إحدى نظامه المُسلّم بها... الوجود يعني الفناء.

****

أيامُ تجري بـسرعة قصوى والعالم هو العالم ليس به جديد، الرؤية من النافذة لم تكن جديدة "العم مُحسـن " صـاحب محل الحلوى والأطفال حوله مُنتظرين نصـيبهم هذا اليوم من هدايا الحلوى، والأم تمسك يدّ الفتاه تُواعيها لـعبور الطريق ومواصلة أمور حياتها مُشبه الحياة بـطريقٍ يجب أن تسلكه، وغيره من الأشياء التقليدية المـارة في صـباحي كل يومٍ.. ولكن الجـديـد اليوم نظرة "توكل" المُسـلطة على بـاب منزلي، ولكن لمَ يجلس هنـا؟! ليس مكانـه وليست عادته ولمَ تلك النظرة؟! لم اشعر بـنفسي. سوى ورجلاي تتـوقفان على عُتبة منزلي الخارجية لأبادل نظراته الجامدة بـنظرات مُتعجبة، قد يظنني البعض مجنونا لاستفساري عن سبب جلوسه هـكذا أو ما الذي سأستفيده من استفساري عن تلك النظرات؟! شبع فضولي.. إعجابي به.. نظراته الغامضة.. أم كل هذا؟!

تحركتُ مقتربًا مِنه وكل خطوة تُرسـخ كلمات نجيب محفوظ حينما قال شـارحًا الجنون في جملته " إن الجنون وحده هو الذي يتسـع للإيمان والكفر، للـمجد والخزي، للـحب والخداع، للـصدق

والكذب، أما العقل فكيف يحتمل هذه الحياة الغريبة؟ كيف يشيم ألق النجوم وهو مغروس حتى قمة رأسه في الوحل؟"

وقفتُ أمامه كلانا مُسـلط أنظاره في بؤبؤ عين الآخر، لم أفهم أبدًا " توكل" وعلى ما أظن أنني لن أفَهمه ما حُييت، ولعل وعسى- هذا سرّ انجذابي له، لعله الاختلاف.

نظراتـه ثـاقبـه رغم غرابـة الموقف وبلاهـة مقلتيـه، ولكن لا بـأس بـبعض الجنون لـصباح هذا اليوم الروتيني، لم أصمت أكثر حيث هاتفت بتلقائية غريبة على عهدي:

_صباح الخير توكل، أليس هذا الصباح مُشرقا؟!

جلستُ بـجواره غير عابئ بالمكان أو الهيئة المزرية التي كان عليها " توكل "، ولكني نظرتُ لـلأمام -بالضبط - على نافذتي التي كنت أطل منها منذ وقتٍ والتي كان " توكل " ينظر لها كذلك، وكأنه أجاب على سؤالي وألقيتُ السؤال التالي ولم أوجه نظراتي له:

_لمَ أنت هنا؟!

لم يَجب، ولم أتوقع أجابه كـذلك، فـ " توكل " يذهب أينما يريد ويغادر مثلما يريد، ويظهر من حيث لا نـتوقع! تركتُ لسـان حالي يُعبر بـانطلاقة وشرودي يأتي سريعًا مُحتفظ بـذكريات عديدة، وكلماتي غير مفهومه - على ما أظن - بالنسبة له:

_ أتعرف يا توكل إني أحسِـدك؟ نَعمْ أحسـد تفكيرك وعقلك هذا، أحسد عدم اهتمامك بـالحياة وما حولها وما تتضَمنه، أحسدك على

تفكيرك الفارغ ونظراتك البلهاء، أحسدك كل على ما أعتقد ولا أحسد شيئا معينا بالتحديد.

سكتُ للحظة وتابعتُ بانتشاء قائلًا:
_ كثيرًا تمنيتُ الجنون ولو للحظه فقط، تمنيتُ التميز بالغرابة، رأيتُ كل أفعالك رمزًا للغرابة والتميز أقرب للجنون، فأيقنتُ بأنك سلكتَ الطريق الذي تمنيته طويلً ...
لا أعلم لمَ صمتُ! ولمَ تحدثتُ من الأساس! كل ما أيقنته وقتذاك هو وقوفي الغير مُبرر بالمرة، واستعدادي التام للمغادرة وإيقاف قنبلة الجنان التي سيطرت عليَّ _ وهذا ما يُميز العاقل بالتحديد _، نظرات " توكل " لي الجامدة ولم ينحَ ببصره سوى عندما نظر للسماء بجمود وهدوء، بنظراته يُتابع سير السحاب الهادئ كذلك وجدته يتحدث بكلمات غير مفهومه قائلًا:
_ السماء.. الظلام الآخذ.. الليل..

عرفتُ بأنني لن أخذ منه أي شيء فاستعدتُ للمغادرة وتركه وراء ظهري، ولكن كلماته التي أصبحت واضحة أوقفتني عن التقدم، ألتفتُ له بعينين غائرتين والتشوش كان صاحبي، والعرق بدأ بالتجمع على جبيني العريض، وحروفه جعلت خيالي يعمل مُكونًا صورة واضحة لمعاني كلماته الصادرة من شفاهه المُتشققة:

_" السماء صافيه.. والليل ظالم بشده.. القمر مُكتمل كقرص ساطع مُستدير.. والرياح هادئة، الظلامُ يقترب أكثر فأكثر ومعالمه بدأت بالوضوح والتكون، أشجار كثيفه تعمل كستارٍ مخفي، الظلام هناك لم يهدئ حتى اقترب من تلك النافذة الموارية في تلك الساعة

من كل ليله _ كـــتلك _ ظل واقفًا أمامه مؤهلًا لـــفعل ما يحلو له، وقت بســـيط أعلن الظلام انتصـــاره، وهذا الذي خسرـــ وقع على كرسيه مُستسلم للقاتل أمامه، وفاز هذا ومات ذاك"

سلط أنظاره عليَّ في آخر كلماته، وتابع بـــجمود ولكن انتصار أحرفه خلقت حبلًا سميكا لفّ حول عنقي:

_وانت ما زلت هنا وهو سكُنَ في التراب!

جُحظت عيناي ولكن لمَ؟!

لمَ! بعد كل هذا ولمَ! من هو المُختل؟! من هو المجنون هنا؟

نظرتُ له بـــثبات لا أعلم من أين! وحروفي تابعت جلوسي في نفس المكان بـــجوار " توكل " الذي ظل يتابعني بـــنظراته تلك، همستُ بهدوء:

_ ماذا تقصد بهذا الكلام يا توكل؟!

وكـــــأن الجنون تركه وأصـبح كل العقل في هذا الشـخص الجالس بـجانبي، أردّف بـنفس النبرة ولولا إني أعرفه لـقولت أن نبرته تحمل الكثير والكثير من المكر:

_ الكلام ليس كلامي، ولكن كلام الليل!

فقدتُ صوابي عندما خرجت حروفه تلك مع تكون صورة لـــكوب القهوة مَغموس بـــأقراص عديدة من " الفياجرا " المُميتة، والنهاية معروفه.

وقفتُ بصدمه، ونظرتُ له بقليل من الخوف، ولكن الثبات النفسي عاد بعد فتره من الصمت، وقفتُ أمامه مُشرفًا عليه من علوي هذا، وسؤالي أتى من عمق أنفاسي:

_ ماذا تريد؟!

والإجابة جاءت أبسط مما يكون:
_ العدل!
وكأن الكلمة بسيطة لكي تتحقق، ولكن ابتسامتي جاءت مُنتصرة وأنا على يقين بـما أقوله، وكـأنها الحقيقة الوحيدة هنا، فـهمستُ مُردفًا بتشفي:
_ ومن سيصدق مجنون؟!!
تمت بحمد الله

كوب شاي

شيماء الجريدي

ما أقسى ـ أن يجبر الإنسـان على وأد أحلامه بنفسـه كيف يمكنه أن يقتل أمنياته وأحلامه بيديه فقط إرضـاء للأخرين، كم من أحلام مضـينا عمرا كاملا في محاولة تحقيقها ويأتي القدر ليحرمنا منها دون شـفقة أو رحمة، كيف يمكن أن نحلم بالعيش مع أحدهم لنسـتفيق في الصـباح ونجد أننا أصـبحنا مع شـخص أخر بل والأسـوأ أننا مجبرون على العيش معه، بل وأن نمضي ـ عمرنا نتظاهر بالحب والامتنان لتلك العلاقة المزيفة، كانت تلك الأفكار تتخبط داخل عقل هيام.

امرأة في منتصـف العقد الرابع من عمرها، مازالت تحمل بعضـا من ملامحها الجميلة حيث طمس الحزن أغلبها، جسـدا ممشـوقا لم تتمكن منه يد الزمن بعد. وقفت في مطبخ منزلها تعد كوبا من الشاي لزوجها وقد تصارعت الذكريات المؤلمة على تجديد جراحها التي رغم كل تلك الأعوام لم تندمل ولم تكف عن الآنين بداخلها، فهي من وجهة نظر الجميع تعيش حياة مثالية، فلديها زوجا ناجحا يعمل بوظيفة مرموقة يوفر لها كل احتياجاتها من ملابس وحلى ويوفر لها حياة رغدة مرفهة، حيث تقيم في منزل فخم مجهز على أحدث طراز، و لديها ثلاث أبناء متفوقون وعلى قدر عال من التهذيب والتميز، ربما هم مخطئون في الجزء الخاص بزوجها وحياتها المرفهة فهي كلها أشـياء مادية يمكن الاسـتغناء عنها، لم تشـعرها يوما بالسـعادة، كانت تود أن تتنازل عن هذا كله في مقابل استعادة حبها الموؤد.

هشـام مازالت تتذكر ملامحه الوسـيمة جسـده المتناسـق فارع الطول، كم كانت تبدو ضئيلة ومضحكة بالمقارنة به، كم تشتاق إلى

لمسة يده، أصابعه القوية وهي تحتضن كفها الرقيق، ابتسامته الساحرة، أحاديثه الشيقة، كم كان مثقفا ومتحدثا لبقا، لم تكن تمل منه أبدا بل كانت تتمنى أن تقضي معه كل ما تبقى من سنوات عمرها، كم حلما معا بمنزل صغير بسيط يجمعهما كيف سيبدو أطفالهما ماذا ستكون أسمائهم، أين سيقضون عطلتهم، لم يتركوا شيئا لم يفكرا به، خططا لكل شيء ماعدا شيئا واحدا، موقف والديها. زفرة حارة كادت أن تحرق صدرها وهى تتذكر كيف انتهى كل شيء، صور سريعة من ذكريات مؤلمة تومض أمام عينيها، فها هو هشام قد حضر إلى منزلها طالبا يدها للزواج، رفض والدها الغير مبرر، توسلاتها إلى والدتها أن تحاول التأثير على والدها حتى يعدل عن قراره الظالم بكائها، حزنها، سهرها ليال طويلة وهى تفكر في حبها الضائع.

قراره المفاجئ بالهروب والسفر خارج البلاد بعدما يأس من تغير موقف والدها تركها وحيدة، كم تمنت لو كان لديها الشجاعة الكافية حتى تستمع إليه وتهرب معه كما طلب منها، كم آلمها اتهامه لها بأنها تخلت عن حبهما. شهور طويلة مضت على فراقه لم تدع طريقا يمكن أن يوصلها إليه إلا وسلكته بحثا عنه، انحدرت دمعة ساخنة على وجنتها وهى تتذكر يوم تقدم زوجها لخطبتها، كم تألمت وهى ترى نفسها تزف إلى رجل أخر، كم تمنت لو كانت تملك قرارها لكانت حرمت جسدها على أي رجل سواه، تذكرت نحيبها وتوسلاتها لهم لكى لا تتزوج من هذا الغريب، هي لا تعرف عنه شيئا سوى أنه يعمل مهندسا بإحدى الشركات ولديه مستقبل باهر وهو الزوج المناسب لها، انصاعت لقرارهم الظالم كعادتها، تنهدت من

جديد وعادت إليها ومضـات ذكرياتها أمام عينيها تمضى ـ مسرـعة لتجد نفسـها أصـبحت سـجينة وليسـت زوجة لرجل قاس ذو طباع نرجسـية عنيفة، فقد كان يتلذذ بالحط من شـأنها كلما واتته الفرصة لم تكن مكانتها ترقى إلى أكثر من خادمة لديه، أخذت ذكريات ضربه لها وتطاوله وصراخه عليها تعدو سريعا أمام عينيها، تذكرت ميلاد أول طفل لها وكأن القدر يحاول أن يعوضـــها بهذا الكائن الجميل وتوالت هدايا القدر للتخفيف عنها فأنجبت طفلها الثاني ثم الثالث وقررت أن تسـتسـلم كما اسـتسـلمن آلاف النسـاء قبلها من مجتمعنا الظـالم، قررت أن تعيش في هـذا الهوان فقط لتكون قريبـة من أطفـالها الـذين جعلهم الله بـارين بها ليعوضـــوها عن كل الحب والاهتمام التي لطالما افتقدته بعد خروج هشـــام من حياتها، يا الله كم افتقدته لا تصـدق أنها مازالت ترتعش عندما تذكر اسـمه تماما كما كان يحدث لها ســابقا فهي مازالت تعشــقه، تذكرت تلك المرة عندما تقابلت مع تلك الصـديقة القديمة صـدفة وأخبرتها بعودته إلى أرض الوطن منذ عدة أشـــهر، لا تدرى لما شـــعرت بســـعادة تغمرها، فقد أصـــبح هناك أمل الأن بعد عشرـــون عاما كاملة من الفراق والألم أن تراه مرة أخرى، طوال طريق عودتها إلى منزلها كانت تتلفت حولها علها تقابل وجهه الوســـيم بين الوجوه، ترى كيف صارت ملامحه الأن؟ هل تبدلت أم زاد وسامة؟ كم افتقدت صوته لمسـة يديه ابتسـامته، لا تدرى من أين أتتها الشـجاعة لتجد نفسـها أمام منزله، ظلت واقفة هناك على مقربة منه لم تنفعها شـــجاعتها بأكثر من ذلك، لتعود من جديد لانتظار الفرصـة وقفت طويلا حتى كادت تفقد الأمل وبينما كانت تسـتعد للمغادرة لفت نظرها سـيارة

فارهة أتت لتصـطف أما المنزل ليهبط منها رجل وسـيم ذو ملامح حادة يغزو الشـيب فوديه فزاده هيبة ووقار وامرأة فاتنة الجمال رغم تقدمها في العمر و طفل رائع اسـتولى على ملامح أبيه كاملة وفتاة جميلة امتزجت ملامحها بين أبيها وأمها، شـعرت بغصـة في حلقها ومادت الأرض تحت قدميها وقررت الرحيل فلا فائدة الأن من الانتظار كيف نسـيت أنه قد مر وقتا طويلا ولابد أنه قد أصـبح لديه أسرة هو أيضـا، تذكرت أيضـا أنها عادت الي منزلها ذلك اليوم لتجد طفلها الصـغير يركض إليها ويرتمي بأحضـانها وهو يزف إليها خبر نجاحه في المدرسـة وكأن الله أراد أن يخبرها أن أبنائها أهم من تلك الأفكار المراهقة التي تجول برأسـها، نسـيت هشـام وأسرته المثالية وتذكرت فقط أبنائها، نسـيت نفسـها كامرأة كما تعودت أن تفعل منذ أن أنجبت أول أطفالها وتذكرت فقط أنها أم لا يوجد في الحياة أجمل ولا أعذب من كلمة أمي ففيها كل الحب والتعويض عن كل ما خسرته من سنوات عمر ضائعة في زيجة فاشلة وزوج قاس، نسيت حتى أنها كانت تعد كوبا من الشاي لزوجها ولم تنتبه إلا على صوته الهادر والذي أفزعها وهو يصرخ بها مرددا أنها زوجة فاشلة لا تصـلح لشيء فقد تأخر عن عمله وهي حتى لم تعد له كوبا من الشـاي كما تعود أن يفعل كل يوم، تجمدت مكانها في المطبخ من الخوف وهي تسـمعه من الخارج يهددها ويتوعدها بعقاب شـديد على إهمالها وتقاعسها عن أداء واجبها كزوجة لرجل مثله، انتفضت مذعورة عندما صـفق باب المنزل خلفه بقوة وهو مغادر، عادت دموعها تسيل من جديد وهي تتحسر علي حالها ولكن كان هناك من يكفكف دمعها دون أن تنتبه، فقد التف أبنائها الثلاثة حولها

وأخبرها الأكبر أنه لن يســـمح لوالده أن يؤذيها بعد اليوم، فجأة شعرت بأنها أوفر النساء حظا على الأرض وأنها لديها بدلا من حبيب ضائع ثلاث أحباء، نظرت إليهم وابتسامة فخر ورضا تعلو شفتيها واقترحت أن تعد لهم كوبا من الشاي وبعض الشطائر اللذيذة .

تمت بحمد الله

حلم قتله الانتقام

مجد محمود

تصـــفيقات عـالية، صـــفير أعلى، زهور جميلة تتناثر هناك على المسرـح، والأجمل منها تلك الزهرات التي تقفز فوقه سـعيدة بإنهاء تلك الرقصـــة العظيمة، وبين الهتاف وابتســـامات الجماهير لتلك الزهرات راقصـــات الباليه للمحترفات، كانت هي تجلس في المقاعد الأمامية ألمخصصة لطبقات المجتمع المرموقة، لكنها تجلس رغما عنها لأنه ببســـاطة ليس مكانها، فمكانها بين تلك الراقصـــات تطير معهن كنســـمة عليلة، وتقفز بينهن كفراشـــة بين الورود الفاتنة الجميلة، لكن ها هي ترثي حلمها، فغيرها يحقق ما كانت تتمنى هي تحقيقه، ويفعل ما كانت تتمنى فعله هي، انســـابت عبراتها في مرارة وألم وهي تقف في عجز متكأة على عصاها، تنظر إلى ساقها المبتورة في حسرـة وضـعف شـديدين لترفع بصرـها بعد ذلك لحبيبها الذي يجاري الراقصات روعة برقصه أيضاً، يا للأسف!! كان من المفروض لو أنها استطاعت المشاركة في تلك المسابقة حتى تستطيع الرقص في هذه الحفلة الضخمة، هذه الحفلة ألتي لا شك في أن حلمها كان سيتحقق على مسرحها بحيث تصبح راقصة باليه مشهورة، شهقت في ألم قاتل لأنها لا تســـتطيع متابعة المشـــاهدة، فلا يمكنها تحمل رؤية خطوات رفيقاتها الرشيقة وأجسادهن المرنة على المسرـح مع حبيبها الذي يجاريهن في الرقص كأنه سرب من حمامات فاتنات ناصـعات البياض، وضـعت كفها الصـغير على ثغرها تخنق صرخة عالية تختبئ في صدرها واتجهت تعرج بألم يفتت روحها إلى الخارج فقد قررت انتظار ذلك النسرـ الذي كان يبدوا مستمتعا جدا بالعرض خلف المسرـح في الحجرة الخلفية، دلفت للداخل ورمت بثقل جسـمها الذي لا يجاري ثقل الألم في قلبها، وأطلقت في اسـتسـلام

شـهقاتها علها تخفف عنها مرارة الحسرة والخذلان اللذان جعلا من هذا اليوم مأتما لحلمها بدلاً من أن يكون عرسا لنيل أمنيتها.

لم تبك كثيراً عندما بترت ساقها، بل أصيبت بحالة هستيرية موجعة لم تكد تخرج منها، ومع ذلك لم تفكر بأنها عندما تشـــاهد هذا العرض ســـيخلف ذلك هذا الكم الهائل من الوجع، لم تتخيل أنها عندما ستشاهد رفيقاتها يرقصن ستشعر أنهن يرقصن على ساحتها وحلمها وأمانيها و آمالها، تحطم حلمها اليوم وانهارت أكثر حين تـذكرت كيف كانـت ترقص منـذ مـدة وجيزة، خطواتها متناغمـة، تتحرك بمرونة ورشـاقة تحت المطر وفي أوقات السـحر، مع نسـائم الفجر وأثناء ساعات السهر، كانت ترقص في كل وقت وحين لا تكف عن التدريب والاجتهاد، كلما سـنحت لها الفرصـة تجدها في نشـاط تنتعل "الباليرنا" خاصتها لتقف على أطراف أصابعها وتبدأ بالتحرك بخفة هنا وهنا كريشـــة طائر يداعبها الهواء، فيحس الناظر لها بأنها تطير في عالمها بين أحلامها وتلامس البدر بآمالها، لكن!! ها هي الآن قابعة في واقع مرير، بحلم ضائع مبتور كساقها.

تذكرت الحادث قبل أســـبوعين أو أقل عندما حدث ذلك الحادث الشـنيع الذي أدى بها إلى هذه الحالة، كانت يومها تسـتعد للذهاب لتجربة الأداء الأخيرة التي لو نجحت فيها لكانت ترقص الآن على هذا المسرج مع حبيبها ورفيقاتها. كانت آنذاك قد وضعت أغراضها في حقيبتها واتجهت إلى الخارج مسرعة وهي تتصـل بحبيبها الذي تأخر عنها، هتفت بقلق عندما فتح الخط:

_رواد.. أين أنت!!؟

أتاها صوته الهادئ وهو يقول:

_في الأسفل.. لقد وصلت للتو.

خرجت حينها متجهة نحوه، الفرحة تغمرها وشعراتها بندقية اللون تتطاير مع نسمات الهواء العليلة، عانقته في حب وهو يقف بجوار سيارته، بادلها العناق وسمع صوتها الرقيق يتسلل إليه وهي تقول بتوتر:

_اليوم هو يوم تجربة الأداء الأخيرة، لقد تعبت كثيراً وأنا أتدرب، هل سأنجح يا ترى؟

ابتسم لها وهو يحيط وجهها بكفيه ويقول:

_همس... أنت تعبت كثيرا كما قلت، وما جزاء التعب إلا النجاح في نهاية المطاف، ستنجين حبيبتي ثقي بنفسك.

أخذت نفسا عميقا وتمتمت:

_سأنجح أجل.

كان هو يراقبها بهدوء، نفس الكلمات؛ نفس الحركات المتوترة، ملامح القلق نفسها، أخته "سناء" أجل.. كانت على نفس هذه الحالة أيضا آنذاك، هي أيضا كانت تريد حضور هذه المسابقة والحصول على هذه الفرصة، لكنها رحلت مبكراً قبل تحقيق الحلم، وبقيت هذه الفتاة تفكر في النجاح بعدها وتتدرب..

_اليوم ذكرى وفاة سناء، لقد كان حلمها الرقص على ذلك المسرح أيضا.

قال بهدوء وهي تنظر له بحزن عميق ثم أجابت بصوت خافت:

_أجل، لكن لا تحزن يا عزيزي ربما هي أسعد الآن.

_هل ستكونين سعيدة إذا مت ولم تحققي حلمك؟

أومأت في حزن وقد تتذكر صديقتها "سناء" تحاول في صعوبة إخفاء ألمها عن رواد فما يعانيه يكفيه وأكثر، اتجهت للسيارة لتسمع صوته الأجش وهو يقول من خلفها:

-همس.. لا أستطيع إيصالك والدتي مريضة سأذهب إليها الآن وأنت خذي سيارتي وسأتبعك بعد قليل.

أجابت مستفسرة:

-هل والدتك بخير!! أقدر لك هذا لكنني لن أذهب قبل الاطمئنان عليها.

-اذهبي يا همس، ستكون بخير هيا أسرعي.

نظرت لنظرته المشجعة التي تطل من عينيه واتجهت نحو السيارة لتذهب بمفردها على أمل أن يلحق بها، لكنها لم تعلم حينها أنه سيلحقها للمستشفى وليس إلى المسرح والمسابقة؟ لقد بترت ساقها في حادث شنيع أثناء سيرها بسرعة بتلك السيارة كما تعطلت فراملها ولم يرحمها الحادث بل أدى إلى بتر ساقها وحلمها، حرمها من الالتفاف فوق ذلك المسرح والدوران بخفة والرقص في باحات المنازل وعلى الأرصفة وفوق المسارح.

عادت للواقع وأنقذها الصراخ في الخارج من هذه الذكريات القاسية، أخذت نفسا عميقا واستندت على عكازها ثم افلتته قليلا وهي

تحاول الالتفاف والطيران في الهواء كما كانت تفعل ســـابقاً لكنها لم تلبث أن فقدت توازنها لتســـقط على الأرض كما ســـقط أملها في الرقص مجدداً أيضـا، شـهقت بقوة وتعالى صـوت أنينها ليدوي تلك الغرفة.

_همس.. ماذا يحدث؟
رفعـت عينـاهـا المغرورقتين بـالـدموع لتنظر لرواد الـذي أدرك أنهـا هناك بلا شك:
_لا أســتطيع الرقص، رواد كان يجب أن أرقص معك اليوم، كان هذا هو حلمي.
اقترب منها وهوى يلاحظ حجم الألم والوجع في كلامها وقال هامساً وهو يجثو على ركبتيه بجوارها:
_سـناء أيضـا كان يجب أن ترقص معي ذاك اليوم، كان حلمها كما هو حلمك.
نظرت باستغراب لوجهه وقالت:
_ما الذي ذكرك بها الآن يا رواد؟
رد بتهكم:
_هي خسرت حلمها لأنها ماتت، وأنت فقدته لإنكِ فقدت سـاقك، هكذا تعادلتما.
جحظت عيناها وصرخت:
_ما الذي تهذي به!!!!!!
_لا شيء... أنت قتلتها وأنا قتلت حلمك، لقد تعادلنا.
_يا إلهي... أيعقل أنك افتعلت الحادث!؟؟ أنا لم أقتلها، لقد كان حادثا، هل.. هل فعلت بي هذا حقا يا رواد!! ألا تحبني؟

_لقد خسرت نفسي وقتما خسرت شقيقتي، فكيف تريدين مني أن أحبك!! وها قد انتقمت وجعلتك تخسرين حلمك.

لم تصدق ما سمعت أذناها، بكت بحرقة وهي تقترب منه زاحفة وتهتف بغل يمتزج بألم:

_كيف فعلت بي هذا، أكرهك يا رواد أكرهك، أنت لا تعلم كم كنت أحب شقيقتك، لقد كانت أعز صديقاتي.

_كاذبة، لو كنت تحبينها لما أكملت مسيرتك دون أن يرف لك جفن، ومع من!!! معي، مع شقيقها الذي يجاريك في الرقص.

صرخت مقهورة وهي تقول:

_لقد وعدتها، وعدتها بعد أن طلبت مني أن أكمل حلمها، وعدتها أن أحقق ذلك من أجلها، وهذا ما جعلني أتعب كل تلك المدة بذاك الشكل، كل ذلك كان من أجلها لا من أجل نفسي، لقد حزنت اليوم لأجلها أكثر من حزني على نفسي، أنت، أنت لن تفهم صداقتنا أبداً أبدا.

صدم رواد من كلام همس، لم يكن يتخيل أنها تعبت كل تلك المدة من أجل تحقيق حلمها وحلم شقيقته، لم يكن يتخيل بأن هذه الفتاة الهزيلة الجسد العظيمة الروح تحمل على عاتقها حلم شخصين في نفس الوقت، لقد دبر بمكر لذلك الحادث الذي أفقدها قدمها، نظر لها ولشهقاتها القوية وهي تتمتم:

_لقد قتلتني وقتلت حلمي وقتلت حلم أختك للمرة الثانية أيضا، لقد وثقت بك لأنني كنت أثق بأختك...

قاطعها وصوته الوجل يرتعش بين شفتيه:

_همس..

_أخرج، أخرج لا أريد رؤيتك من جديد وإلى الأبد، أنت لا تســـتحق حتى أن أهدر دموعي لأجلك، أنت لا تســـتحق الحياة، أنت مجرم.. أتسمعني!! مجرم.

لم يعلم ما كان شـــعوره آنذاك، لكنه أدرك خطأه الفادح متأخراً، تراجع للخلف ونهض بسرـــعة ليعود على عقبيه مذلولاً وعلامات الندم تأكل ملامحه في شراهة، صرخ بأعلى صوته بألم وهو يفر هارباً خارج المسرـــح الكبير؛ خارج كل شيء؛ خسرـــ حبيبته التي لم يعلم بمدى حبه لها، من رغبته البشعة في الانتقام، ولم يعلم أنه أخطأ في حقها وحق ســناء ونفســه، وكان يظن أنها لم تبالي بموت شــقيقته، كل هذا أعماه وها هو الآن خسرـها، وخسرـ حبها، بعد أن أخسرـها حلمها مع شـــقيقته، ولن ينفع الندم، وقد أدرك أن الانتقام أعمى بصيرته، وخسر كل شيء.

أما هي فبقيت تبكي بحرقة لتنهض بعدها متكأة على عكازتها وهي تمسح عبراتها، وتمسح خيبتها المريرة، وقد ضاع حلمها وخاب أملها وتهدم حبها بسبب انتقام غادر.

قتلة ولكن

مما صبري

جلس(جاك ويلي) Jack Willy يتكئ وعلي غير عادته يتصفح الجرائد ينفث سيجارته بشراهة وحِدة بالغة، كان حاد الطباع متميز بحبه وولهه للتدخين وكذلك تلذذه بالقهوة الأمريكية التي كان وحده علي حد كلامه من يتقنها حسب مزاجه، وكذلك هناك من يفوقه اتقانا لها وهو(مارك سيدوفيلي) Mark Sidofile كان الأخير أعز أصدقاءه والمتردد الوحيد علي منزله القاطن في ضواحي تكساس، كان مارك شابا وسيما ذو عينان زرقاوان، هادئ الطباع كتوم إلى حد ما، يبلغ من العمر إحدى وعشرون عاما فيما يكبره جاك بسبع سنوات، كان تعاملهما غامضا بشكل كبير، يتسللون ليلا إلى اماكن فارهة ولا أحد يعلم لماذا؟ وما سبب تواجدهم هناك خصيصا في عتمة الليل.

اختفي (مارك سيدوفيلي) في ظروف غامضة والغريب أن صديقه الأوحد لم يبدو عليه أدنى علامات الأسى، وما يدعو للدهشة أن جاك لم يحضر عزاء الأخير والأشد غرابة لم يقيم أهل مارك أي عزاء، ولم يعلم أحد هل مارك سافر أو انتقل إلى ولاية أخرى؟ أم أنه لقي حتفه... ولكن كيف ومتي وهو في مقتبل العمر هل مرض؟ لا أحد يعلم ولم يشيع أهله أي خبر عن صحة سفره أو موته.

جلس جاك يقلب صفحات الجرائد بعينه يفحصها ويرصدها وينتهي فيضعها جانبا، ثم يعيد فعلته مرة أخرى مع المجلات فلم يجد مبتغاه، يذهب ويجيء في صالة شقته التي بالطابق الثاني في منزل يبدو أنيقا للغاية، أجواءه هادئة تقتحمه الشمس بأشعتها لتخرج ساكنيه من عزلتهم رغم عنهم، نزل من المسكن وركب سيارته وانطلق بلا وجهة محددة، راح يجول في شوارع المدينة

ويدور بين منعطفاتها وكأن شيء منه قد فُقد، وكأن جزء منه قد اقتطع وجعله يفقد السيطرة على أفكاره الحائرة.

يكمل جولته الصباحية، ثم يعود إلى عمله حيث أنه صاحب مكتب مقاولات، زينة مكتبه كانت بسيطة تشيد بالجمال والبساطة في الذوق، ولكن يغلب عليها طابع غامض حيث أن الأثاث الموضوع في وجهة الباب للناظر أسود اللون من القطيفة يتخلله خيوط ذهبية مطعم بمزركشات غاية في الدقة والإتقان.

مرورا بمكان الاستقبال الموجود به الاثاث نجد أمامنا غرفتين إحدهما كبيرة تشمل مكتب من الزان مطلي باللون الأسود والجدران تتشح بالرمادي الباهت، رغم أناقة المكان تشعر أنه حزين.

ينتهي من عمله في تمام العاشرة ويعود لجولته بالسيارة إلى أن يتربص له الإرهاق فيلتهمه قطعة تلو الأخرى.

ظل على ذلك أياما بل شهور وسنوات، نعم مر به خمس سنوات كان فيها قد تحرر من قيود البلدة وسافر إلى العاصمة كاليفورنيا تاركا موطنه الأصلي في تكساس، تاركا منزله ومكتبه. في الخمس سنوات الماضية لم يتقلع عن عادته في فحص الجرائد والبحث عما يبتغيه والذي لا يعلمه سواه، ولم يحد عن عادته في التجوال بالسيارة والتنقل عبر المنعطفات واختلاءه بنفسه بين الحشائش، كان دوما في حالة مزاجية صعبة يشكو منها عملاءه، ولكنه أصبح أفضل حالا بعد لجوئه إلى طبيب نفسي، زاره مؤخرا مساء أمس الأول فكان هذا الطبيب ذكاؤه وفطنته لا مثيل لها في علاج مرضاه.

عندما اشــتكي اليه (جاك) أنه لا يســتطع النوم ليلا مما يلقاه حيث أخبره حرفيا:

_جيوش من الأفكار تغتال ذهني تفترســه بوحشـية، وظلام أكحل لا يفارق جفناي مهما اشعلت المصابيح، ونفسي. يختبئ خلف أضلعي لا يُزفر ولا يُشهق كأنه الموت بعينه.

نظر إليه الطبيب بعمق وتريث ثم أجابه:

_أنت تحتاج إلى تجديد مناخك فما رأيك بالســفر، وأن تأخذ إجازة من العمل للتنزه والترفه والانتعاش، وكتب له بعض المهدئات التي تساعده على النوم.

فقبل نومه كان يبتلع قرصا منها فيغفو مباشرة دون تعب، وظل فترة هكذا ولكن إن فاجئه القدر بانتهاء الأقراص من جيبه كان يزمجر ويثور.

وفي صــباح أحد الأيام تفحص الجرائد كعادته ليجد خبرا ما لفت انتباهه، مكتوب هناك سيدة تعرض قصرها للبيع وأسفل الخبر رقم الهاتف والعنوان لمن يهمه الأمر، أخرج جواله وطلب الرقم المدون قائلا:

_أريد أن أشــتري هذا القصرـــ.. هل يمكنني اخذ موعد للزيارة ومشاهدته من الداخل؟

علي الطرف الآخر كان يجيبه صوت أنثوي بلغ من العمر مقتضاه:

_نعم تستطيع تشريفي... تفضل العنوان.

وأملته العنوان وأخذ منها موعدا في الغد في تمام الساعة الخامسة بعد الظهر، القصر- كان يقع في موطنه تكساس فاضطر أخذ إجازة مفتوحة من العمل، اتصل بجميع عملائه معتذرا لهم معللا أنه مريض وعليه السفر حتما كما أمره الطبيب.

سافر في صباح اليوم التالي بسيارته ووصل إلى شقته القديمة، لازالت كماهي بنفس دقة وبروز أناقتها رغم ما يغلفها من أتربة، كان الأثاث مكسو بقماش أبيض لحجب الغبار، لكن هذا القماش الأبيض صار رمادي اللون بفعل الأتربة... ألقى نظرة خاطفة على محتويات الشقة وكأنه تركها بالأمس... اتخذ موضعا له ليستريح بعدما أخذ حماما دافئا، وخلد للنوم ساعة، بعدها تأهب لمقابلة صاحبة القصر...

الساعة الخامسة

وقف بسيارته أمام حديقة قصر- أبوابه مفتوحة على مصراعيها، ترجل من السيارة ودلف إلى الداخل يتفحص مبني القصر- كان شاهق الارتفاق رغم أنه من طابقين فقط، يسبقه أطلال حديقة مهملة دهست بقدمي الزمن وفي المنتصف نافورة على كل حورية عارية إلا من بواقي ثياب يحيطها ملاكان يبثا المياه من فمهما، مكتوب على باب القصر من الخارج (عائلة سيدوفيلي).

دق الجرس، كان في استقباله سيدة ذات السبعون عاما ظهرها أحناه الزمن، عيناها خضراوتان نضرة جميلتان رغم شحوب وجهها وقسماته المجعدة، دلف إلى الداخل وراح يلقي نظرة علي ما تقع عليه عيناه بالداخل، القصر- يرجع لزمن الملوك القديم ولكنه يشبه

الخيل حين يفوق ســـنه ويصـــبح بلا منفعة. جلس وجلســـت في حضرته يتبادلان طرفي الحديث، دعته لجولة بين غرف القصر ـ من الداخل، وكذلك الصـــعود للطابق العلوي، دلف الغرف يتفحصـــها كانت شاهقة جدارنها بها تشققات قد خطها الزمن بأظافره، في أثناء جولتهم سألها كم تطلب ثمنا للقصر؟

أجابت:

_مليوني ونصف مليون دولار.

بُهت جاك حين ســمع ذلك وعقد حاجبيه معترضــا، وقال أنه مبلغ باهظ وحالة القصر ـــ لا تســـتدعي ذلك، فأجابته معللة أنه ميراثها الوحيد من العائلة ومن الصـعب أن تتخلي عنه وأنه يرجع للعصـور الوســـطي للأمراء، وأنهـا لن تتنـازل عن هـذا المبلغ. أابـدي جـاك الموافقة وطلب منها أن يدفع المبلغ على أقساط أو قسطين فقط، وافقت حياها واتجه إلى شقته يتدبر الأمر، باع سيارته وسحب كل دولار في حسابه في البنك وكذلك الشقة كان قد عرضها منذ سنوات للبيع وجاءه العديد من المشـــترين منهم أحد عملائه، فعرض الأمر عليه مجددا واستلم منه مبلغ يعد نصف ثمن الشقة ويقدر بمائتي وخمسون ألف دولار بالإضافة إلى ما جلبه من البنوك وثمن السيارة وهذا كله مجملا حقق مليون ونصف. ذهب إلى القصر بعد مهاتفته السيدة سيدوفيلي وتحديد الموعد وذهب حسب الاتفاق، لم يكن يخبر أحد من معارفه بمشـاريعه، اسـتقبلته بابتسـامة ودودة مرحبة به، وعندما أخبرها أنه جاءها بثلثي المبلغ تهللت أســـاريرها وأصرت أن تحتسي ـــ معه القهوة التركية التي تجيدها جدا، بعد دقائق كانا

الاثنان يحتســيان فنجاني القهوة وكان جاك يشــعر بارتياح لتلك السـيدة البشـوشـة ولكن تعجب، فإن مذاق البن لذيذ ونكهته طيبة راحت تقص عليه قصــة حفيدها مارك الذي يعرفه تمام المعرفة وأخبرته أنه مات مقتولا إذ كان علي علاقة مع أحد أصــدقاء الشر الذي ســخره معه للسرـقة والنصــب وآكل حقه مرارا ولم يســتطع مارك أن يســترد حقه من صــديقه لذا فضــل أخذ حقه كاملا خلال صـفقة نصـب اتماها سـويا فأخذا الحصـيلة لنفسـه دون شريكه كان جاك يستمع وهو يتصبب عرقا يرتشف رشفات ويستمع إليها بريبة وقلق، أخبرته:

_وجـدت مـارك مقتولا في حجرتـه ولم نتمكن من معرفـة القـاتـل، ولكني كنت أعلم أنه ظل يبحث عن الحصــيلة من النقود والذهب وعندما أعلنت عن بيع القصرـ الذي حتما هو مخبئ للمال والذهب رفعت سعره لأن القاتل حتما سيوافق لذا هو في حضرتي الأن.

جاك وضـع يده علي عنقه يشـعر باختناق وهي تضـحك وتضـحك، هامسة وضعت لك السم في القهوة التي كان مارك مرارا يصنعها لك أتذكر؟ وظلت تضحك وتضحك إلى أن فارق الحياة نصب عينيها

تمت بحمد الله

عرينُ الثوار

حسام عبد الله

في إحدى البلدان المحتلة، كان هناك بين ظلام الليل شــموعٌ تُنيرُ أرجاء ذلك المنزل الأشـبه بالعرين؛ إنها شـموع الانتفاضـة من باطن قلوب خمســة عشرـ شــاباً، مجتمعين حول صــاحب المنزل (فؤاد حديدي)، فهو حقاً يســتحق ذلك الاســم الذي يدل علي الصــلابة، فدائماً ما كان قوي العزيمة، وأول المشاركين في الانتفاضات، يشتهر بقوة الخطابة وكأنما تخترق كلماته الحوائط من حوله، تهز العالم المحيط به، فيقول لهؤلاء الشباب بصوت خشن وقوى:

_منْ قالَ بأن الأرض لا تلد الرجال؟! وأنه ليس هنالك قلوب تحمل البراكين الثائرة لاغتصاب الأيادي الغاشمة والملطخة بدماءِ الأبرياء، من أطفال ونســاء ورجال؟! تحت رداء الأكاذيب المُصــطنعة بأنها أرضهم وهم الأحق بها، ولكن هذا التراب يعرف من الأحق به.

فيا من تزعم بأنك امتلكت الأرض وأسـكت الألســنة، لم ولن تطفئ النـار المتزايـدة بـداخلنـا والوطنٌ أمٌّ، فكيف لابنهـا ألا ينتفض دائمـا مُطالباً ومندداً بالحريات؟

الآن حـان وقـت بـث روح الخوف والرهبة داخـل نفوســـهم، وكنـا بـالأمس نســـتعمـل الحجر كســـلاح وهم يعتقلونـا ويعـذبونـا في ســـجونهم، وحين هـدموا البيوت كنا قد امتلكنا بعض الأســـلحة وقذفناهم بالصواريخ في عقر دارهم؛ ومن ثم حجزونا بتلك الأسوار والأسـلاك الشـائكة، غافلين عن كوننا نسـتطيع صـناعة الأنفاق من تحت تلك الأسلاك فإنها أرضنا، ونحن على دراية بها أكثر منهم حتى وإن كانوا يعشون عليها منذ الكثير، سيظلون عليها غرباء.

يا أبنائي، أنتم تعلمون القليل مما نحن بصـــدد فعله، يعتقدون أنهم يتفوقون علينا بالتكنولوجية الحديثة والمتطورة، سنريك معتقدهم هذا وســـنبث الخوف في أفئدتهم، وســـيقوم المهندس الإلكتروني إلياس ومساعديه رونزا وعفاف بشرح المُخطط.

حينها أقام إلياس الفتاتين متجهين إلى أمام الجمع الحاضر، فتحدث إلياس بصـــوت هادئ ومُبســـط عن الأفكار المطروحة، وما قام به ثلاثتهم من أشياء تساعد في تنفيذ مهمة هادفة ...

ثم عاد فؤاد بالحديث قائلاً:

_إن موعد التنفيذ بعد ثلاثة أيام (الخميس القادم) ما بين العاشرة والحادية عشر ـــ صـــباحاً، وفي خلال هذا المدة ســـيقوم كلٌ منكم بالتحضير للوظيفة المطلوبة منه.

عقارب الساعة تتسارع لتنفيذ المهام مع هؤلاء الشباب المتحمس للانتفاض، حتى ظهر شعاع شمس يوم الخميس، وفي العاشرة كان قد انتشر الجميع في مسعاهم، فإلياس والفتاتين في البيت نفسه مع فؤاد، وعشرة شـــباب تفرقوا كل واحد منهم كان علي رأس مظاهرة مناهضـــة ضـــد العدوان في أماكن متفرقة، بهدف تشـــتيت انتباه الطُغاة عن أصل المهمة، ويبقى هناك الشابان مسعود ومراد، اللذان يقع علي عاتقهما الشيء الأكبر، وهو التسلل داخل عقر الأفاعي من خلال أنفاق تعبر الأســـلاك الشـــائكة لزرع إحدى الأجهزة المتصـــلة بالأجهزة لدى الثلاثة مهندسين.

بالفعل كان كل شيء بمنتهي الدقة وتم كل شيء كما كان مُخططا له، وكان الهدف من هذه العملية الاستيلاء على القناة الثانية لدي القمر

الصـناعي الخاص بالعدو، وبث رسـالة هامة تحتوي على الكثير من ضمنها:

_أننا قادرون على المقاومة مهما طال الزمن ومهما تبدلت أسـاليب الحرب وتطورت، وزرع الخوف في أنفس الجميع لديكم.

ويبقي الدم فداء للوطن، أثناء عودة سـعيد ومراد اسـتشـهد مراد وضحى من أجل رفع راية بلاده ورفع صوت الحق عالياً.

ويعود فؤاد بذلك القول والإحساس ليهزُ الأرجاء:

_يا تراب أمتنا، هاك جُثمان شـهيدك، وسـيأتي إليكِ الكثير والكثير من إخوته، حتى تصـبح أنفاسـك حرة ومسـتقرة، فليس هناك مراد واحد وإنما ملايين منه مع تلك البسمة في لحظة الاستشهاد.

تمت بحمد الله

الفهرس

- ✓ كلهن خائنات ---------- 3
- ✓ الدمية ---------- 24
- ✓ لوحة من ثلاثة أحرف ---------- 28
- ✓ راية حب ---------- 42
- ✓ أزقة الفقراء ---------- 49
- ✓ خبايا ---------- 54
- ✓ قبول بلا ايجاب ---------- 66
- ✓ بلا نهاية ---------- 73
- ✓ وطني المسلوب ---------- 86
- ✓ نزيف الماضي ---------- 94
- ✓ الحقيقة الغائبة ---------- 106
- ✓ صرخة أب ---------- 119
- ✓ مولانا ---------- 131
- ✓ بلاد الشهد والعسل ---------- 144
- ✓ آثمة ---------- 152
- ✓ متسابقات المرايا ---------- 161
- ✓ أرض الواقع ---------- 171
- ✓ عشقت صيادا ---------- 186
- ✓ بلا دعوة ---------- 202
- ✓ جنون الليل ---------- 214
- ✓ كوب شاي ---------- 223
- ✓ حلم قتلة الانتقام ---------- 229
- ✓ قتلة ولكن ---------- 237
- ✓ عرين الثوار---------- 244